

الصَّحِيحُ مِنَ الْأَشْرَفِي

حَطَّابُ الْمَدِينَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: الصحيح من الأثر في خطب المنبر ج ٣

إعداد الشيخ: فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٢٠١٩/١٦١٥٥.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٣٢٠.

القياس: ٢٤×١٧.

محمفوظ
جميع الحقوق محفوظة

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / يسري حسن.

٢٠١٩

الجزء الثالث

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

dar_aleman@hotmail.com



دار الإيمان المتحدة

أمم مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الجديدة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى قُدُوةِ الدَّاعِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الْهُدَاةِ وَالْمُهْتَدِينَ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ كِتَابِي «الصَّحِيحُ مِنَ الْأَثَرِ» وَتَلَاهُ
الثَّانِي نَالَا إِعْجَابَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَاسْتِحْسَانِهِمْ، وَرَغِبَ إِلَيَّ بَعْضُهُمْ أَنْ أَسْتَمِرَّ فِي
إِخْرَاجِ مِثْلِ هَذِهِ الْخُطْبِ، فَلَمْ أَخْتَلِقِ الْعِلَلَ، فَحَسِبِي أَنْ أَكْتُبَ مَا أَعْتَقَدُ أَنَّهُ يُفَرِّغُنِي
إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ أَعْرِضُهُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِيَنْظُرُوا هَلْ فِيهِ مَا يُجَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ
فَأُطْرِحَهُ، وَمَا يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَأَنْشُرُهُ.

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ قَلِيلَ الْبِضَاعَةِ، لَكِنِّي - بِحَمْدِ اللَّهِ - لَا أَتَكَلَّفُ مَا لَا أَحْسِنُهُ، وَاللَّهُ
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا.

قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿لِيُفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا
يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطَّلَاقُ: 7).

وَهَذِهِ السُّلْسِلَةُ إِنَّمَا هِيَ امْتِدَادٌ لِسَابِقَتِهَا مِنْ حَيْثُ اعْتِمَادُهَا عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،
فَلَا تَصْلُحُ التَّرَكِيبَةُ الْحَقَّةُ إِلَّا بِهِمَا بِإِذْنِ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الْبَقَرَةُ: 129).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾
يَعْنِي: السُّنَّةَ، قَالَهُ الْحَسَنُ»⁽¹⁾.

(1) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (1/ 444).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 231).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ذَلِكَ يُعِظُ بِهِ، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة: 232).

فالموفق من وفقه الله إلى سلوك طريقة الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - في دعوتهم.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مِمَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 151).

فموعظة الناس بالكتاب والسنة من المطالب العالية، والمقاصد السامية، وكلمة عظم المطلوب وشرف، كثرت العوارض والموانع دونه، كما قيل: «كلما كان الفعل أنفع للعبد، وأحب إلى الله - تعالى -، كان اعتراض الشيطان له أكثر».

فحريٌّ بطالب العلم أن يعظ الناس بالكتاب والسنة، فإنه لا يعدل عنهما إلى الحكايات والقصص إلا من قلَّ حظُّه من التوفيق.

اللهم: «يا ولي الإسلام وأهله، ثبتني به حتى ألقاك»⁽¹⁾.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

كسبه

رَبِّي جَبْرَائِيلَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(1) دُعَاءُ نَبِيِّ صَحِيحٍ، أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (653)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»

(4 / 438) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

عَظَمَةُ اللَّهِ

1

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّحْقِيقَاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدْوٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (السَّنَنَةُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْإِحْتِرَافَاتُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،

وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «عَظَمَةِ اللَّهِ».

الْعَظَمَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِالْكِتَابِ وَالسُّنَنِ،

وَالْعَظِيمُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (الْبَيْقَاتُ : 255).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الْوَاقِعَاتُ : 96، الْحَقْلَةُ : 52).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (الْحَقْلَةُ : 33).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الشَّفَاعَةِ، وَفِيهِ: «يُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ، وَلَكِنْ وَعِزَّتِي، وَكِبْرِيائِي، وَعَظَمَتِي، وَجِبْرِيائِي، لَا أُخْرِجَنَّ مَنْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»⁽²⁾.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي دُعَاءِ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَكِيمُ...».

قَالَ قَوَامُ السُّنَّةِ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَصْبَهَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «الْحُجَّةُ فِي بَيَانِ الْمَحَجَّةِ»⁽⁴⁾:

«الْعَظَمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، لَا يَقُومُ لَهَا خَلْقٌ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - خَلَقَ بَيْنَ الْخَلْقِ عَظَمَةً يُعَظَّمُ بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعَظَّمُ الْمَالِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِفَضْلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِعِلْمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِسُلْطَانٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِحَاثِهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِنَّمَا يُعَظَّمُ لِمَعْنَى دُونَ مَعْنَى، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يُعَظَّمُ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ تَعْظِيمَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، وَأَهَمُّ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مَنْ لَا يُعَظَّمُ اللَّهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (نُوحٍ: 13). أَيُّ: مَا لَكُمْ لَا تُعَظِّمُونَ اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ.

(1) رواه البخاريُّ (7510)، ومسلم (193 / 326).

(2) أي: لأفضلنَّ عليهم بإخراجهم من النَّارِ مِنْ غَيْرِ شَفَاعَةٍ.

(3) رواه البخاريُّ (7431)، ومسلم (2730).

(4) (41 / 1).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ كَانَ نَبِيْنَا - ﷺ - يُرَبِّي أُمَّتَهُ عَلَى وُجُوبِ تَعْظِيمِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - .
 فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى
 النَّبِيِّ - ﷺ - ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ - أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ - إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ
 وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُجُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ.
 فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - نَعَجْبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
 حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الزُّمَرُ: 67).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ
 ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ، قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ:
 ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ وَيَحْرُكُهَا، يُقْبَلُ
 بِهَا وَيُدْبِرُ، يُمَجِّدُ الرَّبَّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ، فَارْجَفَ
 بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الْمِنْبَرُ، حَتَّى قُلْنَا: لَيْحَرْنَ بِهِ .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ:
 «يَقْبِضُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا
 الْمَلِكُ، أَيْنَ مَلُوكِ الْأَرْضِ؟» .

(1) رواه البخاري (7451)، ومسلم (2786)، واللفظ له.

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (72 / 2)، وابن أبي عاصم في «السنة» (1 / 240 / 546)، وصححه الألباني في «الصحيح» (12 / 29).

(3) رواه البخاري (7382)، ومسلم (2787).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ تَأَمَّلَ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ «آيَةُ الْكُرْسِيِّ»، عَلِمَ أَنَّهَا قَدْ جَمَعَتْ أَوْجُهَ الْعِظَمَةِ لِلْخَالِقِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -؛ فَاسْتَحَقَّتْ أَنْ تَكُونَ أَعْظَمَ آيَةٍ.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «أَبَا الْمُنْدَرِ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَبَا الْمُنْدَرِ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ». قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «لِيَهْنَ لَكَ - يَا أَبَا الْمُنْدَرِ - الْعِلْمُ».

وَالْكُرْسِيُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَعْظَمُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بَعْدَ الْعَرْشِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «كِتَابِ الْعَرْشِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعَةُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاحٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاحِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ». أَتَدْرُونَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا الْحَلْقَةُ؟ إِنَّهَا الشَّيْءُ الْمُسْتَدِيرُ: كَحَلْقَةِ الْحَاتِمِ وَنَحْوِهِ.

وَالْكُرْسِيُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْ الْعَرْشِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «مُخْتَصَرِ الْعُلُوِّ»⁽³⁾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يَقْدَرُ قَدْرُهُ إِلَّا لِلَّهِ».

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (1460)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (2/ 460).

(2) «صحيح» أخرجه ابن أبي شيبة في «كتاب العرش» (1/ 114)، وصحَّحه الألباني في «الصحيح» (109).

(3) «صحيح» أخرجه الحاكم في «مستدركه» (2/ 282)، وابن خزيمة في التوحيد (1/ 249) وقال

الذهبي في «العلو» رجاله ثقات. انظر «مختصر العلو» للألباني (102).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ عَظَمَةَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - تَتَجَلَّى فِي خَلْقِهِ؛ لِأَنَّ عَظَمَةَ المَخْلُوقِ تَدُلُّ عَلَى كَمَالِ الخَالِقِ وَعَظَمَتِهِ.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ»، وَاللَّفْظُ لَهُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنُهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ [أَي: أَنْ كَثُرَتْ مَا فِيهَا مِنْ المَلَائِكَةِ قَدْ أَثْقَلَهَا حَتَّى أَطَّتْ] وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعِ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جِبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - «أَنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمِائَةٌ جَنَاحٍ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ .

قَالَتْ: «ذَلِكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَأَنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ المَرَّةَ فِي صُورَتِهِ فَسَدَّ الأُفُقَ».

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ إِنْ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِيهِ إِلَى عَاتِقِيهِ مَسِيرَةٌ سَبْعُمِائَةٍ عَامٍ».

(1) «صحیح» أخرجه أحمد (5/ 173)، وابن ماجه (2312) واللفظ له وصححه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (2169).

(2) رواه البخاري (4857)، ومسلم (174).

(3) رواه البخاري (3235)، ومسلم (177).

(4) «صحیح» أخرجه أبو داود (4727)، وصححه الألباني في «صحیح الجامع» (854).

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْعَبَادُ - حَفَظَهُ اللَّهُ - فِي «شَرْحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: أَيُّ: فَإِذَا كَانَ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ سَبْعُمِائَةٍ عَامٍ فَكَيْفَ بَقِيَّةَ جِسْمِهِ؟ أَيُّ فَهُوَ عَلَى ضَخَامَةٍ عَظِيمَةٍ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا وَقَدَرَهَا إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -⁽¹⁾.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ اللَّهَ أُذُنٌ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مُشْنٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِكَاذِبًا».

قَالَ الْمَنَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «التَّيْسِيرُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ»⁽³⁾: «إِنَّ اللَّهَ أُذُنٌ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ» أَيُّ عَنْ عِظْمٍ جُثَّةٍ مَلِكٍ فِي صُورَةِ دِيكَ. «قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ» أَيُّ وَصَلْنَا إِلَيْهَا وَخَرَقْتَاهَا وَخَرَجْتَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ. «وَعُنُقُهُ مُشْنِيَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ» زَادَ فِي رِوَايَةِ «رَبَّنَا» «فَيَرُدُّ عَلَيْهِ» أَيُّ: فَيَجِيبُهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ بِقَوْلِهِ: «لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ» أَيُّ عِظْمَةَ سُلْطَانِي وَسَطْوَةَ انْتِقَامِي «مَنْ حَلَفَ بِكَاذِبًا» فَإِنَّهُ لَوْ نَظَرَ إِلَى كِمَالِ الْجَلَالِ وَتَأَمَّلَ فِي عِظْمِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عِظْمِ خَالِقِهَا لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى ذَلِكَ فَالْجُرْأَةُ عَلَى الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ مَنْشُؤُهَا كِمَالُ الْجُهْلِ بِاللَّهِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ وَفِيهِ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيْلُ، قِيلَ:

(1) شرح سنن أبي داود للعباد (27 / 195).

(2) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (6503)، وصححه الألباني في «الصحيح» (1 / 231).

(3) (1 / 493).

(4) رواه البخاري (7515) عن أبي هريرة، ومسلم (162) عن أنس واللفظ له.

وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ - ﷺ - قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفَتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ - ﷺ - مُسْنِدُ ظَهْرِهِ إِلَى الْبَيْتِ الْمُعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ».

قَوْلُهُ: لَا يَعُودُونَ أَي يَأْتِي مَلَائِكَةٌ غَيْرُهُمْ. قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ الْمَلَائِكَةِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - (1)».

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ الْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى عِظَمَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِمَا تَحَمَّلُهُ الْعُقُولُ، وَإِلَّا فَعِظَمَةُ اللَّهِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُحِيطُ بِهَا عَقْلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ أَمَامَكُمْ نَافِذَةٌ وَاسِعَةٌ سِعَةُ الْكُونِ كُلِّهِ، إِعْجَازٌ بَاهِرٌ، وَآيَاتٌ كَرِيمَةٌ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا وَرَبَّنَّهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَهِيحٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَهُ وَذَكَرْنَ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعْمٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ (فتا: 6-11).

أَيُّهَا النَّاسُ، انظُرُوا إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يَدُورَانِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَتَقَلَّبَانِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ (الْقَمَرَاتُ).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (الْقَمَرَاتُ).

(1) شرح النووي على مسلم (2/ 225).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَاذَا نَفَعَلُ لَوْ لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ؟ مَاذَا نَفَعَلُ إِذَا لَمْ يَغِبِ الْقَمَرُ؟ أَوْ مَاذَا نَفَعَلُ إِذَا لَمْ يَطْلُعِ الْقَمَرُ؟ كَيْفَ نَعِيشُ؟ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْحَقُّ يَفْضَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يُونُسَ : 5).

أَيُّهَا النَّاسُ، انظُرُوا إِلَى تَكْوِينِ أَنْفُسِكُمْ، وَتَرَكَيبِ أَجْسَامِكُمْ، مَنْ ذَا الَّذِي جَعَلَهُ فِي هَذَا التَّرْكَيبِ الدَّقِيقِ، وَهَذَا النِّظَامِ الْعَجِيبِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذَّلَاطَاتِ : 21).

أَيُّهَا النَّاسُ، عَظَمَةُ اللَّهِ تَتَجَلَّى فِي النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، فِي الْفَاكِهَةِ وَالشَّمْرِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَمَنْ تَأَمَّلَ عَظَمَةَ اللَّهِ حَقَّ التَّأَمُّلِ قَدَرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَعَظَمَتَهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَأَنْطَلَقَ لِسَانُهُ بِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَخَضَعَتْ مَشَاعِرُهُ لِسُلْطَانِ اللَّهِ».

وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - ثَمَارُ تَعْظِيمِ اللَّهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى -
وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَسَأَذْكَرُ طَرَفًا مِنْهَا:

فَمِنْ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ؛ الإِقْرَارُ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَالخُضُوعُ لِأُلُوهِيَّتِهِ، وَالإِخْلَاصُ فِي
عِبَادَتِهِ، وَعَدَمُ الإِشْرَاقِ مَعَهُ غَيْرَهُ.

وَمِنْ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ زِيَادَةُ الإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ مَبْنِيٌّ عَلَى الإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ،
وَمَنْزِلَةُ التَّعْظِيمِ مَعَهُ تَابِعٌ لِلْمَعْرِفَةِ، وَعَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ يَكُونُ تَعْظِيمُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى -
فِي الْقَلْبِ وَأَعْرَفَ النَّاسِ بِهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - أَشَدَّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا.

فَالْمَلَائِكَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَمَّا كَانُوا مِنْ أَعْلَمِ الْخَلْقِ بِاللَّهِ عَظُمُوهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ
فَعَبَدُوهُ سُبْحَانَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ وَلَمْ يَسْتَنْكِفُوا عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ (١٦)

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿ (الْأَنْبِيَاءُ : 19، 20).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - فِي وَصْفِهِمْ: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ، بِالْقَوْلِ - وَهُمْ بِأَمْرِهِ

يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ،
مُشْفِقُونَ ﴿ (الْأَنْبِيَاءُ : 27، 28).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (الْحَجَّاتُ : 50).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ أَيْ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاءُ رَجْفَةً مِنْ خَوْفِ اللَّهِ - ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا - أَيْ خَاضِعِينَ - لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ - أَيْ الْقَوْلُ الْمَسْمُوعُ كَلَامُ اللَّهِ - سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

وَمِنْ تِلْكَ الثُّمَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مَتَى امْتَلَأَ الْقَلْبُ بِعِظَمَةِ اللَّهِ يَجْعَلُ الْمُسْلِمَ هَادِيَّ الْبَالِ سَاكِنَ النَّفْسِ، فَلَا يُجْزئُهُ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ؛ فَإِنَّهُ لِكُلِّ ظَالِمٍ نَهَايَةٌ فَمَهْمَا طَفَوْا وَبَغَوْا فَاللَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يُغْلَبُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِخُّهُ أُنْيَاءَهُمْ وَسَتَحِيءُ نِسَاءَهُمْ﴾ (الْقَصَصُ: 4).

فَمَاذَا كَانَتِ النَّيِّجَةُ؟

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ، فَبَدَّنْتَهُمْ فِي آيَمٍ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (الذَّكْرُ: 40).

وَمِنْ تِلْكَ الثُّمَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ مَعْرِفَتَنَا بِعِظَمَةِ اللَّهِ تُورِثُ الْقَلْبَ الشُّعُورَ الْحَيَّ بِمَعِيَّتِهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَالَّتِي تَفِيضُ السَّكِينَةَ فِي الْمِحْنِ وَالْبَصِيرَةَ فِي الْفِتَنِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (الشُّعْرَاءُ: 61).

أَيُّ: أَنَّ الْبَحْرَ أَمَامَهُمْ وَالْعُدُوَّ خَلْفَهُمْ فَأَيْنَ الْمَفْرُ؟

فِيرُدُّ عَلَيْهِمْ مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِاسْتِشْعَارِ لِعِظَمَةِ اللَّهِ وَثِقَةِ كَامِلَةٍ بِمَوْعُودِهِ وَإِيمَانِ بِمَعِيَّتِهِ لَهُ: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشُّعْرَاءُ: 62).

(1) رواه البخاري (4424).

فَمَاذَا كَانَتِ التَّيِّجَةُ؟

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالظُّورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ (الشُّعْرَاءُ : 63-66).

وَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَصَاحِبُهُ إِلَى الْغَارِ وَاقْتَرَبَ الْأَعْدَاءُ حَتَّى كَانُوا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ شَاهِرِينَ سَيُوفَهُمْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِكُلِّ ثِقَةٍ: «مَا ظَنَنْكَ - يَا أَبَا بَكْرٍ يَا ثَنِينَ اللَّهُ تَالِيَهُمَا!»

وَمِنْ تِلْكَ الثَّمَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ مَنْ شَهِدَ قَلْبُهُ عَظَمَةَ اللَّهِ وَكِبْرِيَاءَهُ عِلِمَ شَأْنِ تَحْدِيرِهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فَلَا يَتَعَرَّضُ لِسَخَطِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (الْعَبَائِرُ : 30).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ: «أَيُّ: فَلَا تَتَعَرَّضُوا لِسَخَطِهِ بِارْتِكَابِ مَعَاصِيهِ فَيُعَاقِبَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ»⁽²⁾.

وَمِنْ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَرَحُ الْقَلْبِ وَسُرُورُهُ، وَطُمَأْنِينَتُهُ؛ لِأَنَّهُ صَرَفَ التَّعْظِيمَ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ، وَتِلْكَ هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا وَالَّتِي مَنْ دَخَلَهَا دَخَلَ جَنَّةَ الْآخِرَةِ.

وَمِنْ ثَمَارِ تَعْظِيمِ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَامْتِثَالُ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ، وَتَعْظِيمُ شَعَائِرِهِ.

(1) رواه البخاري (3653)، ومسلم (2381).

(2) تفسير ابن سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - (128).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ. ﴾
(الْحَجَّاتُ : 30).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾
(الْحَجَّاتُ : 32).

وَمِنْ تِلْكَ الثَّمَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ مَنْ عَظَّمَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَصَفَهُ بِمَا
يَسْتَحِقُّ مِنَ الْأَوْصَافِ، وَأَقْرَبَ بِأَفْعَالِهِ، وَنَسَبَ النِّعَمَ إِلَيْهِ دُونَ سِوَاهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (الْحَجَّاتُ : 53).

وَمِنْ تِلْكَ الثَّمَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ مَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ خَافَ مِنْهُ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّ
الْمَعْرِفَةَ تُوقِعُهُ عَلَى صِفَاتِ جَلَالِ اللَّهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ
وَعَلَبَهُ، وَالَّذِي لَا يُطَاقُ انْتِقَامُهُ، مُذِلُّ الْجَبَابِرَةِ قَاصِمُ ظُهُورِ الْمُلُوكِ وَالْأَكَاسِرَةِ
وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - الْقَوِيُّ الَّذِي تَتَصَاغَرُ كُلُّ قُوَّةٍ أَمَامَ قُوَّتِهِ، وَيَتَضَاعَلُ كُلُّ عَظِيمٍ أَمَامَ
ذِكْرِ عَظَمَتِهِ.

وَلِأَجْلِ شُهُودِ صِفَاتِ عَظَمَتِهِ وَجَلَّتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ لِمُجَرَّدِ ذِكْرِهِ قَالَ اللَّهُ
- سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الْأَنْعَامُ : 2).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢٦) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾
(الْحَجَّاتُ : 34، 35).

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْإِنْقِيَادَ لِحُكْمِكَ وَالتَّعَظِيمَ لِشَأْنِكَ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِرِيئَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

الخوف من الله

2

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّحْقِيقُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلَانِ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ» وَمَا أَدْرَاكُمْ
مَا الْخَوْفُ؟ إِنَّهُ مَقَامَاتٌ عَلِيًّا مِنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ وَلَا زِمَّ مِنْ لَوَازِمِهِ⁽¹⁾ إِنَّهُ سَوَّطُ اللَّهِ
يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْمَوَاطِبَةِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِيَنَالُوا بِهِمَا رُتْبَةَ الْقُرْبِ مِنْهُ - سُبْحَانَهُ -
وَسِرَاجَ الْقُلُوبِ بِهِ يُبَصِّرُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

(1) انظر «فتح الباري» (11 / 313).

وَكُلُّ أَحَدٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِذَا خَافَهُ الْعَبْدُ هَرَبَ مِنْهُ إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - فَإِنَّهُ إِذَا خَافَهُ هَرَبَ إِلَيْهِ. وَمَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ⁽¹⁾.

وَحُكْمُ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ وَاجِبٌ، وَمَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ فَهُوَ آثِمٌ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى وُجُوبِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

فَمَنْ تِلْكَ الْأَدِلَّةُ الدَّالَّةُ عَلَى وُجُوبِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ:

قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴾ (التَّغْوِيَّتَاتُ : 175).

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ: «وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وَجُوبُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ، فَعَلَى قَدْرِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ يَكُونُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ»⁽²⁾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخْشَوْنَ ﴾ (الْمَائِدَةُ : 44).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ: «أَمَرَ اللَّهُ بِخَشْيَتِهِ الَّتِي هِيَ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ، فَمَنْ لَمْ يَخْشِ اللَّهَ لَمْ يَنْكَفَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَلَمْ يَمْتَثِلْ أَمْرَهُ»⁽³⁾.

وَالْحَشْيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - خَوْفٌ مَبْنِيٌّ عَلَى عِلْمٍ، فَهِيَ أَحْصَى مِنَ الْخَوْفِ وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (قَطْرٌ : 28). فَهَذَا خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ.

وَفِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «... أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ».

(1) انظر «بصائر ذوي التمييز» (2 / 577).

(2) تفسير ابن سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - (ص 157).

(3) المرجع السابق (ص 233).

فَخَوْفُ النَّبِيِّ - ﷺ - أَيُّهَا النَّاسُ - خَوْفًا مَقْرُونًا بِمَعْرِفَةٍ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسَ بِاللَّهِ.
فَعَلَيْهِ نَقُولُ: الْخَوْفُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَشْيَةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ
وَالْمَعْرِفَةِ يَكُونُ الْخَوْفُ وَالْحَشْيَةُ. فَصَاحِبُ الْخَوْفِ يَلْتَجِيءُ إِلَى الْهَرَبِ وَصَاحِبُ
الْحَشْيَةِ يَلْتَجِيءُ إِلَى الْإِعْتِصَامِ بِالْعِلْمِ.

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «الْحَشْيَةُ خَوْفٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْعِلْمِ بِعَظَمَةِ مَنْ
يُحْشَى وَكَمَالِ سُلْطَانِهِ، فَإِذَا خِفْتَ مِنْ شَخْصٍ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ يَقْدِرُ عَلَيْكَ أَمْ لَا،
فَهَذَا خَوْفٌ. وَإِذَا خِفْتَ مِنْ شَخْصٍ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْكَ، فَهَذِهِ حَشْيَةٌ».
وَلِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ مَنَافِعٌ وَمَسَارٌّ وَفَوَائِدٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَسَوْفَ أَذْكَرُ
طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ.

فَمِنَ الْفَوَائِدِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - جَعَلَهُ
شَرْطًا لِحُصُولِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التَّحْيِيجَاتُ: 175).
قَالَ ابْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «لَا تَخَافُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ
الْمُشْرِكِينَ، وَلَا يَعْظَمَنَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُمْ، وَلَا تَرْهَبُوا جَمْعَهُمْ مَعَ طَاعَتِكُمْ إِيَّايَ، مَا
أَطَعْتُمُونِي وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي، وَإِنِّي مُتَكَفِّلٌ لَكُمْ بِالنَّصْرِ وَالظَّفْرِ، وَلَكِنْ خَافُونِي وَاتَّقُونِي
أَنْ تَعْصُونِي، وَتُحَالِفُوا أَمْرِي فَتَهْلِكُوا، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»⁽¹⁾.

وَمِنَ فَوَائِدِ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ التَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ قَالَ اللَّهُ
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي
مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ
خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (إِبْرَاهِيمَ: 13، 14).

(1) تفسير الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ - (4/ 184).

وَمِنْ فَوَائِدِ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَبْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْإِحْلَاصِ فِيهِ .
 قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُكُمْ حِرَاءً وَلَا شُكُورًا ① ﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ
 رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿ (الْأَنْتَبُلُ : 9 ، 10) .

فَمَنْ أَجَلَ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ نَطْعَمُ الْمُسْكِينِ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴾
 أَيُّ أَنَّهُ يَوْمٌ طَوِيلٌ عَبُوسٌ شَدِيدٌ هَوْلُهُ عَظِيمٌ أَمْرُهُ، تَعَبَسُ فِيهِ الْوُجُوهُ مِنْ شِدَّةِ
 الْمَكْرُوهَاتِ الَّتِي تَرَاهَا وَيَطُولُ بَلَاءُ أَهْلِهِ وَيَشْتَدُّ؛ إِنَّهُ يَوْمٌ عَصِيبٌ !..

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا
 بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ ② ﴾ رِجَالٌ لَا لُئِيمِهِمْ يَخِزُّهُ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
 نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿ (النَّبَأُ : 36 ، 37) .

فَالْخَوْفُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الَّذِي دَفَعَهُمْ إِلَى الْعَمَلِ فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ التِّجَارَةُ وَلَا
 الْمَالُ وَلَا الْمَادَّةُ وَلَا الْإِغْرَاءَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَعِمَارَتِهَا
 بِالصَّلَاةِ وَذِكْرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ؛ لِأَنَّهُمْ ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾
 أَيُّ: تَضَطَّرِبُ، وَتَتَقَلَّبُ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفَظَاعَتِهِ فَهَمَّ - أَيُّهَا
 النَّاسُ - يُرِيدُونَ النِّجَاةَ وَيَحْذَرُونَ الْهَلَاكَ، وَيَخَافُونَ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ،
 يَخَافُونَ أَنْ يُؤْتُوا كُتُبَهُمْ بِشِمَالِهِمْ، كَذَلِكَ يَعْمَلُونَ .

فَمِنْ فَوَائِدِ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَمْعُ الشَّهَوَاتِ وَيُكَدِّرُ اللَّذَّاتِ، فَتَصِيرُ
 الْمَعَاصِي الْمَحْبُوبَةَ عِنْدَهُ مَكْرُوهَةً مُكَدَّرَةً .

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ تَكْدِيرَ اللَّذَائِدِ الْمُبَاحَةِ،
 فَالرَّسُولُ - ﷺ - «اسْتَمْتَعَ بِمُبَاحَاتِ الدُّنْيَا، وَهُوَ إِمَامٌ الْخَائِفِينَ وَهُوَ الْقَائِلُ كَمَا
 فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ

- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «حُبُّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النَّسَاءِ وَالطَّيْبِ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»⁽¹⁾.

وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنَّ الْخُوفَ مِنَ اللَّهِ يُكَدِّرُ الذَّاتِ الْمُحَرَّمَةَ بِتَذَكُّرِ عَذَابِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ لِمَنْ وَقَعَ فِيهَا فَالزَّانِي - أَيُّهَا النَّاسُ - لَوْ تَذَكَّرَ عَذَابَ اللَّهِ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ تَكَدَّرَتْ لَدُنُّهُ بَلْ لَوْ تَذَكَّرَ - فَقَطْ - مَا يَنْتَظِرُهُ فِي قَبْرِهِ لَتَكَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّذَّةُ الْمُحَرَّمَةُ، وَكَذَلِكَ قَاتِلُ النَّفْسِ وَشَارِبُ الْحُمْرِ وَالسَّارِقُ وَمَنْ يَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَمَنْ يَظْلِمُ النَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ لَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي قَبْرِهِمْ وَيَوْمَ حَشْرِهِمْ لَذَاقُوا مَرَارَةَ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِلْخَائِفِ مِنَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا لَهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَيُّ مَنْزِلَةٍ. فَمِنْ مَنْزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَرْضَى عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البَيْتَاتُ : 8).

أَيُّ أَنَّ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ خَافَ اللَّهَ، فَأَحْجَمَ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَقَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَمِنْ مَنْزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ لَهُ جَنَّاتٍ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (التَّحِيحُ : 46).

أَيُّ أَنَّ الَّذِي خَافَ رَبَّهُ فَتَرَكَ مَا مَهَى عَنْهُ وَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، لَهُ جَنَّاتٍ.

أَتَدْرُونَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا الْجَنَّاتُ؟ إِنَّهَا جَنَّاتٌ مِنْ ذَهَبٍ آبِيَّتُهُمَا وَحَلِيَّتُهُمَا وَبُنْيَانُهُمَا وَمَا

فِيهَا. وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - تِلْكَ الْجَنَّاتِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (التَّحِيحُ : 48).

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (11884)، والنسائي في «عشرة النساء» (3939)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3124).

أَي ذَوَاتَا أَنْوَاعٍ وَأَصْنَافٍ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ النَّعِيمِ وَأَنْوَاعِهِ.

وَوَصَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - تَلَّكَ الْجَنَّتَانِ بِأَوْصَافٍ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ فِيهَا عَيْنَانِ

تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكُهُمَزَ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَّيْنُهَا مِنْ إِسْتَرْفٍ وَحَىٰ ٱلْحَنَنَيْنِ دَانِ ﴿٥٤﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَةٌ ٱلْظَّرْفَ لَمْ يَطْمِئِنَّ ٱلْإِنْسَ فَبَٱلْهُمَزَ وَلَا جَانَ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ ٱلْإِحْسَنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَنُ ﴿ (التَّحْمِيمُ: 50-60).

وَمِنْ مَنْزِلَةِ ٱلْحَنَافِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ لَهُ مِنْ ٱلْخَيْرِ ٱلْكَثِيرِ وَٱلنَّعِيمِ ٱلْعَظِيمِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ إِنَّمَا يُوْمَنُ بِآيَاتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (ٱلسَّجْدَةُ: 15-17).

وَمِنْ مَنْزِلَةِ ٱلْحَنَافِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ أَمِنًا فَلَا يَخَافُ أَبَدًا.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَٱلْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ ٱلْإِيمَانِ» وَابْنُ ٱلْمُبَارَكِ فِي «ٱلزُّهْدِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَنَهُ ٱلْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ٱلْجَامِعِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ - ﷺ - قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلْقُدْسِيِّ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَىٰ عَبْدِي خَوْفِينَ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا هُوَ خَافَنِي فِي ٱلدُّنْيَا؛ أُمَّتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَّنِّي فِي ٱلدُّنْيَا أَخَفْتُهُ فِي ٱلْآخِرَةِ»⁽¹⁾.

(1) «حسن» أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (1 / 51) من حديث الحسن مرسل، وأخرجه ابن حبان

(2 / 406) والبيهقي في «شعب الإيمان» (1 / 483)، من حديث أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - .

قال الدارقطني في «العلل» (8 / 38): إنها يعرف من حديث الحسن مرسلًا، وأخرجه الطبراني في

«مسند الشاميين» (1 / 266)، وأبو نعيم في «الحلية» (1 / 270) من حديث شداد بن أوس -

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4332).

وَمِنْ مَنزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَسْتَظِلُّ فِي ظِلِّ اللَّهِ كَمَا فِي
 «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - :
 «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، ... وَذَكَرَ مِنْهُمْ «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ
 مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ».

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ مَنزِلَةِ الْخَائِفِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَبِّهْ بِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

(التَّكْوِينُ : 17 ، 18).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) أخرجه البخاري (1423)، ومسلم (1031).

الخطبة الثانية - أسباب الخوف من الله :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن الخوف من الله، والآن حديثي معكم عن «أسباب الخوف من الله».

فمن أسباب الخوف من الله - أيها الناس - طلب العلم الشرعي.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فصل: 28).

«لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه، وإذا لم يعرفه لم يخف منه، فلذلك خص العلماء بالخشية»⁽¹⁾.

ومعلوم أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع ذلك أكثر الناس عبادة لله - سبحانه وتعالى - وأشدهم خوفاً منه وطمعاً في رحمته⁽²⁾، وكذلك أهل العلم.

ومن الأسباب الجالبة للخوف من الله - أيها الناس - إجلال الله وتعظيمه فإن ذلك يقتضي الخوف والهيبه منه - سبحانه وتعالى - وهذا فائدة معرفة أسمائه وصفاته. فمن علم أن ربه مُتَتَمِّمٌ شَدِيدُ الْعِقَابِ، مُتَكَبِّرٌ، مُهَيِّمٌ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ خَافَهُ وَلَاذٍ بِجَنَابِهِ.

لهذا كان أعظمهم له خوفاً وخشيةً أشدهم له تعظيماً.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (1 / 1637).

(2) أضواء البيان (16 / 144).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التَّحْقِيقُ: 50).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ - أَي: إِذَا تَكَلَّمَ بِأَلْوَحِي أَخَذَتِ السَّمَاءُ رَجْفَةً مِنْ خَوْفِ اللَّهِ - ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا - أَي: خَاضِعِينَ - لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ - أَي: الْقَوْلُ الْمَسْمُوعُ كَلَامُ اللَّهِ - سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ.

وَقَدْ كَانَ نَبِينَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُرَبِّي أُمَّتَهُ عَلَى وُجُوبِ تَعْظِيمِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! - أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! - إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالشَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُجُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصَدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿الْبُرُجُ: 67﴾.

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أُذِنَ لِي أَنْ

(1) رواه البخاري (4424).

(2) رواه البخاري (7451)، ومسلم (2786)، واللفظ له.

(3) «صحيح» أخرجه أبو داود (4727)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (854).

أَحَدَتْ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعُمِائَةٍ عَامٍ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعَعْنُقُهُ مُشْنٍ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِكَاذِبًا».

قَالَ الْمَنَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «التَّيْسِيرُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ»⁽²⁾: «إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ» أَيُّ عَنْ عَظْمِ جُنَّةِ مَلِكٍ فِي صُورَةِ دِيكَ. «قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ» أَيُّ وَصَلَتْما إِلَيْهَا وَخَرَقَتْهَا وَخَرَجَتْما مِنَ الْجَانِبِ الْأُخْرَى. «وَعَعْنُقُهُ مُشْنَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ» زَادَ فِي رِوَايَةِ «رَبَّنَا» «فَيَرُدُّ عَلَيْهِ» أَيُّ: فَيَجِيبُهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ بِقَوْلِهِ: «لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ» أَيُّ عَظْمَةَ سُلْطَانِي وَسَطْوَةَ انْتِقَامِي «مَنْ حَلَفَ بِكَاذِبًا» فَإِنَّهُ لَوْ نَظَرَ إِلَى كَمَالِ الْجَلَالِ وَتَأَمَّلَ فِي عِظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمِ خَالِقِهَا لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى ذَلِكَ فَالْجَرَاءُ عَلَى الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ مَنشُوءًا كَمَالِ الْجَهْلِ بِاللَّهِ. وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِيَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي جَنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا».

(1) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (6503)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (1/ 231).

(2) (1/ 493).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (5/ 173)، والترمذي (2312) وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه

(14190) واللفظ له، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (2169).

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
 قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ
 وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ
 بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (الْمُنَافِقَاتُ : 33) .

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي النَّارِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ
 الْعِظَامِ . قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْأَكْبَرِ ﴾ (الْمُلْكُ : 35) .

فَهَذَا أَعْظَمُ إِنْذَارٍ كَبُرَتْ مُنْذِرَةٌ دَاهِيَةٌ عَظِيمَةٌ أَعْظَمُ الدَّوَاهِي .
 قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « مَا أَنْذَرَتِ الْخَلَائِقُ بِشَيْءٍ قَطُّ أَخْضَعَ مِنْهَا » .
 وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
 يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (الْكَافُرَاتُ : 28) .

وَمِنَ الْأُمُورِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ سِيرِ الْخَائِفِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ
 وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيِّ وَمَالِكِ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ
 وَابْنِ خَالٍ وَابْنِ مَسْرُوقٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ الَّذِينَ عَنْهُمْ ابْنُ الْمُبَارَكِ
 - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ :

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ ○●○ فَيَسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ
 أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا ○●○ وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ
 لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودٌ ○●○ أَنْبِئْ مِنْهُ تَنْفِرُجُ الضُّلُوعُ
 وَخَرَسٌ بِالنَّهَارِ لِطُولِ صَمْتٍ ○●○ عَلَيْهِمْ مِنْ سَكِيَّتِهِمْ خُشُوعٌ

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ.

فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَسْأَلُ اللَّهَ الْخَشِيَّةَ، وَالْخَشْيَةَ هِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِعِلْمٍ - كَمَا تَقَدَّمَ - فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهِؤَلَاءِ الْكَلِمَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يُحَوِّلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقَوَاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَسُنَنِ النَّسَائِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ».

فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْنَاكَ بِهِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدًا، وَنَسْتَعِيدُكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ بِهِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدًا، اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يُحَوِّلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

(1) «حسن» رواه الترمذي (3502)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (1268).

(2) «صحيح» رواه أحمد (17861)، والنسائي (1306)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (1301).

الرجاء

3

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلَاتُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الرَّجَاءِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا كَانَ الْخُوفُ مِنَ اللَّهِ هُوَ سَوَاطِئِ اللَّهِ يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْمُوَظَّابَةِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَإِنَّ «الرَّجَاءَ» كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «حَادٍ يَجْدُو بِهِ فِي سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ، وَيَطِيبُ لَهُ الْمَسِيرَ، وَيَجْتَنُّهُ عَلَيْهِ، وَيَبْعَثُهُ عَلَى مُلَازِمَتِهِ. فَلَوْلَا الرَّجَاءُ لَمَا سَارَ أَحَدٌ. فَإِنَّ الْخُوفَ وَحْدَهُ لَا يَجْرِكُ الْعَبْدَ، وَإِنَّمَا يَجْرِكُهُ الْحُبُّ، وَيَزْعِجُهُ الْخُوفُ وَيَحْدُوهُ الرَّجَاءُ»⁽¹⁾.

(1) «مدارج السالكين» (2 / 241).

فَالْقَلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّيْرُ جَيْدُ الطَّيْرَانِ، وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ وَمَتَى فَقَدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عَرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ، لَكِنَّ السَّلْفَ اسْتَحَبُّوا أَنْ يَقْوَى فِي الصَّحَّةِ جَنَاحُ الْخَوْفِ عَلَى جَنَاحِ الرَّجَاءِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا يُقْوَى جَنَاحُ الرَّجَاءِ عَلَى جَنَاحِ الْخَوْفِ»⁽¹⁾.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ «الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ «التَّمَنِّي» يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ، وَلَا يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ طَرِيقَ الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ، وَ«الرَّجَاءُ» يَكُونُ مَعَ بَدَلِ الْجُهْدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

فَالْأَوَّلُ - «كَحَالِ مَنْ يَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ لَهُ أَرْضٌ يَبْدُرُهَا وَيَأْخُذُ زَرْعَهَا.

وَالثَّانِي - كَحَالِ مَنْ يَشْتَقُّ أَرْضَهُ وَيُفْلِحُهَا وَيَبْدُرُهَا، وَيَرْجُو طُلُوعَ الزَّرْعِ.

هَذَا أَجْمَعَ الْعَارِضُونَ أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصْلِحُ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ وَرَدَ الرَّجَاءُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَسَادَّكَرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ. فَمِنْهَا:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ ﴿الْاِنْتِزَاعُ : 57﴾.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «فَابْتِغَاءُ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ: طَلَبُ الْقُرْبِ مِنْهُ بِالْعِبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، فَذَكَرَ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ الثَّلَاثَةَ الَّتِي عَلَيْهَا بِنَاؤُهُ: الْحُبُّ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ»⁽³⁾.

(1) المرجع السابق (1 / 517).

(2) المرجع السابق (2 / 217 - 218).

(3) «مدارج السالكين» (2 / 35).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - مُخْبِرًا عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤) فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا ﴿﴾ (تَحْفَظًا: 44، 45).

فَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَمَّا حَسَنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - وَقَالَ: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ أَيُّ أُسَلِّمُهُ إِلَى اللَّهِ لِيَعِصِمَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ كَانَ الْجَوَابُ مِنَ اللَّهِ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا﴾ . وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزُّمَرُ: 53).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي - رَحْمَةُ اللَّهِ - : «اعْرِفُوا رَبُّكُمْ بِأَسْمَائِهِ الدَّالَّةِ عَلَى كَرَمِهِ وَجُودِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، مِنَ الشَّرِّ وَالْقَتْلِ، وَالزِّنَا، وَالرِّبَا، وَالظُّلْمَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَيَاسُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ كُلَّهَا، وَلَيْسَ الْخِطَابُ لِمَنْ عِنْدَهُمْ مَعَاصٍ قَلِيلَةٌ بَلْ لِمَنْ أَسْرَفُوا وَكَثُرَتْ مَعَاصِيهِمْ. فَفِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ بِالرَّجَاءِ، وَالكَرِيمِ إِذَا أَمَرَ بِالرَّجَاءِ لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الْكَرَمُ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَمَا يَرَوِيهِ عَنْ رَبِّهِ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - أَنَّهُ قَالَ: «يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا

(1) تفسير ابن سعد (736).

(2) «حسن» أخرجه الترمذي (270/2)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4338).

ابن آدم! لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة».

أيها الناس إن الله - سبحانه وتعالى - قد فتح لنا باباً عظيماً ألا وهو باب الرجاء. ففي الحديث - بشارة عظيمة، وحلم وكرم عظيم، ومالا يخفى من أنواع الفضل والإحسان، والرأفة والرحمة والامتنان.

والرجاء - أيها الناس - أساسه حسن الظن بالله - سبحانه وتعالى - ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي - ﷺ - : «يقول الله - سبحانه وتعالى - أنا عند ظن عبدي بي إذا ذكرني فليظن بي عبدي ما شاء».

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - قوله: «أنا عند ظن عبدي بي أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به»⁽²⁾.

أيها الناس إنه متى عظم الرجاء بالله وأيقن أن الله - سبحانه وتعالى - سيغفر له وعظم ذلك في قلبه فقد حصل له مطلوبه؛ لأنه قام في قلبه إحسان الظن به وإعظام الرغبة إليه، والمراد بالظن هنا العلم لقوله تعالى: ﴿وَوَظَنُوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ كما نبه على ذلك ابن أبي جمرة - رحمه الله -⁽³⁾.

أيها الناس إن أحاديث الرجاء أضعاف أحاديث الخوف وما ذاك إلا لعظم أهميته؛ ولأن اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله كفر بالله العظيم.

(1) «صحيح» رواه أحمد في المسند (491/3)، وابن حبان (634/633)، والحاكم في المستدرک (340/4) من حديث وائلة بن الأسقع - رضي الله عنه -.

وأخرجه - أيضاً - أحمد (2/315، 445)، والبخاري (7505)، ومسلم (7675)، والبعثي في شرح السنة (1225) وابن حبان (639) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(2) الفتح (13/385).

(3) فيض القدير (4/642).

قَالَ الطَّبِيُّ قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحْمَةُ اللَّهِ - : «قَدْ تَبَعْتُ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَوَجَدْتُ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ أَوْعَافَ أَحَادِيثِ الْخَوْفِ مَعَ ظُهُورِ الرَّجَاءِ فِيهَا قُلْتُ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَدِيثٌ وَاحِدٌ وَهُوَ سَبَقَتْ أَوْ غَلَبَتْ رَحْمَتِي عَلَى غَضَبِي لَكُنِيَ دَلِيلًا عَلَى تَرْجِيحِ الرَّجَاءِ وَيَعِضُدُهُ آيَةٌ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الإعراف: 156). بل هو أمرٌ مشاهدٌ في عالم الوجود في غلبة آثار الرجاء على آثار الخوف»⁽¹⁾.

وها أنا - أيها الناس - أذكرُ بعضَ أحاديثِ الرجاءِ ترغيباً للسائرينَ ففي «صحیح البخاري»⁽²⁾ من حديثِ عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أربعون خصلةً - أعلاهنَّ منحةُ العنزِ - ما منَّ عاملٌ يعملُ بخصلةٍ منها رجاءً ثوابها وتصديقٍ موعودها إلا أدخله الله بها الجنة»⁽³⁾.

والمنيحةُ - أيها الناس - هي أن الإنسانَ يكونُ عنده غنمٌ وفيها حليبٌ فيمنحُها لفقيرٍ يجلبُها ويستفيدُ منها فإذا انتهَى الحليبُ منها أرجعها لصاحبها.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَاذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ - ثُمَّ عَادَ فَاذْنَبَ. فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. اْعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتَ لَكَ».

(1) مرتاة المفاتيح (5/ 317).

(2) رواه البخاري (2631).

(3) رواه البخاري (2631).

(4) رواه البخاري (7 - 750)، ومسلم (2758) واللفظ له.

فهذا العبدُ - أيها الناسُ - علمَ بذنبه وعلمَ أَنَّهُ معاقبٌ عليه من الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - إن شاء وعلمَ أَن اللهَ غفارُ الذنبِ وقابلِ التَّوْبِ من عبادِهِ رجَعَ إلى اللهِ رجاءِ رحمتهِ وخوفاً من عقابه كانَ ذلكَ سبباً في قبولِ توبتهِ بخلافِ مَنْ ظنَّ أَنَّ اللهَ تخفى عليه خافيةٌ فَإِنَّهُ كافرٌ بلا شكٍ فله ما أعظمَ الرجاءِ! وما أعظمَ نفعه! وما أحوجَ العبدَ إليه وإلى تعلُّمه وفهمه!

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ. هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ». الْحَدِيثُ..

وفيه: «قَالَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُتَأَسِّدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحْجُونَ فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرَجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ فَتَحَرَّمْ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا..... الْحَدِيثُ».

أيها الناس أبشروا فرحمة الله واسعة كل شيء.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: 156).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِ، فَبِهَا يَتَعَاطُونَ وَبِهَا يَتَرَاخَمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخْرَجَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(1) رواه البخاري (7439)، ومسلم (183) واللفظ له.

(2) رواه البخاري (6000)، ومسلم (2752) واللفظ له.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنْ رَحِمْتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدَخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا».

وفي لفظ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ: هَذَا فَكَأَنَّكَ مِنَ النَّارِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تَذَنْبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه البخاري (2194) واللفظ له، ومسلم (2751).

(2) رواه مسلم (2755).

(3) رواه مسلم (2767).

(4) رواه مسلم (26).

(5) رواه مسلم (2749).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ الرَّجَاءِ وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ
عَنْ وَصِيَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَقَبْلَ أَنْ أَذْكَرَ لَكُمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَذْكَرُ لَكُمْ نَقْطَةً
مُهْمَةً وَهِيَ أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ الطَّاعَةِ كَمَا قَالَ شَاهُ الْكِرْمَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَامَةُ
صِحَّةِ الرَّجَاءِ حُسْنُ الطَّاعَةِ»⁽¹⁾.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَنْفَطِرَ رِجْلَاهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ
لَكَ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ! أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟».

فَهَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَمْ يَزِدْ إِلَّا اجْتِهَادًا فِي الْعَمَلِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ
لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِذْفَ النَّبِيِّ
ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. فَقَالَ: «يَا مَعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا
حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟». قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ
يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَعْذِبَ مَنْ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تَبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا».

(1) «مدارج السالكين» (2/218).

(2) رواه البخاري (19)، ومسلم (81).

(3) رواه البخاري (2856) واللفظ له، ومسلم (30).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ قَالَ العلماءُ: «يُؤَخَذُ مَنْ مَنَعَ مَعَاذَ مَنْ تُبَشِّرِ النَّاسَ لِئَلَّا يَتَكَلَّمُوا أَنَّ أَحَادِيثَ الرَّحْصِ لَا تُشَاعُ فِي عَمُومِ النَّاسِ؛ لِئَلَّا يَقْصَرَ فَهَمُّهُمْ عَنِ الْمَرَادِ بِهَا».

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وقد سمعها معاذٌ فلم يزدْ إلا اجتهداً في العمل، وخشيةً لله - سُبْحَانَهُ، وَعَعَلَى - فأما مَنْ لم يبلغ منزلةً فلا يأمنُ أن يقصّر اتكالاً على ظاهر الخبر».

أيها الناس قبل أن أودّع مقامي هذا أذكركم بوصية رسول الله ﷺ قبل موته.

ففي «صحیح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «لَا يَمُوتُنَ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسُنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -».

قال الحافظ المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «أي لا يموتن في حال من الأحوال إلا في هذه الحالة وهو حسن الظن بالله - تعالى - بأن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه لأنه إذا احتضر لم يبق لخوفه معنأ بل يؤدّي للقنوط»⁽²⁾.

فهذا - أيها الناس - الذي يجب أن يكون عليه العبد إذا جاءه الموت وانقطع العمل.

ففي سنن الترمذي بسند حسن حسنه الألباني في «الصحیحة»⁽³⁾ من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟». قَالَ: «وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَرْجُو اللهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ مِثْلُ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَأَمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ».

(1) رواه مسلم (2877)، وأبو داود (3113).

(2) التيسير بشرح الجامع الصغير (977/2).

(3) «حسن» أخرجه الترمذي (983) وقال حديث حسن غريب وحسنه الألباني في «الصحیحة»

أَيُّهَا النَّاسُ هَكَذَا كَانَ حَالُ السَّلَفِ عِنْدَ الْمَوْتِ فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَأْمُرُ بِنَبِيهِ عِنْدَ الْمَوْتِ
أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِ آيَاتُ الرَّحْمَةِ⁽¹⁾ حَتَّى تَخْرُجَ رَوْحُهُ وَهُوَ مُحَسِّنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ أَنَّهُ يَغْفِرُ لَهُ
وَيَرْحَمُهُ وَيَسْتَقْبَلُهُ بِالْإِنْعَامِ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ؟!

إِذَا أَمْسَى فِرَاشِي مِنْ تَرَابٍ ○●○ وَصَرْتُ مَجَاوِرَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهُنُّونِي أَحِبَائِي وَقُولُوا ○●○ لَكَ الْبَشْرَى قَدِمْتُ عَلَى كَرِيمِ

ها هنا وقفة مع الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ فَعَنْ فَقِيرِ بْنِ مَسْكِينٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى
الشَّافِعِيِّ أَعُوذُهُ فِي مَرَضٍ مَوْتَهُ فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ:
أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلًا وَإِخْوَانِي مَفَارِقًا، وَلِكَأْسِ الْمَنِيَّةِ شَارِبًا، وَلَا أُدْرِي أَرُوحِي
تَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ فَأَهْنِيهَا أَمْ إِلَى النَّارِ فَأَعْزِيهَا؟ وَأَنْشَأُ يَقُولُ:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ○●○ جَعَلْتُ الرَّجَاءَ مَنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَّرْتُهُ ○●○ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا⁽²⁾

«ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

(1) روي ذلك عن سليمان التيمي كما في السيرة (6/199)، وتهذيب الكمال (12/12).

(2) «دليل الفالحين» لابن علان (2/361).

شَطْرُ الْإِيمَانِ

4

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغوى: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْوُضُوءِ».

وَالْوُضُوءُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرُهُ عَظِيمٌ وَفَضْلُهُ جَلِيلٌ.

فَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ شَطْرُ الْإِيمَانِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ».

(1) رواه مسلم (223).

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ .

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قَالُوا: بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ» .

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ .

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوْ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرَةِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ كَانَتْ بَطَشَتْهَا يَدَاؤُهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ» .

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ» .
وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ .

ففي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ يُقْبَلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» .

(1) رواه مسلم (251) .

(2) رواه مسلم (244) .

(3) رواه مسلم (245) .

(4) رواه مسلم (234) .

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ نُورٌ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ خَلِيلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ».

وَالْحِلْيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ النُّورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَرَادَ بِالْحِلْيَةِ هَا هُنَا التَّحَجُّلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْنَهَايَةِ»⁽²⁾.

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ عِلْمٌ تَمَيَّزَ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ عِنْدَ وَرُودِ الْخَوْصِ.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مَحْجَلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ».

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ لَكِنَّ الْوُضُوءَ الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ تِلْكَ الْفَضَائِلُ هُوَ الْوُضُوءُ الْحَسَنُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ». وَتَقَدَّمَ - أَيضًا - فِي حَدِيثِ عُقْبَةَ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ».

وَهَا أَنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَذْكَرُ لَكُمْ صِفَاتِ وَضُوءِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا هَدْيَ أَحْسَنُ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ.

فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النِّيَّةُ وَهِيَ أَنْ يُنَوِّيَ الْوُضُوءَ بِقَلْبِهِ لِمَا فِي «الصحيحين»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

(1) رواه مسلم (250).

(2) النهاية (1/345).

(3) رواه البخاري (1)، ومسلم (1907).

(4) رواه البخاري (136)، ومسلم (246).

وَلَا يَنْطِقُ بِالنَّبِيَّةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا، وَلِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي الْقَلْبِ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْإِخْبَارِ بِمَا فِيهِ.

ثُمَّ التَّسْمِيَةُ بَعْدَهَا يَقُولُ: بِاسْمِ اللَّهِ لَمَّا فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ».

ثُمَّ غَسَلَ الْوَجْهَ كُلَّهُ ثَلَاثًا مِنَ الْأُذُنِ إِلَى الْأُذُنِ عَرْضًا وَمِنْ مَنَابِتِ شَعْرِ الرَّأْسِ إِلَى أَسْفَلِ اللَّحْيَةِ طَوْلًا.

وَمِنْ الْوَجْهِ الْمَضْمُضَةُ وَهِيَ غَسْلُ الْفَمِ وَتَحْرِيكُ الْمَاءِ فِيهِ، وَالِاسْتِشْقَاقُ وَهُوَ إِيْصَالُ الْمَاءِ إِلَى دَاخِلِ الْأَنْفِ وَجَذْبُهُ بِالنَّفْسِ إِلَى أَقْصَاهُ.

وَالِاسْتِنْثَارُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْمَاءِ مِنَ الْأَنْفِ بَعْدَ الْاسْتِشْقَاقِ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَفْرِطَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْوَجْهَ بِمَا فِيهِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْوُضُوءِ يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ (المائدة: 6).

فَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِغَسْلِ الْوَجْهِ مُطْلَقًا وَفَسْرُهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفِعْلِهِ وَتَعْلِيمِهِ فَمَضْمُضٌ وَاسْتِنْشَقٌ فِي كُلِّ وُضُوءٍ تَوَضَّأَهُ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ) قَالَ: قِيلَ لَهُ: تَوَضَّأْنَا لَنَا وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَكْفَأْنَا مِنْهَا عَلَى يَدَيْهِ، فَغَسَلَهُمَا ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا، فَمَضْمَضَ وَاسْتِنْشَقَ مِنْ كَفِّ وَاحِدَةٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ وَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ يَدَيْهِ

(1) «حسن» أخرجه أبو داود (101)، وابن ماجه (398)، والتِّرْمِذِيُّ (25) وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (81).

(2) رواه البخاري (185)، ومسلم (235).

إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَسَحَ رَأْسَهُ، فَأَقْبَلَ بِيَدَيْهِ
وَأَدْبَرَ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا كَانَ وُضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ غَسْلُ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى لِقَوْلِ اللَّهِ
- سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ (الْمَائِدَةُ : 6).

﴿إِلَى﴾ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - بِمَعْنَى «مَعَ» فَيَجِبُ إِدْخَالُ الْمِرْفَقَيْنِ فِي الْغُسْلِ وَيَجِبُ
- أَيضًا - إِدْخَالُ الْكَعْبَيْنِ فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَغْفَلُ عَنْ ذَلِكَ .

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَفْرَطَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى - أَمَرَ بِغَسْلِ الْيَدَيْنِ
إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَفَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفَعْلِهِ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ فغَسَلَ يَدَيْهِ حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضْدَيْنِ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى أَشْرَعَ
فِي السَّاقَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ» .

ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ مَسْحُ الرَّأْسِ كُلِّهِ مِنْ مَقْدَمِهِ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْهُ الْأُذُنَانِ فَيُدْخَلُ
سَبَّاحَتَيْهِ فِي صِمَاخَيْهِمَا، وَيَمْسَحُ بِإِبْهَامَيْهِ ظَاهِرَهُمَا .

يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ (الْمَائِدَةُ : 6) .

وَالْبَاءُ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - لِلْإِلْصَاقِ فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ «أَمْسَحُوا رُءُوسَكُمْ» .

وَيُؤَيِّدُ مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
«أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْرَجَنَا لَهُ مَاءً فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرِ (أَي قَدَحٍ مِنْ جِيدِ النَّحَاسِ)
فَتَوَضَّأَ فغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِهِ وَأَدْبَرَ بَدَأَ
بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمْ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ» .

(1) رواه مسلم (246) .

(2) رواه البخاري (185)، ومسلم (235) .

وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْأُذُنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ لَأَمْتُهُمَا مِنْهُ. ففِي سَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ
بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأُذُنَانِ مِنَ الرَّأْسِ».

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي غَسْلُ الرَّجْلَيْنِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَعَ الْعِنَايَةِ بِالْعَقَبَيْنِ.

يقول الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (الْمَائِدَةُ : 6).

بَنَصْبِ «أَرْجُلَكُمْ» عَطْفًا عَلَى الْمَغْسُولَاتِ.

و﴿إِلَى﴾ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - بِمَعْنَى «مَعَ» فَيَجِبُ إِدْخَالُ الْكَعْبَيْنِ فِي الْغَسْلِ وَلَا
يَجُوزُ أَنْ يُفْرَطَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِغَسْلِ الرَّجْلَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَفَسَّرَهُ
النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُتَقَدِّمِ فِيهِ قَوْلُهُ: «وَوَسَّلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى
أَشْرَعَ فِي السَّاقَيْنِ».

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - وَضُوءُ النَّبِيِّ ﷺ فَمَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ هَذَا الْوُضُوءِ ثُمَّ صَلَّى
رَكَعَتَيْنِ بِخُشُوعٍ وَحُضُورٍ قَلْبٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ دَعَا بِإِنَاءٍ
فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَيْهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، فَعَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ
(وَاسْتَنْشَر)، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ
غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ
وُضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صحيح» أخرجه ابن ماجه (443)، وصححه الألباني في «الإرواء» (84).

(2) رواه البخاري (158)، ومسلم (226).

الخطبة الثانية - ما ينقض الطهور :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «الوضوء» والآن حديثي معكم عن نواقضه.

أيها الناس قبل أن أذكر نواقض الوضوء أذكركم بسننه.

فمن سنن الوضوء - أيها الناس - السواك فقد أخرج البخاري في صحيحه معلقاً مجزوماً به وصححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله رضي الله عنه: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء».

ومن سنن الوضوء - أيها الناس - غسل الكفين في أول الوضوء.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عثمان رضي الله عنه في صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم: «فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما».

إلا إذا كان مستيقظاً فإنه يجب غسلهما على الصحيح لما في «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسها ثلاثاً، فإنه لا يدري أين باتت يده».

ومن سنن الوضوء - أيها الناس - غسل الأعضاء ثلاثاً عدداً الرأس فيمسح مرة واحدة فقط.

(1) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به (4/158)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (5316).

(2) رواه البخاري (159)، ومسلم (226).

(3) رواه البخاري (162)، ومسلم (278).

لِحَدِيثِ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ الْمُتَقَدِّمِ فِيهِ أَنَّهُ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ⁽¹⁾.

وَتَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً».

وَتَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ: «تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ».

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ مَرَّتَيْنِ وَالْبَعْضُ ثَلَاثًا لَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَسَلَ بَعْضَ أَعْضَائِهِ مَرَّتَيْنِ وَبَعْضَهَا ثَلَاثًا.

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَخْلِيلُ أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ لَمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ لَقِيْطِ بْنِ صَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْبِغِ الْوُضُوءَ وَخَلِّ بَيْنَ الْأَصَابِعِ وَبَالِغٌ فِي الْأَسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا».

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ بَعْدَ الْوُضُوءِ لَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁶⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه البخاري (156).

(3) رواه البخاري (157).

(4) رواه البخاري (185)، ومسلم (191).

(5) «صحيح» أخرجه أبو داود (142)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (129).

(6) رواه البخاري (6433)، ومسلم (226).

فيسبغ، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». ومن سنن الوضوء صلاة ركعتين بعد الوضوء.

لما في «الصحيحين» من حديث عثمان رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

أيها الناس بعد أن ذكرت بعض سنن الوضوء ها أنا أذكر لكم نواقض الوضوء. فمن نواقض الوضوء - أيها الناس - الخارج من السبيلين كالبول والغائط والريح لقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ (للأنفال: 6).

ولما في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ». فقال رجل من حضر موت: ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال: فساء أو ضراط.

ومن نواقض الوضوء - أيها الناس - المني والودي والمذي.

فقد أخرج «البيهقي»⁽²⁾ بسند صحيح إلى ابن عباس أنه قال: «المني، والودي، والمذي: أما المنى فيه الغسل، وأما المذي والودي ففيهما إسباغ الوضوء».

ومن نواقض الوضوء - أيها الناس - النوم المستغرق الذي ليس معه إدراك ولا سيباً إذا شك أن ريحاً خرج منه.

وكذا الجنون والإغماء وما أشبه ذلك من الأدوية المزيلة للعقل.

(1) رواه البخاري (135) واللفظ له، ومسلم (225).

(2) «صحيح» أخرجه البيهقي (1/115).

وَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَسُّ الْفَرْجِ بِلَا حَائِلٍ .
 لَمَّا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ
 بُسْرَةَ بِنْتِ صَفْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ» .
 وَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَكْلُ لُحُومِ الْإِبِلِ .
 لَمَّا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «أَتَوْضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا
 تَتَوَضَّأْ» . قَالَ: أَتَوْضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ» .
 اللَّهُمَّ فَفَهَّنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَكَ عَلَى بَصِيرَةٍ .
 اللَّهُمَّ وَفَقِّنَا لِلْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ .

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (181)، وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (116).

(2) رواه مسلم (360).

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

5

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ حَادِثَانِ مُتَلَازِمَتَانِ وَمْتَرَادِفَتَانِ ثَابِتَانِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ فَلَقَدْ نَصَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى أَنَّ مَعْجَزَةَ الإِسْرَاءِ قَدْ تَمَّتْ لَيْلًا حِينَ تَمَّ انْتِقَالُ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فِي الْقُدْسِ الشَّرِيفِ بِأَرْضِ فِلَسْطِينَ⁽¹⁾.

(1) انظر «نظرة النعيم» (1/247).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الأنفال: 1).

وَمَّا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ .

السُّبْحُ فِي اللُّغَةِ التَّبَاعُدُ وَالْمَعْنَى يَنْزِعُ اللَّهُ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ وَيَعْظُمُهَا عَمَّا لَا يَنْبَغِي وَقَوْلُهُ: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ أَيُّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ .

وَنِسْبَةُ النَّبِيِّ إِلَى رَبِّهِ بِوَصْفِ الْعُبُودِيَّةِ غَايَةُ الشَّرَفِ لِلرُّسُولِ ﷺ لِأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ كَثِيرٌ فَلَمْ يَخْصُصْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالذِّكْرِ؟ ذَلِكَ لِتَخْصِيصِهِ بِالشَّرَفِ الْعَظِيمِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَيْلًا﴾ إِنَّمَا قَالَ ﴿لَيْلًا﴾ مَعَ أَنَّ الْإِسْرَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ تَأْكِيدَ تَقْلِيلِ مُدَّةِ الْإِسْرَاءِ؛ فَإِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ لِحُرْمَتِهِ أَيُّ لِشَرَفِهِ عَلَى سَائِرِ الْمَسَاجِدِ؛ لِأَنَّهُ خُصَّ بِأَحْكَامٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ .

وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى إِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ قِيلَ؛ لِأَنَّهُ مَقَرُّ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهْبَطُ الْمَلَائِكَةِ، لِذَلِكَ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ﴿١١﴾ .

أَيُّ إِلَى حَيْثُ وَجَّهَنِي رَبِّي أَيُّ إِلَى بَرِّ الشَّامِ؛ لِأَنَّهُ عَرَفَ بِتَعْرِيفِ اللَّهِ إِيَّاهُ أَنَّ الشَّامَ مَهْبَطُ الرَّحْمَاتِ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْوُجُحِيِّ يَكُونُ بِالشَّامِ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا بِهَا .

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أَيُّ مَا رَأَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ .

وَأَمَّا الْمِعْرَاجُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَهُوَ الْإِنْتِقَالُ بِالرُّسُولِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ، لِتَصِلَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَلِيَطَّلِعَ بِحَوَاسِهِ وَدُونَ شَكِّ عَلَى آيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ ﴾ (الجنَّة: 13-18).

وَمَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ . أَي رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّةً أُخْرَى نَازِلًا إِلَيْهِ .
فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ . قَالَ : رَأَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جَبْرِيلَ لَهُ سِتْمِائَةَ جَنَاحٍ .

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَأَيْنَ قَوْلُهُ : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ ﴾ . قَالَتْ : ذَلِكَ جَبْرِيلُ ، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ ، وَإِنَّ آتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ فَسَدَّ الْأُفُقُ .
وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ .

هِيَ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ؛ لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يَعْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَيَنْزِلُ إِلَيْهَا مَا يَنْزِلُ مِنَ اللَّهِ - فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - جَبْرِيلَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ .

أَيَّ الْجَنَّةِ الْجَامِعَةَ لِكُلِّ نَعِيمٍ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ .

(1) رواه مسلم (175).

(2) رواه البخاري (4857)، ومسلم (174).

(3) رواه البخاري (3235)، ومسلم (177).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْنَى السِّدْرَةَ مَا يَعْنَى﴾ .

أَيَّ يَعْشَاهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ شَيْءٍ عَظِيمٍ لَا يَعْلَمُ وَصْفَهُ إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ . أَي: مَا زَاغَ يَمَنَّةً وَلَا يَسْرَةً عَنْ مَقْصُودِهِ. وَ

﴿وَمَا طَغَى﴾ أَي: مَا تَجَاوَزَ الْبَصَرُ. وَهُوَ كَمَا الْأَدَبِ مِنْهُ ﷺ .

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ .

أَيَّ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي رَأَاهَا ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ (1).

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ أَدَّعَى بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَتْ رُؤْيَا مَنَامِيَّةً وَالَّذِي دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ حَصَلَتْ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّهَا كَانَتْ رُؤْيَا عَيْنٍ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ يَقْظَةً لَا مَنَامًا».

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ وَقَعَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَقْظَةِ بِجَسَدِ النَّبِيِّ ﷺ وَرُوحِهِ بَعْدَ الْبَعْثِ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا يَنْبَغِي الْعُدُولُ عَنْ ذَلِكَ، إِذْ لَيْسَ فِي الْعَقْلِ مَا يُحِيلُهُ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى تَأْوِيلٍ» (2).

أَيُّهَا النَّاسُ ذَلِكَ مَا أَجْمَلَهُ الْقُرْآنُ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ! وَقَدْ فَصَّلْتُهُ السُّنَّةُ أَعْظَمَ التَّفْصِيلِ وَبَيَّنَّتْهُ أَحْسَنَ الْبَيَانِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ» (3) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«فَرَجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جَبْرِيْلُ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ

(1) انظر «تفسير السَّعْدِي» (819) بتصرف يسير.

(2) انظر «الفتح» (44/15) وزَادَ الْمَعَادِنُ (99/1) حَيْثُ نَصَّ عَلَى أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

(3) رواه البخاري (3342، 1636، 349)، ومسلم (163).

بَطَسْتِ مِنْ ذَهَبٍ مُتَلِيٍّ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَعُهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقُهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا....».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ (وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مَنْتَهَى طَرَفِهِ) قَالَ، فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلِيقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ. قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ. فَجَاءَنِي جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى ابْنَ زَكَرِيَّا - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا - ، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ

(1) رواه البخاري عن أبي هريرة (7515)، ومسلم (162) واللفظ له.

إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِأَدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (مَرْكَبُهُ : 57).

ثُمَّ عُرِّجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِّجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِّجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدٌ ظَهْرُهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرْفُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ، وَإِذَا ثَمْرُهَا كَالْقَلَالِ، قَالَ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشَى تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَكَلِيلَةً.

فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟

قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ.

قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا.

فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

قَالَ: فَلَمْ أَزَالُ أُرَاجِعُ بِيَّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَبَيْنَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ: إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمَلَهَا كَتَبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تَكْتُبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً.

قال: فنزلتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحَيْتُ مِنْهُ». وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - عظمة الصلاة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ عَنْ «عِظْمَةِ الصَّلَاةِ».

وَالصَّلَاةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَقَدْرٌهَا جَلِيلٌ وَمَا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ شَأْنِهَا
وَعَلْوِ قَدْرِهَا أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - لَمْ يَفْرُضْهَا فِي الْأَرْضِ بِوَسْطَةِ جَبْرَيْلَ، وَإِنَّمَا
فَرَضَهَا بِدُونِ وَسْطَةِ لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ الصَّلَاةُ فَرَضَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً، ثُمَّ خَفَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -
عَلَى عِبَادِهِ فَفَرَضَهَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَهِيَ خَمْسُونَ فِي الْمِيزَانِ وَخَمْسُ
فِي الْعَمَلِ.

جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ قَالَ: «خَفَّفَ عَلَيْنَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ حَافِظُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ فَإِنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ، وَأَعْظَمُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ
وَدَعَائِمِهِ الْعِظَامِ وَأَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ مِنْ عَمَلِهِ.

فَفِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَةُ الْعَلَامَةِ الْأَلْبَانِيِّ فِي «الإِرْوَاءِ» مِنْ حَدِيثِ
مَعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةٌ
سِنَامِهِ الْجِهَادُ».

(1) رواه البخاري (7515).

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ».

وأخرج الطبراني في الأوسط بسندٍ صحيحٍ صححه الألباني في «الإرواء»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُودَعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكَرْكُمْ بِآخِرِ وَصِيَّةِ أَوْصِيَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ وَهُوَ يُودَعُ الدُّنْيَا.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنْدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ مِنْ آخِرِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ». حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يُجْلِسُهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانَهُ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ حَيْثُ ينادى لَهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(1) رواه البخاري (8)، ومسلم (16).

(2) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (409/1)، وصححه الألباني بمجموع طرقه كما في «الصحيحة» (3/346).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (6/290)، وصححه الألباني في «الإرواء» (7/238).

الخشوع في الصلاة

6

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغوية: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي سَاءَ لَوْ نَبَهُ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجتهاد: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْخُشُوعُ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَقَدْرُهُ جَلِيلٌ فَهُوَ سَبَبٌ عَظِيمٌ مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

(المؤمنون: 1-2).

أَيُّ خَائِفُونَ سَاكِنُونَ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «الْخُشُوعُ هُوَ السُّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ وَالتَّوَدُّةُ وَالتَّوَضُّعُ وَالْحَامِلُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَمِرَاقِبَتُهُ»⁽¹⁾.

(1) تفسير ابن كثير (6/418).

ومحل الخشوع - أيها الناس - في القلب وثمرته على الجوارح.
 دلَّ على ذلك ما جاء في سنن الترمذيِّ بسندٍ صحيحٍ صححه الألبانيُّ في
 «صحيح الترمذيِّ»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ
 لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ».

فدلَّ هذا الدعاء على أنَّ الخشوعَ محلُّه القلبُ وهو يزيدُ وينقصُ فمنهم من يبلغُ
 خشوعه عنان السماء ومنهم من يخرج من صلاته لم يعقل شيئاً كما في مسند أحمد بسندٍ
 حسنٍ حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث عمارة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرُهَا، تَسْعُهَا،
 ثَمْنُهَا، سُبْعُهَا، سَدْسُهَا، خَمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا».

فدلَّ الحديثُ - أيها الناس - على أنَّ الأجرَ حاصلٌ بحسبِ الخشوعِ.
 وحكمُ الخشوعِ - أيها الناس - أنه واجبٌ على الصَّحيحِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَسْتَعِينُوا
 بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥).

وهذا يقتضي ذمَّ غير الخاشعين والذمُّ لا يكونُ إلا لتركِ واجبٍ أو فعلِ محرَّم.
 وإن كان غير الخاشعين مذمومين دلَّ ذلك على وجوب الخشوع.

ويدلُّ على وجوب الخشوع فيها - أيضاً - قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (الذِّينَ
 هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (٢) ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: (1-2). إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠)

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (3729)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترمذيِّ» (2769).

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (321/4)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (1626).

الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ (المؤمنون: 10-11). أخبر - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -
 أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَرْتُونَ فِرْدَوْسَ الْجَنَّةِ وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَرْتُهَا غَيْرُهُمْ⁽¹⁾.

ومما جاء في فضل الخشوع ووعيد من تركه - أيها الناس - :

ما أخرجه أبو داود في سننه بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ، مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ، وَصَلَاهُنَّ لَوْ قَتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفَرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، مَقْبَلٌ عَلَيْهَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَمَعَ ﷺ بَهَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ أَنْوَاعَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ؛ لِأَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْأَعْضَاءِ وَالْخُشُوعَ فِي الْقَلْبِ عَلَى مَا قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ»⁽⁴⁾.

وفي «صحيح مسلم»⁽⁵⁾ من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ تَحَضَّرَهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ بِكَبِيرَةٍ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ».

(1) الفتاوى (553/22).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (425)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3242).

(3) رواه مسلم (234).

(4) عون المعبود (1/198).

(5) رواه مسلم (228).

والخشوعُ في الصَّلَاةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِنَّمَا يَحْصُلُ لِمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا عَدَاهَا، وَآثَرَهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ رَاحَةً لَهُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا جَاءَ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ وَالطُّيْبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (3/128)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (3124).

(2) انظُرْ «تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ» (5/456).

الخطبة الثانية - أسباب الخشوع :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «أَهْمِيَةِ الْخُشُوعِ» وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمَوْصَلَةِ إِلَيْهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْخُشُوعَ هُوَ السَّبَبُ الْأَهْمُ لِقَبُولِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ أَرْكَانِ
الدِّينِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، بَلْ إِنَّهُ لَيْسَهُلَّهَا وَيَجِبُّهَا إِلَى النُّفُوسِ.

قَالَ ابْنُ سَعْدِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (١٥) .
«أَيُّ فَاتَمَّتْ سَهْلَةٌ عَلَيْهِمْ خَفِيفَةٌ؛ لِأَنَّ الْخُشُوعَ وَخَشْيَةَ اللَّهِ وَرَجَاءُ مَا عِنْدَهُ يُوجِبُ لَهُ
فَعْلَةً مَنشَرًا بِهَا صَدْرُهُ لَتَرْقِبِهِ لِلثَّوَابِ وَخَشْيَتِهِ مِنَ الْعِقَابِ، كَمَا أَنَّ الْخُشُوعَ هُوَ
الْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ» (١).

وَلَنْ يَصَلَ الْعَبْدُ إِلَى الْخُشُوعِ الْحَقِيقِيِّ إِلَّا إِذَا أَخَذَ بِالْأَسْبَابِ الْمَوْصَلَةِ إِلَيْهِ.
فَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيمَانُ الصَّادِقُ بِمَا يَتَرْتَبُ عَلَى الْخُشُوعِ مِنْ
فَضْلِ عَظِيمٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ الْإِحْسَاسِ بِالسُّكُونِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٢) مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مِنْ أَمْرِ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيَحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا
وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ بِكَبِيرَةٍ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ».

(1) تفسير ابن سَعْدِي (51).

(2) رواه مُسْلِمٌ (228).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِسْتِعْدَادُ لِلصَّلَاةِ وَيَحْضُلُ بِأُمُورٍ مِنْهَا التَّرْدِيدُ مَعَ الْمُؤَذِّنِ وَالْإِتْيَانُ بِالدُّعَاءِ الْمَشْرُوعِ بَعْدَهُ، وَإِحْسَانُ الْوُضُوءِ وَالْإِعْتِنَاءُ بِالسُّوَاكِ وَأَخْذُ الزَّيْنَةِ بِالسُّوَاكِ الْحَسَنِ الطَّيِّبِ الرَّائِحَةِ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ ﷻ بِإِتْيَانِ مَا دَمَ خُدُوءًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴿الْإِسْرَافِ: (٣١)﴾.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَلْبَسْ ثَوْبِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ مَنْ تَزِينُ لَهُ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّلَاةُ إِلَى سِتْرَةٍ وَالدُّنُوبُ مِنْهَا فَذَلِكَ أَحْفَظُ لَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ مَرُورِ النَّاسِ وَلَيْلًا يَشُوشُ عَلَى نَفْسِهِ.

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ سَهِيلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَصِلْ إِلَى سِتْرَةٍ، وَلْيَدْنُ مِنْ سِتْرَتِهِ لَا يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْحِكْمَةُ مِنَ السُّتْرَةِ كَفُّ الْبَصَرِ عَمَّا وَرَاءَهُ وَمَنْعُ مَنْ يَجْتَازُ بِقُرْبِهِ وَتَمْنَعُ الشَّيْطَانَ الْمُرُورَ، وَالتَّعَرُّضُ لِإِفْسَادِ صَلَاتِهِ»^(٣).
وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّظَرُ إِلَى مَوْضِعِ السُّجُودِ.

فَفِي مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَوَافِقُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صِفَةِ الصَّلَاةِ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى طَأْطَأَ رَأْسَهُ وَرَمَى بَبْصَرِهِ نَحْوَ الْأَرْضِ».

(١) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (28/1)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1369).

(٢) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (692)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (650).

(٣) شَرَحَ النَّوَوِيُّ عَلَى مُسْلِمَ (216/4).

(٤) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (479/1)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صِفَةِ الصَّلَاةِ» (ص 89).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الطُّمَأْنِينَةُ فِي الصَّلَاةِ فِي جَمِيعِ الْأَرْكَانِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا عَلَّمَ الْمَسِيءَ صَلَاتَهُ كَانَ يَقُولُ لَهُ فِي كُلِّ رَكْنٍ: «حَتَّى تَطْمِئَنَ». كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثٍ

وَالطُّمَأْنِينَةُ: هِيَ السُّكُونُ بِقَدْرِ الذِّكْرِ الْوَاجِبِ، فَلَوْ لَمْ يَسْكُنْ لَمْ يَطْمِئَنَ⁽²⁾.
وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرَقَةُ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ، لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا وَلَا خُشُوعَهَا».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَذَكَرَ الْمُصَلِّيَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ.
فَفِي «مُسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ» لِلدَّيْلَمِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذْكُرِ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِكَ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ لَحْرِيٌّ أَنْ يَحْسِنَ صَلَاتَهُ وَصَلَّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنْ يَصَلِّيَ صَلَاةَ غَيْرِهَا، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَدَرُ مِنْهُ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَرْتِيلُ الْقُرْآنِ وَتَحْسِينُ الصَّوْتِ بِهَا.
لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۗ﴾ (الْمُرْتَلِّكَ: 4).

وَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا».

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (757)، وَمُسْلِمٌ (392).

(2) انظُرْ «حَاشِيَةَ أَبِي قَاسِمٍ عَلَى الرَّوْضِ» (2/126)، وَ«الشَّرْحَ الْمَمْتَعُ» (3/421).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدٌ (11549)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (986).

(4) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي «مُسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ» (1/51) وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1421).

(5) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (1/575) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (771).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَعْلَمَ الْمُصَلِّي أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يُحِبُّهُ فِي صَلَاتِهِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ: حَمَدِي عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ قَالَ اللَّهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ اللَّهُ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

وهذا - أَيُّهَا النَّاسُ - حديثٌ عظيمٌ لو استحضره كلُّ مُصَلٍّ لَحَصَلَ لَهُ خُشُوعٌ بَالِغٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - . ولا شك أنَّ الْمُصَلِّيَّ يُنَاجِي رَبَّهُ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ؟

ففي مستدرِكِ الحاكمِ بسندٍ صحيحٍ صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي إِنَّهَا يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فَالْعَبْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ غَارَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَامَ فِي أَعْظَمِ مَقَامٍ فَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فَإِنْ عَجَزَ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ فَيَذْكُرُهُ الضَّيْعَةَ وَالْأَوْلَادَ وَالْمَالَ وَالْعَقَارَ فَيَقُومُ مِنْ صَلَاتِهِ كَمَا دَخَلَ فِيهَا وَقَدْ عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ الْقَلْبَ مَحَلَّ نَظَرِ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ دَعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (395).

(2) «صحيح» أخرجه الحاكم في «مستدرِكِهِ» (236/1)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (1538).

وَلَمَّا جَهَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ أَرشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْعِلَاجِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاعَتِي يَلْبَسُهَا عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ حَنْزُبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتَّقِلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَرْكُ الْإِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ.

ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا التَّفَتَ انْصَرَفَ عَنْهُ».

وَالْإِلْتِفَاتُ فِي الصَّلَاةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَى قِسْمَيْنِ الْأَوَّلُ التَّفَاتُ الْقَلْبِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ

- سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - .

وَالثَّانِي التَّفَاتُ الْبَصَرِ، وَكِلَاهُمَا مِنْهُي عَنْهُ وَيُنْقِصُ مِنْ أَجْرِ الْمَصَلِيِّ.

ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ».

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْخَاشِعِينَ فِي صَلَاتِهِمْ، اللَّهُمَّ ازْرِقْنَا خُشُوعَ الْقُلُوبِ وَخُضُوعَ الْجَوَارِحِ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكِرَّهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.

(1) رواه مسلم (2203).

(2) «حسن» رواه أبو داود (909)، وحسنه الألباني في «الترغيب» (1/360-361).

(3) رواه البخاري (751).

سُنَنُ قَلِّ الْعَمَلِ بِهَا

7

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّحْقِيقَاتُ: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (السَّنَنَةُ: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْإِحْتِزَامُ: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «سُنَنِ قَلِّ الْعَمَلِ بِهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا مَا أَكْثَرَ السُّنَنَ الْمَهْجُورَةَ الثَّابِتَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ!

وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

(التَّحْقِيقَاتُ: 31).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ الْآيَةُ حَاكِمٌ عَلَى كُلِّ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَلَيْسَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ. فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمَحْمُودِيَّ وَالِدِينَ النَّبَوِيِّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ ...»

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيَنْفِرْ لَكُمْ ذُؤَبُكُمُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. أَي: بِاتِّبَاعِكُمْ الرَّسُولَ يَحْصُلُ لَكُمْ هَذَا كُلُّهُ بِبِرْكَةِ سَفَارَتِهِ⁽¹⁾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الْأَنْبِيَاءُ: 21).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلُ كَبِيرٌ فِي التَّائِسِيِّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ»⁽²⁾.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ الْعُرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ لَنَا؟

فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

قَالَ الْعَلَامَةُ الْعَبَادُ حَفِظَهُ اللَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ بِحُصُولِ التَّفَرُّقِ وَكَثْرَتِهِ أَرشَدَ إِلَى طَرِيقِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ وَذَلِكَ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ وَخُلَفَاؤِهِ الرَّاشِدُونَ هُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَدْ وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خِلَافَتَهُمْ بِأَنَّهَا خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ.

(1) تفسیر ابن کثیر (1/319).

(2) تفسیر ابن کثیر (4/211).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4607)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (937).

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَوْدَ بَسْنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ سَفِينَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خِلَافَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمَلِكَ أَوْ مَلِكُهُ مِنْ يَشَاءُ».

وَقَدْ انْتَهَتْ تِلْكَ الثَّلَاثُونَ بِمَوْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ حَثَّ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ بِقَوْلِهِ: «فَعَلَيْكُمْ». وَهِيَ اسْمٌ فَعْلٌ أَمْرٌ ثُمَّ أُرْشِدَ إِلَى شِدَّةِ التَّمَسُّكِ بِقَوْلِهِ: «وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ». وَالنَّوَاجِذُ هِيَ الْأَصْرَاسُ، وَذَلِكَ مُبَالِغَةٌ فِي شِدَّةِ التَّمَسُّكِ بِهَا⁽²⁾.

أَرَأَيْتُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى أَيِّ مَدَى بَلَغَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْوَصِيَّةِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ.

فَانْتَبَهُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - لِلدُّخْلَاءِ عَلَى الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ يُقَسِّمُونَ الدِّينَ إِلَى قَشُورٍ وَلِبَابٍ فَيَصِفُونَ السُّنَنَ بِأَنَّهَا قَشُورٌ وَالْقَشُورُ كَمَا تَعْلَمُونَ يُرْمَى بِهَا مِثْلَ قَشْرِ الرَّمَّانِ وَلَيْسَ فِي دِينِ اللَّهِ شَيْءٌ يُرْمَى بِهِ بَلْ فِيهِ مُهِمٌّ وَأَهْمٌ وَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ يُعْطَى كُلَّ حَقِّ حَقَّهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ فِي الْعَمَلِ بِالسُّنَّةِ ثَوَابًا عَظِيمًا وَفِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا أَجْرًا جَزِيلًا. فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا».

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4646)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (460).

(2) فَتَحَ الْقَوِيُّ الْمُتِينَ شَرَحَ الْأَرْبَعِينَ لِلْعَبَادِ (83).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2674).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرٌ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجورِهِمْ شَيْءٌ».

قال النووي رحمه الله: «فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ، وَسَنُّ السُّنَنِ الْمُسْتَحَبَاتِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ»⁽²⁾.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «السُّنَّةُ الَّتِي تَرَكْتُ، ثُمَّ فَعَلَهَا الْإِنْسَانُ فَأَحْيَاهَا، فَهَذَا يُقَالُ عَنْهُ أَسَنَّهَا، بِمَعْنَى أَحْيَاهَا، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَشْرَعْهَا مِنْ عِنْدِهِ»⁽³⁾.

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - قَلَّةُ الْعُنَايَةِ بِالسُّوَالِكِ وَالْإِهْتِمَامِ بِهِ⁽⁴⁾ فَهَذَا السُّوَالِكُ وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا السُّوَالِكُ؟! السُّوَالِكُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ الصَّنْعَانِيُّ فِي «سَبِيلِ السَّلَامِ»: قَالَ فِي «الْبَدْرِ الْمُنِيرِ»: ذُكِرَ فِي السُّوَالِكِ زِيَادَةٌ عَلَى مِائَةِ حَدِيثٍ، فَوَاعَجَبًا لِسُنَّةٍ تَأْتِي فِيهَا الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ ثُمَّ يَهْمِلُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فَهَذِهِ خَبِيَّةٌ عَظِيمَةٌ⁽⁵⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَوْلَا أَنْ الْمَقَامَ لَا يَتَسَعُّ لِسَرْدِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ لِأَلْقِيَتْهَا عَلَى مَسَامِعِكُمْ! لَكِنْ يَكْفِي أَنْ أَسْمَعَكُمْ حَدِيثًا وَاحِدًا كَمَا قِيلَ يَكْفِي مِنَ الزَّادِ مَا يُبْلِغُ الْمَحَلَّ.

ففي «الصحيحين»⁽⁶⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسُّوَالِكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ».

(1) رواه مسلم (1017).

(2) فتاوى ابن عثيمين (360/7).

(3) انظر كتاب الوصية ببعض السنن المنسية لهيفاء بنت عبد الله الرشيد (ص 41)، وقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة.

(4) «سبيل السلام» (40/1).

(5) رواه البخاري (887)، ومسلم (252).

(2) شرح النووي على مسلم (4/113).

وَالسَّوَاكُ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَا يُسْتَحَبُّ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ فَقَطْ بَلْ كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «السَّوَاكُ مُسْتَحَبٌّ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَلَكِنْ فِي خَمْسَةِ أَوْقَاتٍ أَشَدُّ اسْتِحْبَابًا، إِحْدَاهُمَا: عِنْدَ الصَّلَاةِ، وَالثَّانِي: عِنْدَ الْوُضُوءِ، وَالثَّلَاثُ: عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالرَّابِعُ: عِنْدَ الْاسْتِيقَاطِ مِنَ النَّوْمِ، وَالخَامِسُ: عِنْدَ تَغْيِيرِ الْفَمِ. وَتَغْيِيرُهُ يَكُونُ بِأَشْيَاءَ: مِنْهَا الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ، وَمِنْهَا أَكْلُ مَالِهِ رَائِحَةً كَرِيمَةً، وَمِنْهَا طَوْلُ السَّكُوتِ، وَمِنْهَا كَثْرَةُ الْكَلَامِ»⁽¹⁾.

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمُبَالِغَةُ فِي الْاسْتِنْشَاقِ عِنْدَ الْوُضُوءِ، وَكَذَلِكَ التَّخْلِيلِ بَيْنَ الْأَصَابِعِ.

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ لَقِيطِ بْنِ صَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْبِغِ الْوُضُوءَ وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالِغٌ فِي الْاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا».

فَفِي الْحَدِيثِ - أَيُّهَا النَّاسُ - دَلِيلٌ عَلَى التَّخْلِيلِ بَيْنَ الْأَصَابِعِ وَالْمُبَالِغَةِ فِي الْاسْتِنْشَاقِ لِغَيْرِ الصَّائِمِ لِثَلَاثِ أَنْوَاعٍ إِلَى حَلْقِهِ مَا يُفَطِّرُهُ.

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - الْوُضُوءُ قَبْلَ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ. فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «أَذْنَيْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُسْلَهُ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَغَسَلَ كَفَّيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ثُمَّ أَفْرَغَ بِهِ عَلَى فَرْجِهِ وَغَسَلَهُ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ ضَرَبَ بِشِمَالِهِ الْأَرْضَ فَدَلَّكَهَا دَلْكًا شَدِيدًا، ثُمَّ

(1) شرح النووي على مسلم (2/146).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (142)، والترمذي (38) وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وصححه

الألباني في «صحيح الجامع» (927).

(3) رواه البخاري (274)، ومسلم (317) واللفظ له.

تَوَضَّأَ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ مَلَىءَ كَفَّهُ ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ فغَسَلَ رِجْلَيْهِ».

وَمِنَ السُّنَنِ الْمُنْسِيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَاةُ النَّافِلَةِ عَلَى الرَّاحِلَةِ فِي السَّفَرِ وَلَوْ إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي التَّطَوُّعَ وَهُوَ رَاكِبٌ فِي غَيْرِ الْقِبْلَةِ.

وَفِي لَفْظِ «لِلْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ فَإِذَا أَرَادَ الْفَرِيضَةَ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ.

أَيُّهَا النَّاسُ هَا قَدْ تَيَسَّرَتْ لَنَا وَسَائِلُ السَّفَرِ الْمَرِيحَاتِ كَالسِّيَّارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ فَمَا أَجْمَلَ أَنْ نُنَبِّقَ السُّنَّةَ حَيْثُ تَوَجَّهْنَا فَإِذَا حَدَّثَ لَنَا حَدِيثٌ تَكُونُ خَاتِمَةً حَسَنَةً - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .

وَمِنَ السُّنَنِ الْمُنْسِيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - رَدُّ الْمُصَلِّي السَّلَامَ بِالْإِشَارَةِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنِي لِحَاجَةٍ ثُمَّ أَدْرَكَتُهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَأَشَارَ إِلَيَّ.

(1) رواه البخاري (1093).

(2) رواه البخاري (1094).

(3) رواه البخاري (400).

(4) رواه البخاري (1217)، ومسلم (540).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَتَحْرِيمُ رَدِّ السَّلَامِ فِيهَا بِاللَّفْظِ، وَأَنَّهُ لَا تَضُرُّ الْإِشَارَةُ بَلْ يُسْتَحَبُّ رَدُّ السَّلَامِ بِالْإِشَارَةِ»⁽¹⁾.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ إِشَارَةً وَقَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: إِشَارَةً بِأَصْبِعِهِ».

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قُلْتُ لِبَلَالٍ كَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ حِينَ كَانُوا يُسَلِّمُونَ. قَالَ: يُشِيرُ بِيَدِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمْ يَكُنْ - أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَرُدُّ بِيَدِهِ وَلَا بِرَأْسِهِ وَلَا بِأَصْبَعِهِ إِلَّا فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ كَانَ يَرُدُّ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ إِشَارَةً».

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - مُتَابِعَةُ الْمُؤَدِّنِ وَالْمَقِيمِ وَقَوْلُ مِثْلَ مَا يَقُولُ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ النَّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَدِّنُ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَدِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ

(1) شرح النووي على مسلم (3/31).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (925)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (858).

(3) «صحيح» أخرجه أبو داود (927)، والترمذي (368) وصححه الألباني في «الصحيحة» (185).

(4) رواه البخاري (611)، ومسلم (383)، وأبو داود (522)، والترمذي (208)، وابن ماجه (820).

(5) رواه مسلم (385)، وأبو داود (527).

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ ذَهَبَ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ فِي الْإِقَامَةِ مُتَابَعَةُ الْمُقِيمِ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُقِيمُ كَمَا يُتَابَعُ فِي أَذَانِهِ.

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ فِي الْإِقَامَةِ مِثْلَ مَا يَقُولُ»⁽¹⁾.

وَمِنَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَقِبَ الْأَذَانِ وَسؤالُ الْوَسِيلَةِ لَهُ وَقَوْلُ رَضِيَتْ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مِنْ صَلَاتِي عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِه عَشْرًا، ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُوا أَنْ أَكُونَ أَنَا، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَأَبْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(1) «المغنى» (87/2).

(2) رواه مسلم (384)، وأبو داود (523)، والترمذي (3614).

(3) رواه البخاري (614)، وأبو داود (529)، والترمذي (211)، والنسائي (680)، وابن ماجه (722).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه مسلم (386)، وأحمد (1565)، وأبو داود (525)، والترمذي (210)، والنسائي (679)، وابن ماجه (721).

الخطبة الثانية - سُنُّ شِبْهُ مَنْسِيَّةٍ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «سُنَنِ قَلِّ الْعَمَلِ بِهَا» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ سُنَنِ مَنْسِيَّةٍ.

فَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الْمَنْسِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَاةُ النَّوَافِلِ فِي الْبَيْتِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ النَّوَافِلِ الرَّاتِبَةِ مَعَ الْفَرَايِضِ وَالْمُطْلَقَةِ إِلَّا
فِي النَّوَافِلِ الَّتِي هِيَ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ الْعِيدُ وَالْكَسُوفُ وَالِاسْتِسْقَاءُ وَكَذَا
التَّرَاوِيحُ عَلَى الْأَصَحِّ فَإِنَّهَا مَشْرُوعَةٌ فِي جَمَاعَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَالِاسْتِسْقَاءِ فِي الصَّحْرَاءِ»⁽²⁾.

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا
قَضَى أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ
مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا حَثَّ عَلَى النَّافِلَةِ فِي الْبَيْتِ لِكَوْنِهِ أَحْفَى وَأَبْعَدَ مِنَ
الرِّيَاءِ وَأَصْوَنَ مِنَ الْمُحِبَّاتِ، وَلِيَتَبَرَّكَ الْبَيْتُ بِذَلِكَ، وَتَنْزِلَ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَالْمَلَائِكَةُ
وَيَنْفَرَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري (731)، ومسلم (781).

(2) شرح النووي على مسلم (3/328).

(3) رواه البخاري (432)، ومسلم (777).

(4) شرح النووي على مسلم (3/326، 327).

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَدَاءُ السُّنَّةِ فِي الْبَيْتِ أَفْضَلُ مِنْ أَدَائِهَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْضَلُ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ» يَقُولُ ذَلِكَ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ، وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الصَّلَاةِ فِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَكَانَ هُوَ نَفْسُهُ يُصَلِّي النَّافِلَةَ فِي بَيْتِهِ»⁽¹⁾.

ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْهُ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فَالزُّمُوهَا فَإِنَّهُ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: «إِنَّمَا يَرْفَعُ اللَّهُ الْعَبْدَ بِقَدْرِ تَمَسُّكِهِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

اللَّهُمَّ فَفَهَّنَا فِي الدِّينِ وَوَفَّقْنَا لِاتِّبَاعِ نَبِيِّكَ وَالْإِهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ.
اللَّهُمَّ أَنْفَعْنَا وَانْفَعْنَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

(1) فَتَاوَى ابْنِ عُثَيْمِينَ (14/355، 356).

(2) رَأْدُ الْمَعَادِ (2/419).

القلب السليم

8

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابرة: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأجنابة: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْقَلْبِ السَّلِيمِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ إِصْلَاحَ الْقُلُوبِ مِنَ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ، وَالْمَقَاصِدِ السَّامِيَةِ، لِأَنَّ

الْقَلْبَ مَحَلُّ نَظْرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾

(الأجنابة: 51).

فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2564).

وَصَلَّاحُ الْجَوَارِحِ بِصَلَّاحِ الْقَلْبِ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ».

وَلَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ».

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَصْلُ الإِسْتِقَامَةِ اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَى التَّوْحِيدِ، فَمَتَى اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَعَلَى خَشْيَتِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَرَجَائِهِ وَدُعَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ اسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ كُلُّهَا»⁽³⁾.

وَالْقَلْبُ كَثِيرُ التَّقَلُّبِ فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظُرَ بِمَا يُحْتَمُّ لَهُ - يَعْنِي بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقَدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلِيَانًا».

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَمْثَالِ وَأَبْلَغِهَا وَأَعْظَمِهَا تَقْرِيْبًا لِلْأَفْهَامِ»⁽⁵⁾.

(1) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (52)، وَمُسْلِمٌ (1599).

(2) «حَسَنٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (198/3) وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (2554).

(3) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ» (511/1 - 512).

(4) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (4/6) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ بِطَرِيقِهِ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1772).

(5) «أَعْلَامُ الْمَوْقِعِينَ» (295/1).

وقال الشاعر:

مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقْلِبِهِ ○●○ فَاخْذِرْ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلِ

وَيُصَوِّرُ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ الْقَلْبَ كَرِيْشَةٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْقَلْبَ كَرِيْشَةٍ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يُقِيمُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِيَطْنِ».

وَلَمَّا كَانَ الْقَلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِهَذِهِ الْحَالَةِ كَانَ عُرْضَةً لِلْفِتَنِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نَكَّتَتْ فِيهِ نُكْتَهُ سَوْدَاءٍ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكَّتَتْ فِيهِ نُكْتَهُ بِيضَاءٍ، حَتَّى تَعُوْدَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبٍ أَسْوَدَ مِرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيَا (أَيُّ: كَالْإِنَاءِ مَكْبُوبًا مِنْ كُوسًا) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، وَقَلْبٍ أَبْيَضَ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ».

فَالْقَلْبُ السَّلَامُ مِنْ تِلْكَ الْفِتَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

(الشُّعْرَاءُ: 88-89).

وَلِلْقَلْبِ السَّلِيمِ عَلَامَاتٌ يُعْرَفُ بِهَا.

(1) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (4/419)، وَابْنُ مَاجَهَ (88) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَهَ» (71).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (144).

فَمِنْ عِلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ سَالِمًا مِنْ مَحَبَّةِ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ، فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ سَلَامَتُهُ مِنَ الشَّرِكِ الْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ، وَمِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، وَمِنَ الْفُسُوقِ وَالْمَعَاصِي - كِبَائِرِهَا وَصَغَائِرِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، كَالرِّبَا وَالْعُجْبِ، وَالغِلِّ وَالْحَقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ⁽¹⁾.

فَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ» قَالُوا: صَادِقُونَ اللِّسَانَ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ».

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا الْقَلْبُ أَحَبُّ الْقُلُوبِ إِلَى اللَّهِ وَأَكْثَرُهَا خَيْرًا، تَتَّبِعُ مِنْهُ عِيُونَ الْخَيْرِ، وَتَنْفَجِرُ مِنْهُ يَنَابِيعُ الْبِرِّ، وَمَبَارُ اللَّهِ وَنِعْمَةُ تَغْشَاهُ عَلَى الدَّوَامِ»⁽³⁾.

وَمِنْ عِلَامَةِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَرْتَحِلَ عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى يَنْزِلَ بِالْآخِرَةِ، وَيَجَلَّ فِيهَا حَتَّى يَبْقَى كَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا جَاءَ إِلَى هَذَا الدَّارِ غَرِيبًا يَأْخُذُ مِنْهَا حَاجَتَهُ وَيَعُودُ إِلَى وَطَنِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَمِنْ عِلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَضْرِبُ عَلَى صَاحِبِهِ حَتَّى يَعُودَ إِلَى اللَّهِ وَيُجِبَّتْ إِلَيْهِ وَيَتَعَلَّقَ بِهِ تَعَلُّقَ الْمَحَبِّ الْمَضْطَرِّ إِلَى مَحْبُوبِهِ، الَّذِي لَا حَيَاةَ لَهُ

(1) شرح حديث شداد بن أوس (ص 14) لابن رجب رحمه الله.

(2) «صحيح» رواه ابن ماجه (4216)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (3397).

(3) «طريق المجرئين» (ص 606).

(4) رواه البخاري (6416).

وَلَا نَعِيمَ وَلَا سُرُورَ إِلَّا بِرِضَاهُ وَقُرْبِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ فَبِهِ يَطْمَئِنُّ، وَإِلَيْهِ يَسْكُنُ وَإِلَيْهِ يَأْوِي، وَبِهِ يَفْرَحُ، وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَبِهِ يَثِقُ وَإِيَّاهُ يَرْجُو، وَلَهُ يَخَافُ⁽¹⁾.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيَالَهُ مِنْ قَلْبٍ، مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ!، وَمِنْ قُرْبِهِ مَا أَخْطَاهُ!»⁽²⁾.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ نَالَ غِذَاءَهُ وَدَوَاءَهُ، وَشِفَاءَهُ، وَنُورَهُ وَقُوَّتَهُ، وَلَذَّتَّهُ وَنَعِيمَهُ مَا هُوَ أَجْلُ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ، وَأَطْيَبُ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْظَمُ اللَّذَاتِ».

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرُوا أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ (التَّحْكَاةُ : 97)⁽³⁾.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ لَا يَفْتَرُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَلَا يَسْأَمُ مِنْ خِدْمَتِهِ، وَلَا يَأْنُسُ بغيرِهِ إِلَّا بِمَنْ يَدُلُّهُ عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُهُ بِهِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْقَبَائِحُ نَفَرَ مِنْهَا بِطَبْعِهِ، وَأَبْغَضَهَا وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا⁽⁴⁾.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّهُ إِذَا فَاتَتْهُ طَاعَةٌ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَجَدَ لِفَوَاتِهَا أَلَمًا أَعْظَمَ مِنْ تَأَلُّمِ الْحَرِيصِ بِفَوَاتِ مَالِهِ»⁽⁵⁾.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَشْتَأِقُ لِطَاعَةِ رَبِّهِ كَمَا يَشْتَأِقُ الْجَائِعُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

(1) انظر «إصلاح القلوب» لعبد الهادي بن حسن وهبي (ص 24) وقد استفدت منه في إعداد هذه الحُطْبَةِ - جزاه الله خيرا - .

(2) «طريق المجرئين» (379).

(3) «مفتاح دار السعادة» (1/182).

(4) «موارد الأمان» (ص 55).

(5) «إغاثة اللّهفان» (ص 79).

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ ذَهَبَ عَنْهُ هُمُّهُ
وَعَمُّهُ بِالدُّنْيَا.

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «مَشْكَاتِ الْمَصَابِيحِ»⁽¹⁾ عَنْ
سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأْتَهُمْ عَابُوا
عَلَيْهِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَقِمِ الصَّلَاةَ يَا بِلَالُ أَرِحْنَا بِهَا».

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ هُمُّهُ وَاحِدًا وَأَنْ يَكُونَ فِي
اللَّهِ - تَعَالَى - فَيَصْبُحُ وَيَمْسِي وَلَيْسَ لَهُ هَمٌّ غَيْرُ رِضَا رَبِّهِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ أَشْحَ بوقته من أن يذهب
ضائعًا لِأَنَّ إِضَاعَةَ الْوَقْتِ تَقْطَعُهُ عَنِ الْخَالِقِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفِرَاقُ».

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ اهْتِمَامُهُ بِتَصْحِيحِ الْعَمَلِ
أَعْظَمَ مِنْ اهْتِمَامِهِ بِالْعَمَلِ فَيَكُونُ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى الطَّاعَةِ ابْتِغَاءً وَجِهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى فَيَقُومُ
بِهَا عَلَى أَحْسَنِ الْوَجُوهِ قَدْ حَقَّقَ فِيهَا الْمَتَابِعَةَ وَالْإِفْتِدَاءَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَلَّهُ
يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَلَ مِنْهُ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»⁽³⁾
مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ؟ ﴿ وَالَّذِينَ
يُؤْتُونَ مَاءًا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (الْمُنْفُذُونَ : 60).

(1) «صَحِيحٌ» رواه أبو داود (4985) وصحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاتِ» (278/1).

(2) رواه الْبُخَارِيُّ (6412).

(3) «صَحِيحٌ» أخرجه التِّرْمِذِيُّ (3175)، وصحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (787/3).

قَالَتْ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمْ
الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا يَتَقَبَلَ مِنْهُمْ أَوْلَاكَ الَّذِينَ
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ».

فهذه - أيها النَّاسُ - عَلامَاتُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ فَلَهُ النَّعِيمُ الْمَقِيمُ وَالْعَيْشُ السَّلِيمُ فِي
جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشُّعَرَاءُ : 88-89).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَإِن مِّنْ شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾

(الضَّافَاتُ : 83-84).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - صور مشرقة لأصحاب القلوب السليمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «القلب السليم وعلامته» والآن حديثي معكم عن سنن «صور مشرقة لأصحاب القلوب السليمة».

فمن تلك الصور - أيها الناس - ما جاء في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في إبله فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال: أعود بالله من شر هذا الراكب. فنزل، فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟

فصرب سعد في صدره فقال: أسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحبُّ العبدَ التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ».

قال النووي رحمه الله: «والخفيُّ: معناه الخامل المنقطع إلى العبادة، والاشتغال بأمور نفسه»⁽²⁾.

فتأملوا - أيها الناس - كيف أن صاحب القلب السليم لا يحبُّ الظهور ولا يتصدَّر لشيء؛ لأنَّ أهمَّ ما عنده هو محبةُ الله له ورضا الله عنه.

وهكذا أصحاب رسول الله لا يحبون أن يُشارَهُم بين الناس بالبَنانِ أو يتحدث النَّاسُ عنهم لسلامة قلوبهم.

(1) رواه مسلم (2965).

(2) «شرح النووي على مسلم» (18/1001-1002).

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»⁽¹⁾ عن علي بن أرطاة قال: كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زُكي قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا أعلمون.

وفي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث عمرو بن ميمون الطويل (لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه) جاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال: وددت أن ذلك كفافاً لا علي ولا لي فلما أدبر إذ إزاره يمس الأرض قال: ردوا علي الغلام، قال: ابن أخي! ارفع ثوبك، فإنه أنقى ثوبك وأتقى لربك.

فعمرو الفاروق رضي الله عنه - أيها الناس - صاحب القلب السليم لم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في هذا الوطن، إمثالاً لقول النبي ﷺ كما في «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

وفي هذا الحديث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن لم يكن في القلب إنكاراً ما يكرهه (الله) ويبيغضه لم يكن فيه إيمان»⁽⁴⁾.

ومن تلك الصور - أيها الناس - ما جاء في «صحيح البخاري» عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي (علي بن أبي طالب): أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟

(1) «صحيح» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (761) وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (589).

(2) رواه البخاري (3700) في حديث طويل.

(3) رواه مسلم (49).

(4) «الاستقامة» (36/2).

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ - وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عَثَانُ - قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ تِلْكَ الصُّوَرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ قَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ ابْنِ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرُ لِي فَاسْتَغْفِرَ لَهُ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ.

قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غِبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.

فَانظُرُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى قَوْلِ صَاحِبِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ أُوَيْسِ الْقُرْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكُونُ فِي غِبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.

وَعِبْرَاءُ النَّاسِ هُمْ ضِعْفَاؤُهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَأَخْلَاطُهُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ وَهَذَا مِنْ إِثَارِ الْخُمُولِ وَكُنْتُمْ حَالِهِ كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾.

اللَّهُمَّ تَوْلْنَا بِلَطْفِكَ وَمَنْ عَلَيْنَا بِقُلُوبِ سَلِيمَةٍ طَاهِرَةٍ خَاشِعَةٍ لَيْتَةٍ رَقِيقَةٍ نَقِيَّةٍ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3671).

(2) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (77/16 - 78).

الفرج بعد الشدة

9

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّوْبَةُ: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (الزُّنُورُ: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْاِنْشِرَاقُ: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْفَرْجِ بَعْدَ الشُّدَّةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَا يَخْلُو مِنَ الْإِبْتِلَاءِ، وَالْاِخْتِبَارِ إِلَّا مَا فِي نَفْسِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ وَلَدِهِ، أَوْ مَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا

يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ (الْحَجُّ مَكُونًا: 1-2).

وَمَعْنَى الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ هَلْ ظَنَّ النَّاسُ أَنْ تَرَكَهُمْ وَشَأْنَهُمْ بِمَجْرَدِ النَّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَقَوْلُهُمْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، دُونَ أَنْ يَبْتَلِيَهُمُ اللَّهُ وَيَخْتَبِرَ صِدْقَ إِيمَانِهِمْ، بِالْهَجْرَةِ وَالتَّكْلِيفِ الدِّينِيَّةِ الْأُخْرَى، وَالْجِهَادِ وَالْمَصَائِبِ؟

كَلَّا - أَيُّهَا النَّاسُ - فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ إِيْمَانٍ كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ قُوَّةٌ زِيدَ لَهُ فِي الْبَلَاءِ».

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ فِي الْأُمَّمِ قَبْلَنَا وَسُنَّةٌ اللَّهِ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (الْحُكُورَاتُ : 2).

وَمَعْنَى الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ أَنْ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - اِمْتَحَنَ الْمُؤْمِنِينَ السَّالِفِينَ وَعَرَّضَهُمْ لِلْفِتَنِ وَالْإِخْتِبَارِ، وَغَايَتُهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مِنْ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ هِيَ أَنْ يَمْحَصَّهُمْ فَيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَى الْإِيْمَانِ، يَمَنْ هُمْ كَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ وَيُجَازَى كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ الْبَلَاءُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَهَ وَمِنْ سُنَّةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنَّ الشَّدَّةَ يَعْقِبُهَا فَرَجٌ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطَّلَاقُ : 7).

وَمَعْنَى الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ مِنْ بَعْدِ الشَّدَّةِ رَخَاءً وَمِنْ بَعْدِ الضِّيقِ فَرَجًا فَالْدُّنْيَا لَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (371/2) وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) انظُرْ «أَيْسَرَ التَّفَاسِيرِ» لِأَسْعَدِ حَوْمَدَ (3224/1).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ﴾ (التَّوْبَةُ : 5-6).

والمعنى - أيها الناس - : إنَّ مع العسر يسرين .

أيها الناس لقد قرن الله الشدة بالفرج في أكثر من آية .

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۗ الَّذِينَ إِذَا أصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۗ﴾ (الْأَنْعَامُ : ١٥٧) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۗ﴾ (التَّوْبَةُ : 155-157).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَد جَعَلُوا لَكُمْ فَأَخْسَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۗ﴾ (التَّوْبَةُ : ١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ ۗ﴾ (التَّوْبَةُ : 173-174).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۗ﴾ (التَّوْبَةُ : ٤٤) فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّامَكُرُوا ۗ﴾ (التَّوْبَةُ : 44-45).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۗ﴾ (التَّوْبَةُ : ٤٧) فَكَانَتْ لَهُمُ اللَّهُ تَوَابٌ دُنْيَا وَحَسَنَ تَوَابٍ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۗ﴾ (التَّوْبَةُ : 147-148).

أيها الناس كم لتفريج الكرب بعد الشدة من صور ماثولة في الكتاب والسنة وسوف أذكر طرفاً منها .

فمن صور الفرج بعد الشدة تفريج الله كرب نبيه أيوب عليه السلام بعد شدة شديده .

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ۗ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ يَنْصِبْ وَعَذَابٍ

﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِحْلِكَ هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۗ﴾ (التَّوْبَةُ : ٤١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِهْلَاهُ وَرِجْلَيْهِ مِثْلَ الْبَقَرِ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۗ ﴿٤٢﴾ وَأَوْابُ ۗ﴾ (التَّوْبَةُ : 41-44).

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَفْرِيجُ اللَّهِ كَرَبَ نَبِيِّهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ فِي الْغَارِ

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلًا وَكَالِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (التَّوْبَةُ: 40).

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ تَفْرِيجُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : كَرَبَ نَبِيِّهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ فِي أُمَّتِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخْلَعْتُكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (إِبْرَاهِيمَ: 36).

وَقَالَ عَيْسَى ﷺ: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغَفَّرْتُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: 118).

فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي». وَبَكَى

فَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : يَا جَبْرِيْلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلَّهُ مَا يُبْكِيكَ؟

فَأَتَاهُ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللَّهُ: يَا جَبْرِيْلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ. وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ تَفْرِيجُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - كَرَبَ رَسُولِهِ يَوْمَ بَدْرٍ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (202).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَصِلِي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيَكُم مِجْيُءٌ بَسَلِي جَنْدُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهَا عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟

فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره، بين كتفيه وأنا أنظر لا أغني شيئاً لو كانت لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعضٍ ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رسول الله ﷺ رأسه ثم قال: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشٍ» ثلاثِ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرُونَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ.

ثم سمي: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعَتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عَتْبَةَ، وَأَمِيَةَ بْنِ خَلْفٍ، وَعَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيظٍ» وعد السابع فلم نحفظه.

قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صَرَعَى فِي الْقَلْبِ قَلْبِي بِدَرٍ.

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدِ الشُّدَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَفْرِجُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - كَرَبِ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ مُؤَذِّنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ففي سنن أبي داود بسندٍ صحيحٍ صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» والوادعي في «الجامع الصحيح»⁽²⁾ من حديث عبد الله الهوزاني قال: لقيتُ بلالاً مؤذناً رسول الله ﷺ بحلب، فقلتُ: يَا بِلَالُ، حَدِّثْنِي كَيْفَ كَانَتْ نَفَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

(1) زوَاهُ الْبُخَارِيُّ (240)، وَمُسْلِمٌ (1794).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (3055)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (2628)، والوادعي

في «الجامع الصحيح» (95/4).

قال: ما كان له شيءٌ، كنتُ أنا الَّذي ألي ذلك منه منذ بعثه الله حتى توفِّي رسول الله ﷺ، وكان إذا أتاه الإنسان مسلماً فرآه عارياً يأمرني فأنتقل فأستقرض، فاشترى له البردة فأكسوه وأطعمه حتى اعترضني رجُلٌ من المشركين، فقال: يا بلال، إن عندي سعةً فلا تستقرض من أحدٍ إلا مني، ففعلتُ فلما أن كان ذات يوم توضأتُ ثم قمْتُ لِإِدْنِ بِالصَّلَاةِ، فإذا المشرك قد أقبلَ في عصابةٍ من التَّجَارِ، فلما أن رأيَ قال: يا حبشي، قلتُ: يا لَبَّاهُ، فتجهمني وقال لي قولاً غليظاً، وقال لي: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قال: قلتُ: قَرِيبٌ، قال: إنما بينك وبينه أربعٌ فأخذك بالَّذي عليك، فأردك ترعى الغنمَ كما كنتَ قَبْلَ ذلك، فأخذ في نَفْسِي ما يأخذ في أنفُسِ النَّاسِ، حتى إذا صليتُ العتمة رجعَ رسولُ الله ﷺ إلى أهله، فأستأذنتُ عليه فأذِنَ لي، فقلتُ: يا رسولَ الله، بأبي أنت وأمي إنَّ المشركَ الَّذي كُنتُ أتدِينُ مِنْهُ قَالَ لي: كذا وكذا وليس عندك ما تقضي عني ولا عندي، وهو فاضحي فأذِنَ لي أن أبقَ إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين أسلموا حتى يرزقَ اللهُ رسولَهُ ﷺ ما يقضي عني، فخرجتُ حتى إذا أتيت منزلي فجعلتُ سيفي وجِرابي ونعلي ومِجْنِي عند رأسي، حتى إذا نشقَّ عمودُ الصبحِ الأوَّلِ، أردتُ أن أنطلقَ فإذا إنسانٌ يسعى يدعو: يا بلال، أجبَ رسولَ الله ﷺ، فانطلقتُ حتى أتته فإذا أربعَ ركائبٍ مُناخاتٍ عليهنَّ أحماهُنَّ، فأستأذنتُ فقال لي رسولُ الله ﷺ: «أبشِرْ فَقَدْ جَاءَكَ اللهُ بِقَضَائِكَ» ثمَّ قال: «ألم ترَ الرِّكائِيَّ المِناخاتِ الأربَعِ؟». فقلتُ: بلى، فقال: «إنَّ لَكَ رِقَابَهُنَّ وَمَا عليهنَّ، فإنَّ عليهنَّ كِسوَةٌ وطعامًا أهداهنَّ إليَّ عَظِيمٌ، فَذَكَ فَاقْبِضُهُنَّ واقضِ دِينَكَ». ففعلتُ فَذَكَرَ الحديثَ، ثمَّ انطلقتُ إلى المسجدِ، فإذا رسولُ الله ﷺ قاعدٌ في المسجدِ، فَسَلَّمْتُ عليه فقال: «ما فعلَ ما قبلكَ؟»، قلتُ: قد قضَى اللهُ كلَّ شيءٍ كان على رسولِ الله، فلم يبقَ شيءٌ، قال: «أفْضَلَ شَيْءٍ؟» قلتُ: نَعَمْ، قال: «انظُرْ أَنْ تُرِيحَنِي مِنْهُ فَإِنِّي لَسْتُ بِدَاخِلٍ عَلَى أَحَدٍ مِنْ

أهلي؛ حتى تُرِيحني منه» فلمّا صلى رسول الله ﷺ العتمة دعاني، فقال: «ما فعل الذي قبلك؟» قال: قلت: هو معي، لم يأتنا أحدٌ فبات رسول الله ﷺ في المسجد، وقصى الحديث حتى إذا صلى العتمة - يعني من الغد - دعاني قال: «ما فعل الذي قبلك؟» قال: قلت: قد أراحك الله منه يا رسول الله، فكبرَ وحمدَ الله شفقا من أن يدركه الموتُ وعنده ذلك، ثم أتبعته حتى إذا جاء أزواجه فسلم على امرأة امرأة، حتى أتى مبيته؛ فهذا الذي سألتني عنه.

أيها الناس تلك الصور ما هي إلا قطرة من مطرة وإلا فالصور بحاجة إلى أن أقوم فيكم مقامَي العمر كله وقد يأتي الموت قبل أن أنتهي منه.

قال ابن رجب رحمه الله: «وكم قص - سبحانه - قصص تفریح كربات أنبيائه عند تناهي الكروب كإنجاء نوح ومن معه في الفلك، وإبراهيم من النار، وفدائه لولده الذي أمر بذبحه، وإنجاء موسى من اليم، وإغراق عدوهم، وقصة أيوب، ويونس، وقصص محمد ﷺ مع أعدائه، وإنجائه منهم كقصته في الغار، ويوم بدر ويوم أحد ويوم الأحزاب ويوم حنين وغير ذلك»⁽¹⁾.

- يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ منفرجٌ ○●○ أبشُرْ بخيرٍ فإنَّ الفارحَ اللهُ
 اليأسَ يقطعُ أحيانا بصاحبه ○●○ لا تيأسَنَّ فإنَّ الكافيَ اللهُ
 اللهُ يُحدثُ بعد العسرِ ميسرةً ○●○ لا تجزَعَنَّ فإنَّ الصانعَ اللهُ
 إذا بليت فتق بالله وارض به ○●○ إنَّ الذي يكشفُ البلوى هو اللهُ
 والله مالِكٌ غيرُ اللهِ من أحدٍ ○●○ فحيك اللهُ في كلِّ لك اللهُ

وأستغفر الله.

(1) «جامع العلوم والحكم» (186).

الخطبة الثانية - أسباب الفرج بعد الشدة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «أَسْبَابِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا كَانَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - قَدْ وَعَدَ بِالْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ وَبِالْيُسْرِ مَعَ
الْعُسْرِ وَبَعْدَهُ فَلَا يَتَنَافَى ذَلِكَ مَعَ الْأَخْذِ بِالسَّبَبِ الَّتِي نَرْجُو بِهَا تَعْجِيلَ الْيُسْرِ بَعْدَ
الْعُسْرِ، وَالْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ فَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾
(الذَّلَاجِلِ: 22). وَمَعَ ذَلِكَ نَأْخُذُ بِأَسْبَابِ الرِّزْقِ وَكَذَلِكَ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ الَّتِي نَرْجُو بِهَا
دُخُولَ الْجَنَّةِ

بَلْ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هُود: 6).

وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾
(الْمَلِكِ: 15)⁽¹⁾.

فَمِنْ أَسْبَابِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٦﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾
(الزَّلَاطِقِ: 2-3).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَيُّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِيمَا أَمْرُهُ، وَتَرَكَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ، يَجْعَلُ لَهُ مِنْ
أَمْرِهِ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، أَيُّ مِنْ جِهَةٍ لَا تَخْطُرُ بِإِلَيْهِ»⁽²⁾.

(1) انظر «الفرج بعد الشدة» لأحمد فريد (ص 37).

(2) «تفسير ابن كثير» (8/146).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق : 4).
قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَيُّ: يُسَهِّلُ أَمْرَهُ، وَيُسِّرُهُ عَلَيْهِ، وَيَجْعَلُ لَهُ فَرْجًا
ومُخْرَجًا عاجلاً»⁽¹⁾.

ومن أسباب الفرج بعد الشدة - أيها الناس - التَّعَرُّفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ.
ففي سنن الترمذي بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «ظِلَالِ الْجَنَّةِ»⁽²⁾ من حديث
ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ لِي: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ
كَلِمَاتٍ، إِحْفَظِ اللَّهَ تَحِذُهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ
مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُحْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ،
وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : «قَوْلُهُ: «تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ»
ليس المراد بالمعرفة المعرفة العامة التي هي الإقرار والتصديق والإيمان، وإنما المراد
المعرفة الخاصة التي تقتضي ميل القلب إلى الله - عزَّ وجلَّ - والانقطاع إليه، والأنس
به والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له»⁽³⁾.

ومن أسباب الفرج بعد الشدة - أيها الناس - التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ.
قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق : 3).
قال ابن عَجِبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَيُّ يَكُلُّ أَمْرَهُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّقٍ بِغَيْرٍ وَلَا تَدْبِيرٍ نَفْسٍ
﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. كَافِيهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ»⁽⁴⁾.

(1) «تفسير ابن كثير» (8/146).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (84/2) وصححه الألباني في «المشكاة» (5302).

(3) «جامع العلوم والحكم» (179).

(4) «البحر المديد» (8/99).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ شَرْحِهِ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ الْمُتَقَدِّمِ: «وَمِنْ لَطَائِفِ
أَسْرَارِ اقْتِرَانِ الْفَرَجِ بِالْكَرْبِ وَالْيُسْرِ بِالْعُسْرِ أَنَّ الْكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ وَعَظُمَ وَتَنَاهَى،
وَحَصَلَ لِلْعَبْدِ الْيَأْسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَخْلُوقِينَ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِاللَّهِ وَحَدَهُ، وَهَذَا هُوَ
حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُطَلَّبُ بِهَا الْحَوَائِجُ فَإِنَّ اللَّهَ
يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾⁽¹⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ مَعَ الْاضْطِرَارِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (الْبَنَاتُكَ : 62).

وَالْمُضْطَرُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ مَنْ نَزَلَتْ بِهِ شِدَّةٌ مِنْ شِدَائِدِ الزَّمَانِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «ضَمِنَ اللَّهُ إِجَابَةَ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ،
وَالسَّبَبُ أَنَّ الضَّرُورَةَ إِلَيْهِ بِاللَّجَأِ، مَنشَأً عَنِ الْإِخْلَاصِ، وَقَطَعَ الْقَلْبَ عَمَّنْ سِوَاهُ»⁽²⁾.
اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي دِينِنَا وَزِدْنَا عِلْمًا وَهَدِيًّا وَصَلَاحًا وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(1) «جامع العلوم والحكم» (187).

(2) «تفسير القرطبي» (222/13).

الاعتداء في الدعاء

10

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذات: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِطَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساة: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70-71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
أما بعد - حديثي معكم اليوم - أيها الناس - عن «الاعتداء في الدعاء».

أيها الناس الدعاء أعظم أنواع العبادات لا بل هو العبادة لما في سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترمذي»⁽¹⁾ من حديث النعمان بن بشر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة». ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠)

(التغذات: 60).

(1) انظر «الاعتداء في الدعاء» لهيثم حيدر فقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة جزاءه الله خيراً.

قال الشوكاني رحمه الله: «دلت الآية الكريمة على أن الدعاء من العبادة فإنه - سُبْحَنَهُ، وَوَعَلَى - أمر عبادة أن يدعو ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِي يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ ؟ فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة وأن ترك دعاء الرب استكبار ولا أفصح من هذا الاستكبار».

أيها الناس لما كان الدعاء بهذه المنزلة العظيمة حرص الشيطان الرجيم على إفساده إما بالزيادة فيه أو النقص منه فإنه توعد بالعود للمسلم في طريق الحق كما قال الله - سُبْحَنَهُ، وَوَعَلَى - حاكياً عنه: ﴿فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ (الأنعام: 16).

وقال الله - سُبْحَنَهُ، وَوَعَلَى - حاكياً عنه: ﴿وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ (النساء: 118).

ولم يكن الله ليسلط علينا الشيطان لولا أننا أطعناه واستجبنا له كما قال الله - سُبْحَنَهُ، وَوَعَلَى -: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (سجدة: 20).

والمعنى - أيها الناس - لقد ظن إبليس ظناً غير يقين أنه سيضل بني آدم وأتهم سيطيحونه في معصيته الله، فصدق ظنه عليهم، فأطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقاً من المؤمنين بالله، فإتهم ثبتوا على طاعة الله⁽¹⁾.

أيها الناس من مصائد الشيطان التي ينصبها للناس الاعتداء في الدعاء إما بتجاوز الحد أو الغلو فيه.

كما قال أحد السلف: «ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفریط أو تقصير وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي الشيطان بأيهما ظفر»⁽²⁾.

أيها الناس لقد أمرنا الله - سُبْحَنَهُ، وَوَعَلَى - بالدعاء وأخبرنا أنه لا يحب المعتدين فيه.

(1) «التفسير الميسر» (396/7).

(2) انظر «الاعتداء في الدعاء» (ص 5).

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف: 55).

قال القرطبي رحمه الله: «وَأَمَّا قَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ * . معناه: إِنَّ رَبَّكُمْ لَا يُحِبُّ مَنْ اعْتَدَى فَتَجَاوَزَ حَدَّهُ الَّذِي حَدَّهُ لِعِبَادِهِ فِي دُعَائِهِ وَمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ»⁽¹⁾.
وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُّورِ وَالِدُّعَاءِ.

ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث أبي نُعَامَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْفَلٍ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا. فَقَالَ: أَيُّ بُنْيَّ سَلِ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُّورِ وَالِدُّعَاءِ».

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ عَنْ مَوْلَى لَسْعَدٍ أَنَّ سَعْدًا سَمِعَ ابْنًا لَهُ يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَإِسْتَبْرَقَهَا وَنَحْوًا مِنْ هَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَسُلَاسِلِهَا وَأَعْلَالِهَا، فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَتَعَوَّذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ كَثِيرٍ. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ. وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ * ، وَإِنَّ حَسْبَكَ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ». والاعتداء في الدعاء - أيها الناس - يمنع من الإجابة والقبول.

(1) «تفسير الطبري» (الأعراف: 55).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (86) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (2396).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (172/1) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3671).

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةٍ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا». قَالَ: إِذَا نُكِّثُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ».

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعْلِيقًا عَلَى الْحَدِيثِ: «وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ وَإِنْ كَانَ إِذْنَا بِالْإِجَابَةِ فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ فَقَدْ دَلَّكَ عَلَى صِحَّةِ اجْتِنَابِ الْإِعْتِدَاءِ الْمَانِعِ مِنَ الْإِجَابَةِ حَيْثُ قَالَ فِيهِ: «لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةٍ رَحِمَ»⁽²⁾.

فَمَنْ صَوَّرَ الْإِعْتِدَاءَ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يَدْعُوَ الْمُسْلِمَ بِمَا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَيَتَخِيرَ الْفَافَاظَ مَفْقَرَةً وَكَلِمَاتٍ مَسْجَعَةً قَدْ وَجَدَهَا فِي كِرَارِيسَ لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا مَمُولَ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُهَا شِعَارَهُ وَيَتْرُكُ مَا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُلُّ هَذَا يَمْنَعُ مِنَ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ كَمَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ⁽³⁾.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمَشْرُوعُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْعُوَ بِالْأَدْعِيَةِ الْمَأْتُورَةِ فَإِنَّ الدُّعَاءَ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ، وَقَدْ نَهَانَا اللَّهُ عَنِ الْإِعْتِدَاءِ فِيهِ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّبِعَ مَا شَرَّعَ وَسُنَّ، كَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالَّذِي يَعْدِلُ عَنِ الدُّعَاءِ الْمَشْرُوعِ إِلَى غَيْرِهِ الْأَحْسَنُ لَهُ أَنْ لَا يَفُوتَهُ الْأَكْمَلُ وَالْأَفْضَلُ وَهِيَ الْأَدْعِيَةُ النَّبَوِيَّةُ، فَإِنَّهَا أَكْمَلُ وَأَفْضَلُ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الَّتِي كَيْسَتْ

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (710)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (550).

(2) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (الْبَقْرَةُ: 186).

(3) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (الْأَعْرَافُ: 55).

كَذَلِكَ وَإِنْ قَالَهَا بَعْضُ الشُّيُوخِ، فَكَيْفَ وَقَدْ يَكُونُ فِي عَيْنِ الْأَدْعِيَةِ مَا هُوَ خَطَأٌ أَوْ
إِثْمٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ؟!

وَمِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَيْبًا مَنْ يَتَّخِذُ حِزْبًا لَيْسَ بِمَأْثُورٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَدْعُ
الْأَحْزَابَ النَّبَوِيَّةَ الَّتِي كَانَ يَقُولُهَا سَيِّدُ بَنِي آدَمَ وَإِمَامُ الْخَلْقِ وَحِجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ⁽¹⁾.
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلْخَلْقِ أَنْ يَدْعُوا بِالْأَدْعِيَةِ الْمَشْرُوعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكِتَابُ
وَالسُّنَّةُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا رَيْبَ فِي فَضْلِهِ وَحُسْنِهِ، وَأَنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ
أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا⁽²⁾».

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَذِنَ اللَّهُ فِي دُعَائِهِ وَعَلَّمَ الدُّعَاءَ فِي كِتَابِهِ
لِخَلْقَتِهِ، وَعَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الدُّعَاءَ لِأُمَّتِهِ، وَاجْتَمَعَتْ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الْعِلْمُ بِالتَّوْحِيدِ،
وَالْعِلْمُ بِاللُّغَةِ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْأُمَّةِ، فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْدِلَ عَنِ دُعَائِهِ ﷺ وَقَدْ
احْتَالَ الشَّيْطَانُ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْمَقَامِ فَمَيَّضَ لَهُمْ قَوْمَ سُوءٍ يَخْتَرِعُونَ لَهُمْ أَدْعِيَةً
يَشْتَعِلُونَ بِهَا عَنِ الْإِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَشَدُّ مَا فِي الْإِحَالَةِ أَنَّهُمْ يَنْسُبُونَهَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ
وَالصَّالِحِينَ، فَيَقُولُونَ: دُعَاءُ نُوحٍ، دُعَاءُ يُونُسَ، دُعَاءُ أَبِي بَكْرٍ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ،
لَا تَشْتَعِلُوا مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا بِالصَّحِيحِ⁽³⁾».

وَمِنْ صُورِ الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِبْدَالُ لَفْظٍ وَارِدٍ (مَأْثُورٍ) بِغَيْرِهِ.
فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، وَ«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ
ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ،

(1) انظر «مجموع الفتاوى» (308/22).

(2) انظر «مجموع الفتاوى» (336/1).

(3) «الفتوحات الربانية» (17/1).

وَأَلْجَأَتْ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ أَمَنْتُ
بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنَّ مُمَّتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ
مَا تَقُولُ». فَقُلْتُ أَسْتَدْكِرُهُنَّ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: «لَا وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي
أَرْسَلْتَ»، وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ فَقُلْتُ: أَمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَقَالَ: «قُلْ:
أَمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ سَبَبَ الْإِنْكَارِ إِنَّ هَذَا ذِكْرٌ وَدُعَاءٌ فَيَنْبَغِي
فِيهِ الْاِقْتِصَارُ عَلَى اللَّفْظِ الْوَارِدِ بِحُرُوفِهِ، وَقَدْ يَتَعَلَّقُ الْجُزْءُ بِتِلْكَ الْحُرُوفِ وَلَعَلَّهُ أُوحِيَ
إِلَيْهِ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيَتَعَيَّنُ أَدَاؤُهَا بِحُرُوفِهَا، ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا الْقَوْلُ: حَسَنٌ»⁽¹⁾.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْحِكْمَةُ فِي رَدِّهِ عَلَى مَنْ قَالَ (الرَّسُولَ) بَدَلِ
(النَّبِيِّ) أَنَّ الْأَفْظَاظَ الْأَذْكَارَ تَوْقِيفِيَّةٌ، وَلَهَا خَصَائِصٌ وَأَسْرَارٌ لَا يَدْخُلُهَا الْقِيَاسُ فَتَجِبُ
الْمَحَافَظَةُ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ»⁽²⁾.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ.
قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: «التَّشْبِيهُ (أَيُّ تَشْبِيهِ جَابِرِ الدُّعَاءِ
بِالْقُرْآنِ فِي الْحِفْظِ وَالتَّعْلِيمِ) فِي تَحْفُظِ حُرُوفِهِ وَتَرْتِيبِ كَلِمَاتِهِ وَضَعِ الزِّيَادَةِ وَالتَّنْقِصِ
مِنْهُ وَالدَّرْسِ لَهُ وَالمَحَافَظَةِ عَلَيْهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الْإِهْتِمَامِ بِهِ وَالتَّحْقِيقِ
لِبِرْكَتِهِ، وَالاخْتِرَامِ لَهُ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا عُلِمَ بِالْوَحْيِ»⁽⁴⁾.

(1) «شرح النووي على مسلم» (33/17).

(2) «فتح الباري» (112/11).

(3) رواه البخاري (1166).

(4) «فتح الباري» (11/184).

وَمِنْ صُورِ الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا.
فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ
رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ (أَيُّ ضَعُفَ) فَصَارَ مِثْلَ الْفَرِيخِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟!».

قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ
آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».
قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ.
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2688).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - أسبابُ الضَّرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الِإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «تَكْلُفِ السَّجْعِ فِي الدُّعَاءِ».

وَالسَّجْعُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الْكَلَامُ الْمَسْتَوِي عَلَى نَسْتِ وَاحِدٍ كَقَوْلِ أَحَدِهِمُ اللَّهُمَّ
ارْحَمْنِي فَوْقَ الْأَرْضِ وَارْحَمْنِي تَحْتَ الْأَرْضِ وَارْحَمْنِي يَوْمَ الْعَرْضِ، وَهُوَ مَكْرُوهٌ فِي
الدُّعَاءِ إِنْ تَعَمَّدَهُ وَتَكَلَّفَهُ الدَّاعِي؛ لِأَنَّهُ يَشْغُلُ عَقْلَهُ، وَيَشْتَتِ قَلْبَهُ عَنِ الْخُشُوعِ
وَالتَّوَدُّبِ وَالتَّفَكُّرِ.

وَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»⁽¹⁾ بَابُ: مَا يَكْرَهُ مِنَ السَّجْعِ فِي الدُّعَاءِ ثُمَّ
أُورِدَ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: فَانظُرِ السَّجْعَ فَاجْتَنِبْهُ فَإِنِّي عَاهَدْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْاجْتِنَابَ.

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْلُهُ: (وَانظُرِ السَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ) أَيُّ: لَا تَقْصِدْ
إِلَيْهِ، وَلَا تُشْغَلْ فَكْرَكَ بِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكْلُفِ الْمَانِعِ لِلْخُشُوعِ الْمَطْلُوبِ فِي الدُّعَاءِ
وَقَوْلُهُ: (لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ) أَيُّ: تَرَكَ السَّجْعَ.

ثُمَّ نَقَلَ عَنِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ أَنَّهُ قَالَ: الْمَكْرُوهُ مِنَ السَّجْعِ هُوَ الْمَتَكَلَّفُ؛ لِأَنَّهُ
لَا يُلَاثِمُ الضَّرَاعَةَ وَالذَّلَّةَ، وَإِلَّا فَفِي الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ كَلِمَاتٌ مُتَوَازِنَةٌ لَكِنَّهَا
غَيْرُ مُتَكَلَّفَةٍ»⁽²⁾.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6337).

(2) «فَتْحُ الْبَارِي» (11/139).

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ السَّجْعَ الْمَذْمُومَ فِي الدُّعَاءِ هُوَ الْمُتَكَلِّفُ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ الْحُشُوعَ وَالْخُضُوعَ وَالْإِخْلَاصَ، وَيُلْهِمِي عَنِ الضَّرَاعَةِ وَالْإِفْتِقَارِ، وَفَرَاغِ الْقَلْبِ، فَأَمَّا مَا حَصَلَ بِلَا تَكْلُفٍ، وَلَا إِعْمَالٍ فِكْرٍ لِكِمَالِ الْفَصَاحَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، أَوْ كَانَ مُحْفُوظًا فَلَا بَأْسَ بِهِ، بَلْ هُوَ حَسَنٌ»⁽¹⁾.

وَقَالَ ابْنُ حَجَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْإِعْتِدَاءُ فِي الدُّعَاءِ يَقَعُ بِزِيَادَةِ الرَّفْعِ فَوْقَ الْحَاجَةِ أَوْ يَطْلُبُ مَا يَسْتَحِيلُ حُصُولَهُ شَرْعًا أَوْ يَطْلُبُ مَعْصِيَةً أَوْ يَدْعُو بِمَا لَمْ يُوَثَّرْ خُصُوصًا مَا وَرَدَتْ كَرَاهَتُهُ كَالسَّجْعِ الْمُتَكَلِّفِ»⁽²⁾.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا⁽³⁾.

(1) «شرح النووي على مسلم» (41/17).

(2) «فتح الباري» (298/8).

(3) «صحيح» أخرجه ابن ماجه (3836)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (3102).

الاستقامة

11

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَّاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلَاتُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الاستقامة».

أَيُّهَا النَّاسُ - الاستقامة على أمرِ اللَّهِ سَبَبُ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (الْأَحْقَافُ : 13-14).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ

الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحْفَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فُضِّلَاتُ : 30).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ (هُودٌ : 112).

فَالأَمْرُ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - لِلنَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لِاتِّبَاعِهِ ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾. أَيُّ وَمَنْ آمَنَ مَعَكَ؛ بَأَنْ تَابُوا مِنَ الشَّرِّكَ فآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَصَارُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مُؤْمِنِينَ بِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ.

وَأَصْلُ الاسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْقَلْبِ - فَإِذَا اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ اسْتَقَامَتْ سَائِرُ الْجَوَارِحِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأْتِفِهِ». فَمَتَى اسْتَقَامَ الْقَلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَى الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ خَوْفًا، وَرَجَاءً، وَتَوَكُّلاً وَإِنَابَةً، اسْتَقَامَتْ بَعْدَ ذَلِكَ اللِّسَانُ فَإِنَّهَا رَأْسُ الْجَوَارِحِ بَعْدَ الْقَلْبِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانُ فَتَقُولُ: أَتَقِيَ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا».

فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ حَالُ اللِّسَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَلْيَنْظُرْ أَحَدُنَا فِيمَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ وَيُحَدِّثُ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ كَالْكَذِبِ، وَالغِيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالسَّبِّ، وَالْبِدْءِ وَالْقَذْفِ، وَالْخُصُومَاتِ وَالْجِدَالِ، وَشَهَادَةِ الزُّورِ، وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِيدٌ﴾ (١٨) ﴿فَتَن: 18﴾.

(1) «حسن» أخرجه أحمد (3/198)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (2841).

(2) «حسن» رواه أحمد (3/96)، والترمذي (2407)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (351).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ».

ومتى اسْتَقَامَتِ اللِّسَانُ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ.

وَأَهَمُّ مَا فِي الْجَوَارِحِ الْعَيْنُ، فَإِنَّهَا أَسْرَعُ الْمَنَافِدِ إِلَى الْقَلْبِ، وَأَقْصَرُ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٣١﴾﴾ (التَّوْبَةُ: 30-31).

فَعَضُّ الْبَصْرِ يَكُونُ بِالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَأَنْ يَسْتَعْمَلَ الْعَبْدُ نَظْرَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ بِالنَّظَرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مُتَدَبِّرًا وَيَنْظُرَ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ مُعْتَبِرًا.

ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ اسْتِقَامَةُ الْأُذُنِ فَهِيَ مِنْ أَقْصَرِ الطَّرِيقِ إِلَى الْقَلْبِ فَهِيَ بَابٌ مَفْتُوحٌ لِسَمَاعِ الْأَعْيَانِ الْمَعْرُوفَةِ وَالْمَعَارِيفِ الْفَاسِدَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ الْمَحْرَمِ وَمَا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَالْعَبْدُ مَسْئُولٌ عَنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الْأَنْعَامُ: 36).

ثُمَّ لَا بُدَّ مِنْ اسْتِقَامَةِ بَاقِي الْجَوَارِحِ مِنَ الْيَدِ وَالرَّجْلِ وَالْبَطْنِ، وَالْفَرْجِ فَإِنَّ كَلَامًا مِنْهَا لَهُ أَثَرُهُ فِي اسْتِقَامَةِ الْقَلْبِ وَصَلَاحِهِ.

وَتَتَحَقَّقُ اسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِأُمُورٍ فَمِنْهَا:

- آدَاءُ الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ وَهِيَ عَلَى مَرَاتِبَ:

1 - فَمِنْهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6477)، وَمُسْلِمٌ (2988).

فالتَّوْحِيدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَوْجِبُ الْوَجَبَاتِ، وَأَعْظُمُ الْحَسَنَاتِ، وَأَفْضَلُ الطَّاعَاتِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْهِمْ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ تَحْقِيقُ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ .

2- وَمِنْهَا الصَّلَوَاتُ الْحَمْسُ فَهِيَ قَرِينَةُ التَّوْحِيدِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

3- وَمِنْهَا الزَّكَاةُ وَالصَّيَامُ وَالْحَجُّ وَذَلِكَ هُوَ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ.

وَمَا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْإِسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَحُقُوقُ الْعِبَادِ كُلُّهَا تَدْخُلُ فِي الْفَرَائِضِ

وَمَا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْإِسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّوَافِلُ فَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا مِنْ كَمَالِ الْإِسْتِقَامَةِ.

وَمَا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْإِسْتِقَامَةُ تَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ وَامْتِنَالُ الْمَأْمُورَاتِ وَاتَّقَاءُ الشُّبُهَاتِ

وَاجْتِنَابُ الذَّرَائِعِ وَمَا يُقَرِّبُ إِلَى الْحَرَامِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ

النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ».

وَمَا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْإِسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ الْأَنْحِرَافِ.

وَالْأَنْحِرَافُ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِلَى إِفْرَاطٍ أَوْ إِلَى تَقْرِيطٍ.

فَالْإِفْرَاطُ يَكُونُ بِتَعَدِّي حُدُودِ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا

تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة: 229).

وَالْتَقْرِيطُ يَكُونُ بِالْقُرْبِ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ الَّتِي مَهَانَا اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ (البقرة: 187).

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (52)، وَمُسْلِمٌ (1599) وَاللَّفْظُ لَهُ.

فَلَا بُدَّ لِسَالِكِ الْإِسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَقْصِدَ الطَّرِيقَ الْوَسْطَ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.
 فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «تَحْقِيقِ الطَّحَاوِيَّةِ»⁽¹⁾ مِنْ
 حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ:
 «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خَطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ. ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ
 (مُتَفَرِّقَةٌ) عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
 فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: 153).
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (435/1)، وصححه الألباني في «شرح الطحاوية» (ص 587).

الخطبة الثانية - أسباب الاستقامة :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الاستقامة» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «أسباب الاستقامة».

فَمِنْ أَسْبَابِ الْإِسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْيَقِينُ بِوَعْدِ اللَّهِ لِأَنَّ الْإِنْحِرَافَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ إِنَّمَا يَنْشَأُ عَنِ ضَعْفِ الْيَقِينِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ (البزوفه : 60).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْإِسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْعِلْمُ.

فَمَتَى عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِتِلْكَ الطَّاعَةِ وَرَغَّبَهُ فِيهَا وَرَتَّبَ عَلَيْهَا الْجَزَاءَ الْحَسَنَ وَعَلِمَ عَاقِبَةَ الْمُعْصِيَةِ وَعَاقِبَةَ تَرْكِهَا كَانَ ذَلِكَ بَاعِثًا لَهُ عَلَى الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْخَيْرِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْإِسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الرُّفُقَةُ الصَّالِحَةُ.

فَالرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ فَمَنْ أَرَادَ سُلُوكَ طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ فَلْيَبْدَأْ لَهُ مِنْ رُفُقَاءِ صَالِحِينَ يَذْكُرُونَهُ إِذَا اعْوَجَّ عَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ أَوْ حَادَّ عَنْهَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (الكهف : 28).

قَالَ الشَّنَقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَمَرَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - نَبِيَّهُ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ، أَيَّ يَحْسِبَهَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ، لَا يُرِيدُونَ بِدَعَائِهِمْ إِلَّا رِضَاهُ - جَلَّ وَعَلَا»⁽¹⁾.

(1) «أضواء البيان» (136/19).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْإِسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ.

فَنَسَأَلُ اللَّهَ الثَّبَاتَ وَالْهُدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَلِزُومِ طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ، لِأَنَّهُ بَدُونَ هِدَايَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ لَنَا لَنْ نَصِلَ إِلَى شَيْءٍ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالغِنَى».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادَ، سَدَادَ السَّهْمِ».

وَفِي سُنَنِ أَلِيِّ دَاوُدَ وَالنَّسَائِيَّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ» فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ، قَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3517)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (7987).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2721).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2725).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (1522)، وَالنَّسَائِيُّ (1303) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ

الْجَامِعِ» (81969).

فَتَأْمَلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى عَظَمَةِ هَذَا الدُّعَاءِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَلَا حَوْلَ
 لَنَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.
 اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

فَضْلُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

12

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَّاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْحَوْقَلَةَ» وَهِيَ قَوْلُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْعَظِيمَةَ هَمَّا مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْفَوَائِدِ وَالشَّارِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ، وَفِيهَا مِنَ الْمَعَانِي الْعَمِيقَةِ وَالذَّلَالَاتِ الْمَفِيدَةِ مَا يُثَبِّتُ الْإِيمَانَ وَيُقَوِّي الْيَقِينَ وَيَزِيدُ صَلَةَ الْعَبْدِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ⁽¹⁾.

وَمَعْنَاهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا ذَكَرَ - ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا حَوْلَ بِنَا عَلَى الْعَمَلِ بِالطَّاعَةِ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا بِاللَّهِ».

(1) انظر «الْحَوْقَلَةُ مَفْهُومُهَا وَدَلَالَتُهَا الْعَقْدِيَّةُ» لِعَبْدِ الرَّزَّاقِ الْبَدْرِي (ص 3).

وفضائلها - أيها الناس - لجمّة غزيرة.

فمن فضائلها أنّها وصيّة النبي ﷺ لأُمَّته.

ففي مُسنَدِ أحمدَ وسُنَنِ الترمذِيّ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْثَرُوا مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح التَّرهيبِ والتَّرهيبِ»⁽²⁾ من حديثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ: «بِسَبْعِ بَحْبِّ الْمَسَاكِينِ وَأَنْ أَوْجَدَ مِنْهُمْ وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنِّي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي وَأَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ جَفَانِي وَأَنْ أَكْثَرَ مِنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَأَنْ أَتَكَلَّمَ بِمُرِّ الْحَقِّ وَأَنْ لَا تَأْخُذَنِي بِاللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَيْمٍ، وَأَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديثِ حَازِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَرْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا حَازِمُ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِخْبَارُ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِفَضْلَيْهَا، وَأَنَّهَا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ قَالَ فِيهِ الألبانيُّ في «صحيح التَّرهيبِ»⁽⁴⁾ صحيحٌ لِغَيْرِهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبِ الأنصاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ:

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (333/2)، والترمذي (280/2)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (1214).

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (159/5)، وصححه الألباني في «صحيح التَّرهيبِ» (199/1).

(3) «صحيح» أخرجه ابن ماجه (323/2)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (7907).

(4) «صحيح لِغَيْرِهِ» أخرجه أحمد (418/5)، وقال الألباني في «صحيح التَّرهيبِ» (116/2) صحيح لِغَيْرِهِ.

«مَنْ مَعَكَ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: مُحَمَّدًا! فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيَكْثُرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ تَرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ وَأَرْضُهَا وَاسِعَةٌ. قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَنَّهَا مَكْتُوبَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ.

ففي مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ بِسَنَدِ صَحِيحِ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ - أَوْ قَالَ - أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ؟ تَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَسَلِمَ عَبْدِي وَاسْتَسَلَّمَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهَا كَلِمَةُ اسْتِسْلَامٍ وَتَقْوِيضٍ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَاعْتِرَافٍ بِالْإِذْعَانِ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا صَانِعَ غَيْرُهُ، وَلَا رَادٍّ لِأَمْرِهِ وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، وَمَعْنَى الْكَنْزِ هُنَا: أَنَّهُ ثَوَابٌ مُدْخَرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ ثَوَابُ نَفْسٍ، كَمَا أَنَّ الْكَنْزَ أَنْفُسُ أَمْوَالِكُمْ»⁽²⁾.

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدِ صَحِيحِ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ». قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدِ صَحِيحِ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽⁴⁾ عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَاهُ دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيَخْدُمَهُ

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (21/1)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (2614).

(2) شَرَحُ «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (26/17).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (244/5)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1581).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (3581)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1582).

فأتى عليَّ النبيُّ ﷺ وقد صليتُ ركعتين. قال: فَضْرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ». قُلْتُ: بَلَى قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّمَا مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ».

وفي سنن ابن ماجه بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽²⁾ من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَمْشِي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ». قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وأخرج الطبراني بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديث أبي أيوب رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّمَا مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ بِحَيْثُ أَنَّهُ يُدْخَرُ لِصَاحِبِهَا مِنَ الثَّوَابِ مَا يَقَعُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مَوْقِعَ الْكَنْزِ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْكَانِزِ أَنْ يَعِدَّ كَنْزَهُ لِخَلَاصِهِ فِيمَا يَنْوِبُهُ وَالتَّمَتُّعِ بِهِ فِيمَا يُلَائِمُهُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا تَكْفُرُ الذُّنُوبَ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنْدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6384)، وَمُسْلِمٌ (2704).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (3825)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1585).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (266/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (1205).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (158/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5636).

رَجُلٌ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِلَّا كَفَرْتُ عَنْهُ ذَنْبُهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مَنْ رَزَقَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْرَبِيِّ أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَهُوَ الْحَمْدُ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي».

ثُمَّ قَالَ الْأَعْرَبِيُّ: شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ قُلْتُ: لِأَبِي جَعْفَرٍ: مَاذَا قَالَ؟ قَالَ: «مَنْ رَزَقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمَا حِرْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (253/2)، وَابْنُ مَاجَةَ (3794)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (713).

(2) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3426)، وَالنَّسَائِيُّ (26/6)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1605).

ففي سنن ابن ماجه بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ غُفْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ لَيْسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ غُفْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وأخرج النسائي بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحة»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ أَوْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَنَّهَا مِنْ أَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ.

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»⁽³⁾ من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «حسن» أخرجه ابن ماجه (3285)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (6086).

(2) «صحيح» أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (471)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (3414).

(3) «صحيح» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (638)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب

المفرد» (ص 219).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ - الْبُعْدُ الْعَقْدِيُّ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ:

« لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ فَضْلِ « لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ » وَأَنَّهَا كَلِمَةٌ عَظِيمَةٌ جَلِيلَةٌ يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُعْنَوْا بِهَا وَأَنْ يُكْثِرُوا مِنْ
قَوْلِهَا، وَأَنْ يَعْمُرُوا أَوْقَاتَهُمْ بِكَثْرَةِ تَرْدَادِهَا لِعَظِيمِ فَضْلِهَا عِنْدَ اللَّهِ وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنِ الْبُعْدِ الْعَقْدِيِّ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ « لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ».

فَمُقْتَضَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا،
وَلَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ شَرٍّ، وَلَا قُوَّةٌ فِي جَلْبِ خَيْرٍ إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فَلَا
تَحْوَلَ لِلْعَبْدِ مِنْ مَعْصِيَةٍ إِلَى طَاعَةٍ، وَلَا مِنْ مَرَضٍ إِلَى صِحَّةٍ، وَلَا مِنْ وَهْنٍ إِلَى قُوَّةٍ،
وَلَا مِنْ نَقْصَانٍ إِلَى كَمَالٍ وَزِيَادَةٍ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى الْقِيَامِ فِي شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِهِ،
أَوْ تَحْقِيقِ هَدَفٍ مِنْ أَهْدَافِهِ أَوْ غَايَةٍ مِنْ غَايَاتِهِ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ
يَشَأْ لَمْ يَكُنْ فَازِمَةٌ الْأُمُورِ بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ، وَأُمُورُ الْخَلَائِقِ مَعْقُودَةٌ بِقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ
يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ وَيَقْضِي فِيهَا بِمَا يُرِيدُ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ فَمَا شَاءَ
كَانَ كَمَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَشَاءُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ،
وَلَا تَقَدُّمٍ وَلَا تَأَخُّرٍ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَلَهُ الْمُلْكُ وَالْحَمْدُ، وَلَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَلَهُ
النُّعْمَةُ وَالْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ شَمَلَتْ قُدْرَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ .

قَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (يَسين: 82).

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ

بَعْدِهِ. ﴾ (فَطْل: 2).

وبما أن هذا الشأن العظيم لا ينبغي لغيره - سُبْحَانَهُ - فإنه من الوجوب الإسلام لألوهيته والاستسلام لعظمته، وتفويض الأمور كلها إليه، والتبرؤ من الحول والقوة إلا به، ولهذا تعبد الله عباده بذكره بهذه الكلمة العظيمة التي هي باب عظمة من أبواب الجنة وكنز من كنوزها.

فهي كلمة عظيمة تعني الإخلاص لله وحده بالاستعانة، كما أن كلمة التوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تعني الإخلاص لله في العبادة، فلا تتحقق (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إلا بإخلاص العبادة كلها لله، ولا تتحقق (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) إلا بإخلاص الاستعانة كلها لله وقد جمع الله بين هذين الأمرين في سورة الفاتحة أفضل سورة في القرآن وذلك في قوله: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة وتفويض إلى الله - عز وجل - والعبادة متعلقة بالوحيية لله سبحانه، والاستعانة متعلقة برُبوبيته، العبادة غاية والاستعانة وسيلة، فلا سبيل إلى تحقيق تلك الغاية العظيمة إلا بهذه الوسيلة الاستعانة بالله الذي لا حول ولا قوة إلا به⁽¹⁾.

اللَّهُمَّ أَنْتَ عَصَدْنَا وَنَصِيرُنَا بِكَ نَحْوُلُ وَبِكَ نَصُورُ وَبِكَ نَسْتَعِينُ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

(1) انظر «الحوقلة مفهومها ودلالاتها العقديّة» لعبد الرزاق البدر (11-12).

السَّعَادَةُ

13

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَّاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْجُنَّةُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «السَّعَادَةِ».

السَّعَادَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَمَا أَذْرَاكُمْ مَا السَّعَادَةُ إِتْمَانُ الشُّعُورِ الْمُسْتَمِرِّ بِالْغِبْطَةِ وَالطَّمَأِينَةِ وَالْأَرِيحَةِ وَالْبَهْجَةِ، فَهِيَ ضِدُّ الشَّقَاوَةِ.

وَالسَّعَادَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَيْسَتْ فِي الْمَالِ وَلَا فِي الْمُلْكِ وَلَا فِي الْاِسْتِمْتَاعِ بِمَا أُوْدِعَ اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ، إِنَّهَا السَّعَادَةُ جَعَلَهَا اللَّهُ مِنْ نَصِيبِ مَنْ اتَّبَعَ هُدَاهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ

حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (الْجَنَّةُ : 97).

قَالَ الشَّنَقِطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذَكَرَ - جَلَّ وَعَلَا - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ كُلَّ عَامِلٍ سِوَاءٍ أَكَانَ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَإِنَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يُقْسِمُ لِنُحْيِيَّتِهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَيَجْزِيَنَّهُ أَجْرَهُ بِأَحْسَنِ مَا كَانَ يَعْمَلُ.

وقال: وفي الآية الكريمة قرينة تدلُّ على أنَّ المراد بالحياة الطيبة في الآية حيلته في الدنيا حياة طيبة وتلك القرينة هي أننا لو قدرنا أنَّ المراد بالحياة الطيبة حياته في الجنة في قوله ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ صار قوله: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، تكرارًا معه؛ لأنَّ تلك الحياة الطيبة هي أجر عملهم بخلاف ما لو قدرنا أنَّها في الحياة الدنيا؛ فإنه يصير المعنى: فلنُحْيِيَنَّهُ في الدنيا حياة طيبة ولنُجْزِيَنَّهُ في الآخرة بأحسن ما كان يعمل⁽¹⁾.

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿ فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ ﴿١٣٣﴾ (طَلْحَتَا: 123).

قال في نوادر الأصول: «تابع القرآن قد أُجِرَ مِنْ شَقَاءِ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا، لِرَاحَةِ قَلْبِهِ مِنْ غُمُومِ الدُّنْيَا وَظُلُمَاتِهَا، وَسِيرِهِ فِي الْأُمُورِ بِقَلْبِهِ فِي رَاحَةٍ؛ لِأَنَّهُ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ وَاسِعُهُ وَبَدَنُهُ فِي رَاحَةٍ؛ لِأَنَّهُ مَيَسَّرَ عَلَيْهِ؛ لِظَمَانِ اللَّهِ وَاكْتِنَافِهِ لَهُ؛ وَكَذَا يُجَارُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ شَقَاءِ الْعَيْشِ فِي سُجُونِ النَّيْرَانِ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ»⁽²⁾.

أيها النَّاسُ كَمَا قَضَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنَّ السَّعَادَةَ مِنْ نَصِيبِ مَنْ أَتَّبَعَ هُدَاةً؛ فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - جَعَلَ الشَّقَاوَةَ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَتِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُنَّةُ اللَّهِ ﴿ وَلَنْ نَجْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ بَدِيلًا ﴾.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (طَلْحَتَا: 124).

(1) «أضواء البيان» (17/222).

(2) «البحر المديد» لابن عجيبة (3/336).

أَيَّ عَيْشًا ضَيِّقًا؛ لِأَنَّ مَجَامِعَ هَمَّتِهِ، وَمَطَامِعَ نَظَرِهِ مَقْصُورَةٌ عَلَى أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، وَهُوَ مُتَهَالِكٌ عَلَى أَرْدِيَادِهَا خَائِفًا مِنْ انْتِقَاصِهَا، بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِ الطَّالِبِ لِلْآخِرَةِ، فَإِنَّ نَوْرَ الْإِيمَانِ يُوجِبُ لَهُ الْقَنَاعَةَ الَّتِي هِيَ رَأْسُ الْغِنَى وَسَبَبُ الرَّاحَةِ، فَيَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً⁽¹⁾.

فَتَبَيَّنَ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ السَّعَادَةَ الْحَقَّةَ إِنَّمَا هِيَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ، فَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ يُحِبُّ لِدَاتِهِ إِلَّا اللَّهَ وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَإِنَّمَا يُحِبُّ تَبَعًا لِمَحَبَّتِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَاحْصُ أَنْ يَكُونَ هَمُّكَ وَاحِدًا وَأَنْ يَكُونَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَذَا غَايَةُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ، وَصَاحِبُ هَذَا الْحَالِ فِي جَنَّةٍ مُعَجَّلَةٍ قَبْلَ جَنَّةِ الْآخِرَةِ وَفِي نَعِيمٍ عَاجِلٍ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْوَاجِدِينَ إِنَّهُ لَيَمُرُّ عَلَى الْقَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِتْمَمَ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ. وَقَالَ آخَرُ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ يَرْقُصُ فِيهَا طَرْبًا، وَقَالَ آخَرُ: مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا قَبْلَ لَهْ: وَمَا أَطْيَبَ مَا فِيهَا؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ وَالْأُنْسُ بِقُرْبِهِ وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ»⁽²⁾.

وَلِلسَّعَادَةِ أَسْبَابٌ، فَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ (التَّوْبَةُ: 97).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طَبَّتْنَا: 123).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

(1) «البحر المديد» لابن عجيبة (4/465).

(2) «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه» (ص 30).

فَالْمُؤْمِنُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ سَعِيدٌ؛ لِعِلْمِهِ بِشَأْنِ اللَّهِ لَا يَقْضِي قَضَاءً إِلَّا وَفِيهِ تَمَامُ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ.

كما قال ابنُ ناصرِ الدِّينِ الدَّمَشْقِيُّ:

يَجْرِي الْقَضَاءُ وَفِيهِ الْخَيْرُ نَافِلَةٌ ○●○ لِمُؤْمِنٍ وَاثِقٍ بِاللَّهِ لَا لِأَهِي
إِنْ جَاءَهُ فَرَحٌ أَوْ نَابَهُ تَرْحٌ ○●○ فِي الْحَالَتَيْنِ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ؛ فَالْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ هُمُ السُّعْدَاءُ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مُطْمَئِنَّةٌ رَاضِيَةٌ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْ قَارُونَ: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص: 79-80).

فَتَأَمَّلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْمُتَهَالِكِينَ عَلَى الدُّنْيَا: ﴿وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

فَلِلَّهِ تِلْكَ الْعِزَّةُ وَتِلْكَ الْقِنَاعَةُ وَتِلْكَ الطُّمَأْنِينَةُ الَّتِي تَحَلَّى بِهَا الْعُلَمَاءُ؛ فَمَنْ رَامَ السَّعَادَةَ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَأَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ لَهَا رَأْيِي عَيْنٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ الَّذِينَ يُحْشَوْنَهُ حَقَّ حَشْيَتِهِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِكْتِسَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (الرعد: 28).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾

(طه: 124).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِصْرُ الْأَمَلِ وَعَدَمُ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا وَاتِّخَاذُهَا

مَعْبَرًا لَا مَقَرًّا.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

فَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ غَرِيبًا فَإِنَّهُ لَنْ يُنَازِعَ أَهْلَهَا وَلَنْ يُقَاتِلَهُمْ عَلَى حُطَامِهَا قَدْ خَلَا قَلْبُهُ مِنْ هُمُومِهَا وَأَكْدَارِهَا فَهُوَ مِنْ أَسْعَدِ النَّاسِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سَلَامَةُ الصَّدْرِ لِلْمُسْلِمِينَ وَمَتَى اضْطَرَّ لِلرَّدِّ عَلَى غَيْرِهِ كَانَ رُدُّهُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (فُضِّلَتْ : 34-35).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَإِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ حَيْرٌ وَبَقِي﴾ (١٣) ﴿ظَنَّتْ : 136﴾.

وَفِي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ⁽³⁾: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6416).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2963).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6125).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِفْظُ اللِّسَانِ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ.

فَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ سَعَدَتْ نَفْسُهُ وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ وَفَازَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ؛
فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بِالْأَيْهَوِيِّ بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتْ».

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِدْخَالُ الشُّرُورِ عَلَى قُلُوبِ النَّاسِ.

وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ مُتَعَةٌ وَلَذَّةٌ وَسَعَادَةٌ يَجِدُهَا الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا، فَضْلًا عَنِ الْأَجْرِ
الْعَظِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ
بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ
وَالْمَلْهُوفَ».

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْيَقِينُ بِأَنَّ سَعَادَةَ الْمُؤْمِنِ الْحَقِيقِيَّةَ فِي الْآخِرَةِ
لَا فِي الدُّنْيَا؛ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعُدُوا فَعَى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿١١٨﴾ ﴿هُود: ١٠٨﴾.

وَمَعْنَى غَيْرِ مَجْدُودٍ: أَيُّ غَيْرِ مَقْطُوعٍ وَلَا مَمْنُوعٍ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6478).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6018)، وَمُسْلِمٌ (47).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1445)، وَمُسْلِمٌ (1008).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ».

ومَّا جَاءَ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: «ذَكَرُوا عَنِ ابْنِ حَجَرَ الْعَسْقَلَانِيِّ شَارِحِ الْبُخَارِيِّ بِالْشَّرْحِ الَّذِي سَمَّاهُ «فَتْحُ الْبَارِي» وَكَانَ قَاضِي الْقُضَاةِ بِمِصْرَ، أَنَّهُ مَارًا ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عَلَى عَرَبِيَّةٍ تَجْرُهُ الْبِعَالُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ، مَرَّ بِرَجُلٍ يَهُودِيٍّ سَمَّانٍ يَعْنِي يَبِيعُ السَّمْنَ وَالزَّيْتَ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الَّذِي يَبِيعُ السَّمْنَ وَالزَّيْتَ ثِيَابُهُ وَسِخَةٌ وَحَالُهُ سَيِّئَةٌ فَأَوْقَفَ الْعَرَبَةَ وَقَالَ لابْنِ حَجَرَ: إِنَّ نَبِيَكُمْ يَقُولُ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» فَكَيْفَ أَنَا أَكُونُ بِهَذِهِ الْحَالِ وَأَنْتَ بِهَذِهِ الْحَالِ؟

فَقَالَ لَهُ ابْنُ حَجَرَ عَلَى الْبَدِيهَةِ: أَنَا بِالنَّسْبَةِ لِمَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الثَّوَابِ وَالنَّعِيمِ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا بِالنَّسْبَةِ لِلْآخِرَةِ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَوْضِعَ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ).

وَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْيَهُودِيُّ: فَأَنْتَ فِي جَنَّةٍ بِالنَّسْبَةِ لِمَا أَعَدَّ لَكَ مِنَ الْعَذَابِ إِنْ مِتَّ عَلَى الْكُفْرِ فَاقْتَنَعَ ذَلِكَ الْيَهُودِيُّ وَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي إِسْلَامِهِ وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ⁽³⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2956).

(2) «حَسَنٌ صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3017)، وَذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (3767) وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(3) تَفْسِيرُ ابْنِ عُثَيْمِينَ (2/30) تَفْسِيرُ سُورَةِ اللَّيْلِ.

الخطبة الثانية - موانع السعادة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «السَّعَادَةِ وَأَسْبَابِ الْحُصُولِ
عَلَيْهَا» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «مَوَانِعِ السَّعَادَةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ هُنَاكَ مَوَانِعٌ كَثِيرَةٌ لِلسَّعَادَةِ تَحُولُ دُونَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا⁽¹⁾.

فَمِنْ تِلْكَ الْمَوَانِعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْكُفْرُ بِاللَّهِ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ
أَنْ يُضِلَّهُ، يُغْوِئْ صَدْرَهُ، صَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (الأنعام: 125).

فَالْمَعْنَى - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْكَافِرَ مَثَلُهُ فِي الضِّيْقِ وَالضَّنْكِ مَثَلُ مَنْ يَصْعَدُ إِلَى
الطَّبَقَاتِ الْعُلْيَا مِنَ السَّمَاءِ إِذْ يَشْعُرُ بِضِيْقٍ فِي التَّنَفُّسِ وَكُلَّمَا تَزَايَدَ صُعُودُهُ تَزَايَدَ
شُعُورُهُ بِضِيْقٍ فِي التَّنَفُّسِ، وَمَعْلُومٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الطَّبَقَاتِ الْعُلْيَا مِنَ السَّمَاءِ لَا
أُكْسِحِينَ فِيهَا فَهَكَذَا حَالُ الْكَافِرِ فِي ضِيْقٍ وَكَرْبٍ وَهَمٍّ وَعَمٍّ.

وَمِنْ مَوَانِعِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يُورِثُ الشَّقَاءَ
وَالذُّلَّةَ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾ (التغول: 175).

وَأَصْلُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تَسْتَقِيمُ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِهَا وَلَا
يَسْتَقِيمُ الْإِيْمَانُ إِلَّا بِالْخَوْفِ.

(1) انظر «السعادة بين الوهم والحقيقة» (ص 12) وقد استندت منه في إعداد هذه الخطبة جزى الله
مؤلفه خيرا.

والخوف - أيها الناس - ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: الخوف من الله - عزَّ وجلَّ - وهو أوجبها وأعظمها، وهذا صرفه لغير الله شرك فمَنْ خاف من الأصنام والأوثان والأشجار وغيرها ويعتقد فيها أنها تضرُّ أو تنفع فهذا من الشرك الأكبر.

- والقسم الثاني: خوفٌ يحملُ صاحبه على فعلٍ معصيةٍ أو تركٍ واجبٍ من خوفِ المخلوقين فهذا محرَّمٌ.

- والقسم الثالث: الخوفُ الطبيعيُّ كخوفه من الحية والعقرب واللصوص فهذا الخوفُ جائزٌ لا محذورَ فيه⁽¹⁾.

ومن موانع السعادة - أيها الناس - الغضب.

فمن تحكَّم فيه غضبه لن يجدَ طعمَ السعادةِ ومن تحكَّم في غضبه ساعده على مواجهة الصعابِ والتغلبِ على العقباتِ.

وقد أثنى الله - سبحانه وتعالى - على الذين يتحكَّمون بأنفسهم عند الغضب.

فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: 134).

وقال الله - سبحانه وتعالى - في وصفِ عباده المؤمنين: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾

(الشورى: 37).

كما بينَ النبي ﷺ أن قوة النفس ليست بالبطش وإنما بالتحكُّم بها والأخذ

بزمَامِها ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

قال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

(1) انظر «التعليقات البازية على كتاب التوحيد» (52/1).

(2) رواه البخاري (5763)، ومسلم (2609).

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْصِنِي». قَالَ: «لَا تَغْضَبُ».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ أَعْظَمَ مَا يَنْشَأُ عَنِ الْغَضَبِ الْكِبْرُ؛ لِكَوْنِهِ يَقَعُ عِنْدَ مُخَالَفَةِ أَمْرٍ يُرِيدُهُ فَيَحْمِلُهُ الْكِبْرُ عَلَى الْغَضَبِ، فَالَّذِي يَتَوَاضَعُ حَتَّى تَذَهَبَ عَنْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ يَسْلَمُ مِنْ شَرِّ الْغَضَبِ»⁽²⁾.

ومن موانع السَّعادة - أيها النَّاسُ - الظُّلمُ. فَإِنَّ الظُّلْمَ مَرَّتَعُهُ وَخَيْمٌ وَعَاقِبَتُهُ سَيِّئَةٌ.

ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَنَاحِشُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ امْرِيءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ».

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِذَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً أَمَرُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ بِمَا يُوجِبُ تَأَلَّفَ الْقُلُوبِ وَاجْتِمَاعَهَا، وَمَهُوَ عَمَّا يُوجِبُ تَنَافُرَ الْقُلُوبِ وَاجْتِمَاعَهَا»⁽⁵⁾.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5765).

(2) «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (520/10).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2447) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2578) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(4) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2564).

(5) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (336/1).

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرُنَا وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا،
وَأَصْلِحْ آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَالْمَوْتَ رَاحَةً
لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ تَرْجُو فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

فضائل الیمین فی کتاب السنة⁽¹⁾

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابرة: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسبة: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأخلاق: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «فضائل اليمین وأهلها».

أيها الناس إن لأهل اليمین منة على كثير من أهل بلاد الله فمنهم المجاهدون
والفاتحون ومنهم القادة المصلحون، ومنهم العلماء الربانيون، ومنهم الدعاة العاملون.

فمن حفظ الجميل - أيها الناس - أن نذكر ما جاء في فضل هذا البلد الطيب
الطيب أهلها في الكتاب وصحيح السنة.

فمن فضائل اليمین - أيها الناس - :

(1) انظر كتابنا «بلدة طيبة» فيه تفصيل ما أجمل هنا وهذه الخطبة منه.

قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ (سَبَأًا : 15).

فَسَبَأٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَبِيلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْيَمَنِ سَمَّتِ الْيَمَنَ بِاسْمِهَا وَهِيَ «بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ» وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ مِيزَاتِ كَلَامِ اللَّهِ الْخُلُودَ فَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ طَيِّبَةَ هَذَا الْبَلَدِ أَمْرٌ مُسْتَمِرٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَلِأَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ الطَّيِّبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَنَاقِبٌ.

فَمِنْ مَنَاقِبِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُمْ بِأوصافٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (الْمَائِدَةَ : 54).

وَهَذِهِ الْآيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْيَمَنِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» وَابْنَ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنَ جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عِيَاضِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ . أَوْ مَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي مُوسَى بِشَيْءٍ كَانَ مَعَهُ، فَقَالَ : «هُم قَوْمٌ هَذَا» .

وَمِنْ مَنَاقِبِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُمْ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ (التَّوْبَةَ : 1-2).

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (313/2)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» (125/12)، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (12193)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (371/17)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (3368).

وهذه الآية - أيها الناس - نزلت في أهل اليمن.

فقد أخرج عبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» وتلميذه الإمام أحمد في مُسْنَدِهِ مِنْ طريق عبد الرزاق بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ؛ هُمْ أَرْقُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٌ، وَالْفِقْهُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ».

وأخرج الطبراني في «الكبير» والنسائي في «الكبرى» والبخاري في «التاريخ» بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ﴾ فَقَالَ: «هُمُ أَهْلُ الْيَمَنِ».

وأخرج ابن حبان في موارده بسند صحيح لغيره قاله الألباني في «التعليقات الحسان»⁽³⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ إِذْ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ! اللَّهُ أَكْبَرُ! جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، قَوْمٌ نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ، لَيْتَهُ طَبَاعُهُمُ الْإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْفِقْهُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ».

أيها الناس سنة النبي ﷺ حافلة بالثناء الحسن على أهل اليمن وذكر فضائلهم. فمن فضائل اليمن - أيها الناس - ما جاء في «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، أَرْقُ أَفئِدَةً وَأَلْيَنُ

(1) «صحيح» أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (404/2)، وأحمد في «مُسْنَدِهِ» (7709) مِنْ طريق عبد الرزاق - أيضًا -، وصححه الألباني في «الصحيح» (3369)

(2) «حسن» أخرجه الطبراني في «الكبير» (11903)، والنسائي في «الكبرى» (172/5)، والبخاري في «التاريخ» (195/3)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (3369).

(3) «صحيح لغيره» أخرجه ابن حبان في موارده (2299) وقال الألباني في «صحيح موارِدِ الظَّمانِ» (1957) صحيح لغيره.

(4) زوَاهُ الْبُخَارِيُّ (4390)، ومسلم (52).

قُلُوبًا، الإِيْمَانُ بِيَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْحِيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ».

وفي لَفْظٍ آخَرَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ - أَيضًا - مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، أَضْعَفُ قُلُوبًا، وَأَرْقُ أَفئِدَةُ الْفِقْهَةِ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ».

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ غَيْرِهِمْ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ثُوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَبِعْتُمْ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسِ لِأَهْلِ الْيَمَنِ (أَيُّ اطْرُدُ النَّاسَ عَنْهُ غَيْرَ أَهْلِ الْيَمَنِ) حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ (أَيُّ: حَتَّى يَسِيلَ عَلَيْهِمْ)» فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بِيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدُّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ».

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا كَرَامَةٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ فِي تَقْدِيمِهِمْ فِي الشُّرْبِ مِنْهُ؛ مُجَازَاةً لَهُمْ بِحُسْنِ صَنِيعِهِمْ، وَتَقْدِيمِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْأَنْصَارُ مِنَ الْيَمَنِ، فَيَدْفَعُ غَيْرَهُمْ حَتَّى يَشْرَبُوا كَمَا دَفَعُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَعْدَاءَهُ وَالْمَكْرُوهَاتِ»⁽³⁾.

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُرْعَةُ انْقِيَادِهِمْ لِلْحَقِّ وَقَبُولُهُمْ لَهُ.

ففي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ». قَالُوا: بَشَرْتَنَا

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (4390)، وَمُسْلِمٌ (52).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (3301).

(3) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (62/15، 63).

(4) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7418).

فَاعْطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يُقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ». قَالُوا: قَبِلْنَا.

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمْ أَهْلُ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ.
فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدِ حَسَنِ حَسَنَةَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ
بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَهْلُ الْيَمَنِ أَرْقُ قُلُوبًا، وَأَلْيَنُ أَفْئِدَةً،
وَأَنْجَعُ طَاعَةً».

وَمِنْ فَضَائِلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا مُبَارَكَةٌ بِدَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ.
فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا». قَالُوا: وَنَجِدْنَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ
بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجِدِنَا، فَأَظْنُهُ قَالَ
فِي الثَّلَاثَةِ: «هَنَّاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يُطْلَعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ رِجَالَ الْيَمَنِ مِنْ خَيْرِ الرِّجَالِ.
فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدِ صَحِيحِ صَحْحَةِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ
عَمْرٍو بْنِ عَبْسَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُ يَوْمًا خَيْلًا
وَعِنْدَهُ عِيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرِ الْغَزَارِيُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَفْرَسُ بِالْحَيْلِ
مِنْكَ». فَقَالَ عِيْنَةُ: وَأَنَا أَفْرَسُ بِالرِّجَالِ مِنْكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَكَيْفَ ذَاكَ؟».
قَالَ: خَيْرُ الرِّجَالِ رِجَالٌ يَحْمِلُونَ سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، جَاعِلِينَ رِمَاحَهُمْ عَلَى

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (154/4) وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1775): حَسَنٌ.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1037).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (1945، 1946)، وَصَحْحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2606)، (3127).

مناسج خيولهم، لا بسوا البرود من أهل نجد. فقال رسول الله ﷺ: «كذبت، بل خير الرجال رجال اليمن».

ومن فضائل أهل اليمن - أيها الناس - أنهم خيار من في الأرض.

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ وحسنه الوادعي في «الجامع الصحيح» من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بطريق بين مكة والمدينة، فقال: «يوشك أن يطلع عليكم أهل اليمن؛ كأنتهم السحاب، هم خيار من في الأرض». فقال رجل من الأنصار: ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت. قال: ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت. قال: ولا نحن يا رسول الله؟ قال في الثالثة كلمة ضعيفة: «إلا أنتم».

وأستغفر الله.

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (16724)، وصححه الألباني في «الصحيح» (3437)، وحسنه شيخنا الوادعي في «الجامع الصحيح» (84/4).

الخطبة الثانية - فضائل بعض القبائل اليمانية :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «فَضَائِلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «فَضَائِلِ بَعْضِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ حِفْظِ الْجَمِيلِ؛ فَلَهَا الْقَدْحُ الْمَعْلَى فِي الْجِهَادِ كَمَا لَهَا الدَّوْرُ الْعَظِيمُ فِي الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

فَمِنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ هَمْدَانَ.

فَفِي سُنَنِ الْبَيْهَقِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقِفَلَ خَالِدًا وَمَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَّا رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ مَعَ خَالِدٍ أَحَبَّ أَنْ يَبْقَى مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلْيَعْقُبْ مَعَهُ.

قَالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْتُ مِمَّنْ عَقِبَ مَعَهُ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْقَوْمِ خَرَجُوا إِلَيْنَا فَصَلَّى بِنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَفَّنَا صَفًّا وَاحِدًا ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانَ جَمِيعًا، فَكَتَبَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِإِسْلَامِهِمْ فَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِتَابَ خَرَّ سَاجِدًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ».

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ (369/2) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الْبَخَارِيِّ، وَأَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ صَدْرَ هَذَا الْحَدِيثِ فِي «صَحِيحِهِ» (4349)، وَصَحَّحَهُ الْمُتَدْرِئِيُّ فِي «مَخْتَصَرِ السُّنَّةِ» (86/4)، وَابْنُ الْهَثَمِ فِي «فَتْحِ الْقَدِيرِ» (425/1)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (474).

وَهَمْدَانُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ بَلْ إِنَّمَا لَتَشَكَّلُ أَكْثَرَ مِنْ ثُلُثِ سَكَّانِ الْيَمَنِ الْيَوْمَ وَيَتَفَرَّغُ مِنْهَا حَاشِدٌ وَبِكَيْلٌ.

وَمِنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ حِمِيرٍ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ذِي مَخْبَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي حِمِيرٍ فَتَزَعَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَجَعَلَهُ فِي قُرَيْشٍ وَسِعُودُ إِلَيْهِمْ».

وَحِمِيرٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيْضًا - .

وَمِنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْأَشْعَرِيِّينَ .

فَفِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».

وَمِنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّخَعُ .

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الْأَرْنَؤُوطُ فِي «تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو لِهَذَا الْحَيِّ مِنَ النَّخَعِ، أَوْ قَالَ: يُثَنِّبُنِي عَلَيْهِمْ، حَتَّى تَمَتَّيْتُ أَنِّي رَجُلٌ مِنْهُمْ .

وَمِنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَذْحَجٍ .

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (91/4)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2022).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2486)، وَمُسْلِمٌ (2500).

(3) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (3826) وَقَالَ الْأَرْنَؤُوطُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ (376/6) حَسَنٌ.

ما جاء في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بَسْنَدِ صَحِيحِ صَحْحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ عَبَسَةَ السَّلْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَرُّ قَبِيلَتَيْنِ فِي الْعَرَبِ: نَجْرَانُ، وَبَنُو تَعْلِبٍ، وَأَكْثَرُ الْقَبَائِلِ فِي الْجَنَّةِ مَذْحَجٌ». وَمَذْحَجٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ وَتُشَكَّلُ قَرِيبًا مِنْ رُبْعِ سُكَّانِ الْيَمَنِ.

وَمِنْ فُضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْأَزْدِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بَسْنَدِ صَحِيحِ صَحْحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعَمَ الْقَوْمُ الْأَزْدُ، طَيِّبَةٌ أَفْوَاهُهُمْ، بَرَّةٌ أَيْمَانُهُمْ، نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ».

وَقَبِيلَةُ الْأَزْدِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ وَتَفَرَّعَ عَنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ الْأَوْسُ وَالْحَزْرَجُ وَهُمْ الْأَنْصَارُ.

وَلَا يُوجَدُ قَبِيلَةٌ نَالَتْ مِنَ الشَّرْفِ الْعَظِيمِ، وَالثَّنَاءِ الْبَالِغِ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَمِنَ الرَّسُولِ ﷺ كَقَبِيلَةِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ، وَتَسْمِيَّتُهُمْ فِي الْأَصْلِ: الْأَوْسُ وَالْحَزْرَجُ، فَسَمَّاهُمْ اللَّهُ الْأَنْصَارَ؛ لِئَنْصَرَتِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿وَالسَّيْفُورُ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (البُورِجَةِ: 100).

وَقَدْ أَمْتَدَحَهُمُ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الْحَبَشَةِ: 9).

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (1945) وَصَحْحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2606)، (3127).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (351/2) وَصَحْحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1039).

وفي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَنْصَارُ لَا يُجِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ».

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِلَّذِينَ آمَنُوا

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينَا

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ سُوءًا فَأَشْغَلْهُ بِنَفْسِهِ وَرَدَّ
كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ إِنَّكَ وَليُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3783)، وَمُسْلِمٌ (75).

الثَّبَاتُ عَلَى دِينِ اللَّهِ

15

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَّةُ: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلَاتُ: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. أَمَّا بَعْدُ - فَحَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الثَّبَاتِ عَلَى دِينِ اللَّهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الثَّبَاتُ هُوَ الْاسْتِقَامَةُ عَلَى الْجَادَّةِ وَلِزُومُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْ غَيْرِ عَوَجٍ وَلَا انْحِرَافٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الثَّبَاتَ عَلَى دِينِ اللَّهِ هُوَ رَأْسُ الْمَالِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ الْخَسَارَةَ وَهُوَ وَصِيَّةُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ.

قال يعقوبُ لَبْنِيهِ: ﴿يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢)

(الْبَيْهَقِيُّ: 132).

ولمّا كان المسلمُ عرضةً للابتلاءِ والمحنِ حتّى في إيمانه.

كما في مُستدركِ الحاكمِ بسندٍ صحيحٍ صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ، فَسَلُوا اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ».

كانَ لزامًا علينا أن نُبيِّنَ لكم موانعَ الثَّباتِ على دينِ اللهِ ثُمَّ بَعْدَهُ نَذَكُرُ أسبابَ الثَّباتِ. فَمِنْ موانعِ الثَّباتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - طُولُ الأَمَلِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ (الحجرات: 16).

فهذا - أَيُّهَا النَّاسُ - تحذيرٌ من اللهِ لنا مِنْ طُولِ الأَمَلِ حَيْثُ يَتَوَلَّدُ عَنْهُ الكَسَلُ عن الطَّاعَةِ، والتَّسْويفُ بالتَّوبَةِ، والرَّغْبَةُ في الدُّنْيَا والنَّسيانُ لِلآخِرَةِ والقَسْوَةُ في القلبِ.

وقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ (الحجرات: 3).

والمعنى - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ دَعْوَاهُمْ يَعْيشُوا كالأنعامِ ولا يَهْتَمُّوا بِغَيْرِ الطَّعَامِ والشَّرَابِ والشَّهَوَاتِ والتَّبَاهِي في زِينَةِ الدُّنْيَا مِنَ السَّكَنِ والمَرْكُوبِ وما إلى ذلك.

ومعنى ﴿ وَيُلْهِمُ الأَمَلُ ﴾ : أَيُّ يَشْغَلُهُمْ طُولُ الأَمَلِ والعُمُرِ عن استقامَةِ الحالِ على الإِيْمَانِ، والأخذِ بطَّاعَةِ اللهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -.

ومن موانعِ الثَّباتِ التَّوَسُّعُ في المَبَاحَاتِ تَوْسَعًا يُخْرِجُهُ عن حَدِّ الاعتدالِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ (طه: ٨١).

(1) «صحيح» أخرجه الحاكم (4/1)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (1590).

فَأَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَنَهَى عَنِ الطُّغْيَانِ لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْبَطَالَةِ
وَالكَسَلِ وَكُلِّ شَيْءٍ تَجَاوَزَ حَدَّهُ انْقَلَبَ إِلَى ضِدِّهِ حَتَّى فِي الْمُبَاحَاتِ .
وَمِنْ مَوَانِعِ الثَّبَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِبْتِعَادُ عَنِ الْأَجْوَاءِ الْإِيمَانِيَّةِ .
فَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ كَمَا أَنَّ النَّفْسَ إِذَا لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ وَالطَّاعَةِ
شَغَلَتْكَ بِالْمَعْصِيَةِ .

فَالْإِيمَانُ يَضْعُفُ وَيَضْمَحِلُّ إِذَا تَعَرَّضَ الْعَبْدُ لِأَجْوَاءِ الْإِبَاحِيَّةِ وَالْفُجُورِ وَالتَّبَرُّجِ
وَالسُّفُورِ أَوْ خَالَطَ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي أَسْوَاقِهِمْ وَأَطَالَ فِيهَا الْبَقَاءَ وَأَجَالَ فِيهَا النَّظَرَ
وَهَجَرَ الْجَمَاعَةَ فِي الْمَسَاجِدِ وَانْتَفَى بِالصَّلَاةِ فِي الْبُيُوتِ .

لِذَلِكَ جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا» .

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾
مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْسَنُ الْبِقَاعِ إِلَى
اللَّهِ الْمَسَاجِدُ وَأَبْغَضُ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ الْأَسْوَاقُ» .

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ مَوَانِعِ الثَّبَاتِ، وَسَاعِرِّجُ بِكُمْ الْآنَ عَلَى وَسَائِلِ الثَّبَاتِ
عَلَى دِينِ اللَّهِ .

فَمِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ عَلَى دِينِ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِشْعَارُ عَظَمَةِ اللَّهِ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ (الْأَنْعَامُ : 59) .

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (671) .

(2) «حَسَنٌ صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (18/4)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (78/1) حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الأنبياء : 67).

ومن وسائل الثبات - أيها الناس - الالتزام بالدين.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴾ وَإِذَا لَاتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ ٢٧ ﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿ ٢٨ ﴾ (الأنبياء : 66-68).

ومن وسائل الثبات - أيها الناس - المسارعات في الخيرات.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ (التغابن : 133).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (المتخلين : 21).

والمسارعات إلى الطاعة - أيها الناس - بحاجة إلى الاستمرار عليها.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ ».

ومن وسائل الثبات - أيها الناس - قراءة القرآن وتدبره والعمل به فهو من أعظم وسائل الثبات.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان : 32).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الحج : 102).

(1) رواه مسلم (783).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - الشعور بالافتقار إلى تثبيت الله؛ لأنه من فقد الله ماذا وجد ومن وجد الله ماذا فقد؟

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَفَتَدَكَّتْ تَرَكُّنٌ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ ﴿٧٦﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۖ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الأنزل: 74-75).
وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَتَىٰ مَعَكُمْ فَتُنُوتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ ﴾ (الأنزل: 12).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - الإيمان بالله وصدق التوكل عليه والالتجاء إليه والشعور الدائم بمعيته والاعتقاد الجازم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك والإيمان باسماء الله وصفاته وتحقيق العبودية لله وحده لا شريك له والبراءة من الشرك وأهله، والنفاق وأهله فذلك وغيره من الإيمان سبب عظيم من أسباب الثبات.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ ﴾ (إبراهيم: 27).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - قصر الأمل؛ لأنه كلما قصر الأمل جد العمل؛ لأن العبد يُقدَّرُ أنه يموت اليوم فيستعدُّ استعدادَ مسافرٍ توشك الرحلة أن تفوته.
ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وفي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَنْطَلْتُ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

(1) رواه البخاري (6416).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (60/2)، وصححه الألباني في «الصحيح» (438).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - التعلق بالمسجد وأهله.
ففي التعلق بالمسجد وأهله ما يُعين على الثبات حيث المحافظة على صلاة
الجماعة والصُحبة الصالحة ودعاء الملائكة وحلق العلم.

قال الله - سبحانه وتعالى - في وصف الملازمين للمساجد المشغولين بها عن الدنيا:
﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾
(التوبة: 37-38).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَ بَيْنَهُمْ إِلَّا
نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».
وجلس الصالحين يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله به عليهم إكراماً لهم،
ولو لم يُشاركهم في أصل الذكر

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَلَائِكَةَ سَيَّارَةَ فَضْلاً يَتَّبِعُونَ الذِّكْرَ فَإِذَا وَجَدُوا
مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ - : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -
وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ، فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يَسْأَلُونَكَ
وَيَكْبُرُونَكَ وَيَهْلِلُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونَني، قالوا: يَسْأَلُونَكَ
جِئْتِكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جِئْتِي، قالوا: لَا أَيْ رَبِّ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جِئْتِي، قالوا:

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (60/2)، وصححه الألباني في «الصحيح» (438).

(2) رواه البخاري (640) واللفظ له، ومسلم (2689).

وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمَا يَسْتَجِيرُونَني. قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا ناري، قالوا: لا قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قال: فيقول: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبدٌ خطاءٌ إنما جَلَسَ مَعَهُمْ، قال: فيقول: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

وَبَيْنَ صَلَّيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَدْعُو لِمَنْ جَلَسَ بَعْدَ الصَّلَاةِ لِلذِّكْرِ.

كما في «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَاللَّهُمَّ ارْحَمْهُ».

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ أَنَّ مَنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي رِبَاطٍ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الحُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ».

وَالرِّبَاطُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ مَرَابِطَةُ الْعَدُوِّ وَمَلَازِمَتُهُمْ. وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (445)، ومسلم (362).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (251).

الخطبة الثانية - من أسباب الثبات :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ لَا زِلْنَا وَإِيَّاكُمْ مَعَ «أسباب الثبات».

فمن أسباب الثبات - أَيُّهَا النَّاسُ - الرجوعُ إلى أهلِ العلمِ عند وُرُودِ الشُّبُهَاتِ وحُلُولِ الفِتَنِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ، لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (النَّبَأَةُ : 83).

فهذا - أَيُّهَا النَّاسُ - تأديبٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ الْمُهَيْمَةِ وَالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَمْنِ وَسُرُورِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ الْخَوْفِ الَّذِي فِيهِ مُصِيبَةٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَشَبَّهُوا وَلَا يَسْتَعْجِلُوا فِي إِشَاعَةِ الْخَبَرِ بَلْ يَرُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالنُّصْحِ ⁽¹⁾.

وذلك لأنَّ أهلَ العلمِ يَعْرِفُونَ الفِتْنَ عِنْدَ إِقْبَالِهَا وَالنَّاسُ يَعْرِفُونَ الفِتْنَ عِنْدَ إِدْبَارِهَا.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مُخْبِرًا عَنِ مَوْقِفِ عَامَّةِ النَّاسِ مِنْ قَارُونَ: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧١﴾ ﴾ (الْقَصَصُ : 79).

وقال في موقفِ أهلِ العلمِ مِنْ قَارُونَ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ ﴾ (الْقَصَصُ : 80).

(1) تفسير ابن سعدي (190).

فيقول في الخامسة: رضى رب. فيقول: هذا لك وعشرة أمثالها، ولك ما أشتهت نفسك، ولذت عينك. فيقول: رضى، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر.

ومصدقه في كتاب الله - عز وجل - : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾

(التكوير: 17).

ومن وسائل الثبات - أيها الناس - الدعاء.

فمن صفات عباد الله أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم على الطاعة.

قال الله - سبحانه وتعالى - حاكياً عنهم قولهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (التغاب: 8).

ولما كانت قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقيل له في ذلك؟ قال: «إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ».

والحديث أخرجه الترمذي في سننه بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ عن أم سلمة رضي الله عنها.

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

اللهم ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك.

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (2792) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4801).

غزوة بدر

16

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغاب: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عَنِ «غَزْوَةِ بَدْرِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ غَزْوَةَ بَدْرِ مَلْحَمَةٌ مِنْ مَلَا حِمِ الْإِسْلَامِ وَيَوْمٌ مِنْ أَيَّامِهِ الْجَلِيلَةِ الْعِظَامِ يَوْمٌ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ جُنْدَهُ وَنَصَرَ فِيهِ عَبْدَهُ وَأَدَّلَّ فِيهِ مَنْ عَادَاهُ، وَرَفَعَ الْمَنَارَ لِمَنْ وَالَاهُ، يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ.

يَوْمٌ خَاضَهُ رَسُولُ اللَّهِ مَعَ ثَلَاثِ مِائَةٍ وَأَرْبَعَةِ عَشَرَ رَجُلًا هُمْ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ كَتَبَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ وَهُمْ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ وَنَادَى عَلَيْهِمْ مُنَادِي اللَّهِ: يَا أَهْلَ بَدْرِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ⁽¹⁾.

(1) انظر «غزوة بدر» للشنقيطي (ص 1).

كما في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ (وَفِي لَفْظٍ: لَعَلَّ اللَّهُ) أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ بَلْتَعَةَ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَلَّ اللَّهُ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ رَافِعَةَ بِنِ رَافِعِ الرَّزْقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَعْدُونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ - وَكَلِمَةً نَحْوَهَا». قَالَ: وَكَذَلِكَ مَا شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحَدِيثِيَّةَ».

وَكَانَتْ غَوَاةً بَدْرٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ.

وَسَبَبُهَا مَا ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «فَقْهِ السِّيَرَةِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ مُقْبِلًا مِنَ الشَّامِ نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «هَذِهِ عَيْرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَأَخْرَجُوا لَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُفْلِكُكُمْوهَا».

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/295)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (6/521).

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6279)، وَمُسْلِمٌ (2494).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3992).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (3/396)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5227).

(5) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (5/261)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «فَقْهِ السِّيَرَةِ» (ص 218).

ولم يعزم على أحد بالخروج فسار رسول الله ﷺ بالجيش فيه ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً بفرسين وسبعين بعيراً يتعاقبونها وكان النبي ﷺ وعلي ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيراً واحداً ودفع لواء القيادة لمصعب بن عمير وكان أبيضاً وقسم الجيش إلى كتيبتين كتيبة المهاجرين وأعطى علمها علي بن أبي طالب، وكتيبة الأنصار وأعطى علمها سعد بن معاذ، وجعل على قيادة الميمنة الزبير بن العوام وعلى الميسرة المقداد بن عمرو، وعلى الساقة قيس بن أبي صعصعة، وهو القائد الأعلى للجيش وعلم أبو سفيان بجواسيسه مسير عسكر المؤمنين فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة، فصر بطن الوادي واقفاً على بعيره، وقد جدع أنفه وحول رجليه، وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة، اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث. فتحفز الناس سراعاً وتجمع نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في مائة فرس وستمائة درع وجمال كثيرة لا يعرف عددها بقيادة أبي جهل وقد أفلت أبو سفيان بالبعير فسار باتجاه الساحل، وأرسل رسالة إلى جيش قريش وهم في الجحفة: إنكم خرجتم لتحرزوا غيركم ورجالكم وأموالكم، وقد نجاها الله فأرجعوا، فهم الجيش بالرجوع، عندها قام أبو جهل وقال: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الحمر وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فرجعت بنو زهرة وكانوا حوالي ثلاثمائة رجل، وقدر الله - سبحانه وتعالى - تدبيره بنجاة أبي سفيان ومن معه ليحقق الحق ويبطل الباطل ويقطع دابر الكافرين.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ (الأنفال : 7).

فسار الجيش من ألف مقاتل حتى نزل قريبا من بدر بالعدوة القصوى.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَاتَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال : 42).

ولما تبين رسول الله ﷺ إفلات العير وأتاه خبر خروج قريش بسلاحها وقيانها وخمرها وجيش يفوق أصحابه عددا وعدة لم يبادره بهاله من مقام النبوة يأمر وينهى بيني المواجهة بل جمع من حوله من أنصار ومهاجرين يشاورهم - إعمالا لأمر الله - ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (التغوى : 159).

واتخذ النبي ﷺ عريشا على تل مرتفع في الشمال الشرقي لميدان القتال، ثم عبأ رسول الله ﷺ جيشه، ومشى في موضع المعركة وجعل يشير بيده: «هذا مضرع فلان غدا - إن شاء الله - وهذا مضرع فلان غدا إن شاء الله». كما في «صحيح مسلم»⁽¹⁾.

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عمر رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مده فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم أت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، ماددا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه.

فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: «يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك»، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ إِذْ

(1) رواه مسلم (1779).

(2) رواه مسلم (1763).

تَسْتَعِينُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾ (الأنفال : 9).
فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ.

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبِدْ». فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ فخرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الذُّبُرَ﴾ (الفتن: 45).

وَبَدَأَتْ الْمَعْرَكَةُ بِالْمُبَارَزَةِ كَمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَقَدَّمَ - يَعْنِي عُتْبَةَ بْنَ رَيْبَعَةَ - وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ، فَنَادَى مَنْ يُبَارِزُ فَاثْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ، إِنَّمَا أَرُونَا بَنِي عَمَّنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ يَا حَمْرَةَ! قُمْ يَا عَلِيُّ! قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ!».

فَأَقْبَلَ حَمْرَةَ عَلَى عُتْبَةَ وَأَقْبَلَتْ إِلَى شَيْبَةَ، وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ فَأُخِزْنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ، ثُمَّ مَلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ. ثُمَّ مَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَقَدْ اخْتَلَطَتِ الصُّفُوفُ، وَتَلَاقَتِ السُّيُوفُ وَحَسَمَ أَمْرُ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ اللَّقَاءَ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾﴾ (الأنفال : 12).

وَتَتَابَعُ السُّيُوفُ وَالرِّمَاحُ مَغْلَهَا فِي الْقَوْمِ حَتَّى أَذَلَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ فَوَقَعُوا بَيْنَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3953).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (2392)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (417/7).

واستجاب الله دعاء نبيه كما جاء في سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الصَّحِيحَةَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . «اللَّهُمَّ إِنَّمْ حِفَاةٌ فَاحْمِلُهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّمْ عُرَاةٌ فَكَسُهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّمْ جِيَاعٌ فَأَشْبِعِهِمْ». فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَانْقَلَبُوا حِينَ انْقَلَبُوا وَمَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ رَجَعَ بِحِمْلٍ أَوْ حَمَلَيْنِ وَاکْتَسَوْا وَشَبِعُوا .
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

(1) «صَّحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (2747)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (4/3).

الخطبة الثانية - فوائد من غزوة بدر:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدّم الحديث معكم - أيها الناس - عن «غزوة بدر» والآن حديثي معكم عن «فوائد من تلك الغزوة».

فمن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن الاستغاثة بالله سبب عظيم من أسباب النصر. قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ (الأنفال: 9).

ومن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن نزول الملائكة للبشرى والطمأنينة. قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (الأنفال: 126).

ومن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن الماء والنعاس من جنود الله. قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (الأنفال: 11).

ومن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن الله - سبحانه، وتعالى - يدير المعركة.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الأنفال: 12).

ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله، ومن يشاقق الله ورسوله، فكاتب الله شديد العقاب (13) ذلكم فذوقوه وأنك للكافرين عذاب النار (14) ﴿ (الأنفال: 12-14).

ومن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن الله - سبحانه، وتعالى - هو الذي أخرج رسوله ومن معه إلى المعركة ليحقق الحق ويبطل الباطل.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَبُطْلَ الْبَاطِلِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ﴿٨﴾

(الأنفال: 5-8).

وَأَسْأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْنَا إِسْلَامَنَا ذَلِكَ الْإِسْلَامَ الَّذِي جَاهَدَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَقَّ الْجِهَادِ حَتَّى أَخْرَجَ بِهِ الدُّنْيَا مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ.

اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا رُشْدَنَا وَاهْدِنَا سِوَاءَ السَّبِيلِ وَثَبِّتْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَلْقَاكَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَلَا مُبَدِّلِينَ وَلَا مُغَيِّرِينَ.

عُلُوُّ الْهَمَّةِ

17

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابرة: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «عُلُوِّ الْهَمَّةِ».

عُلُوُّ الْهَمَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - «هُوَ اسْتِصْغَارُ مَا دُونَ النِّهَايَةِ مِنْ مَعَالِي الْأُمُورِ، وَطَلْبُ الْمَرَاتِبِ السَّامِيَةِ، وَاسْتِحْقَاقُ مَا يَجُودُ بِهِ الْإِنْسَانُ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ، وَالِاسْتِخْفَافُ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ، وَطَلْبُ الْغَايَاتِ، وَالتَّهَاقُوتُ بِمَا يَمْلِكُهُ، وَبَدَلُ مَا يُمَكِّنُهُ لِمَنْ يَسْأَلُهُ مِنْ غَيْرِ امْتِنَانٍ وَلَا اعْتِدَادٍ بِهِ» كَمَا قَالَ الْجَاحِظُ فِي كِتَابِهِ «تَهْذِيبُ الْأَخْلَاقِ»⁽¹⁾.

(1) «تهذيب الأخلاق» للجاحظ (28).

وقال في «دُنُوِّ الهِمَّةِ»: «هو ضعفُ النَّفْسِ عن طلبِ المراتبِ العاليةِ، وقُصورُ الأملِ عن بلوغِ الغاياتِ، واستكثارُ اليَسِيرِ من الفضائلِ، واستِعْظَامُ القليلِ من العطايا والاعتدادُ بِهِ، والرِّضَى بأوساطِ الأمورِ وصِغارِها»⁽¹⁾.

وقال الحُضْرُ حُسينَ رَحِمَهُ اللهُ: «عُلُوُّ الهِمَّةِ: هو استِصْغارُ ما دونَ النِّهايةِ من معالي الأمورِ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ الإِسْلامُ دينُ العِزَّةِ والكَرامَةِ، ودينُ السَّموِّ والارْتِفاعِ، ودينُ الجِدِّ والاجْتِهادِ، فليسَ دينَ ذِلَّةٍ وَمَسْكَنةٍ، ولا دينَ كَسَلٍ وَخمولٍ ودَعَةِ. إنه دينٌ يَحْضُ على عُلُوِّ الهِمَّةِ وَيَحْتُ المسلمينَ على التَّحَلِّيِ بِهذا الخُلُقِ⁽³⁾.

فقد أخرج الطَّبْرانِيُّ في الكبيرِ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ - تَعَالَى - يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَافَهَا».

وفي «صحيح مُسلم»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خَيْرٌ وأحبُّ إلى اللهِ مِنَ المؤمنِ الضَّعيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، إِحْرَاضٌ على ما يَنْفَعُكَ، واستِعْنِ باللهِ، ولا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا أو كَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فَعَلَ».

(1) «تهذيبُ الأخلاقِ» للجاحِظ (34).

(2) «رسائلُ الإِصلاحِ» (57).

(3) انظر «الهمةُ العاليةُ» للحَمَد (119).

(4) «صحيحُ» أخرجهُ الطَّبْرانِيُّ في «الكبيرِ» (2894)، وابنِ عَدِيٍّ في «الكاملِ» (879/3)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (1886).

(5) رواهُ مُسلمٌ (2664).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضَّعيفِ، وفي كُلِّ خَيْرٍ» والمرادُ بالقوَّةِ هنا عَزِيْمَةُ النَّفْسِ والقَرْيْحَةُ في أمورِ الآخِرَةِ فيكونُ صاحبُ هذا الوصفِ أكثرَ إقدامًا على العدوِّ في الجهادِ وأسرعَ خروجًا إليه وذهابًا في طلبِهِ وأشدَّ عزيمةً في الأمرِ المعروفِ والنَّهي عن المنكرِ والصَّبْرِ على الأذى في كُلِّ ذلكِ واحتمالِ المشاقِّ في ذاتِ اللهِ تعالى وأرغَبَ في الصَّومِ والصَّلَاةِ والأذكارِ وسائرِ العباداتِ وأنشَطَ طلبًا لها ومحافظةً عليها ونحوِ ذلك»⁽¹⁾.

ومن اللَّطَائِفِ في علوِّ الهمةِ - أيها النَّاسُ - ما جاء في «الصَّحيحين»⁽²⁾ من حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَحِبُّ العُطَّاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهُ - تعالى - فحَقُّ على كُلِّ مسلمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُسَمِّتَهُ، أَمَا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هو من الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدِّدْهُ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ».

قال العلامةُ ابنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ: «العُطَّاسُ يَدُلُّ على النَّشَاطِ والحِفَّةِ ولهذا تَجِدُ الإنسانَ إِذَا عَطَسَ نَشِطَ واللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يُحِبُّ الإنسانَ النَّشِيطَ الجَادَّ. وفي «الصَّحيح» عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «المؤمنُ القويُّ أَحَبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضَّعيفِ وفي كُلِّ خَيْرٍ» والعُطَّاسُ يَدُلُّ على الحِفَّةِ والنَّشَاطِ فلهذا كَانَ مَحْبُوبًا إلى اللهِ وَكَانَ مَشْرُوعًا لِلإنْسَانِ إِذَا عَطَسَ أَنْ يَقُولَ الحَمْدُ للهِ؛ لِأَنَّهَا نِعْمَةٌ أُعْطِيهَا فَلْيَحْمِدِ اللهُ عَلَيْهَا فيقولُ: «الحمدُ للهِ».

وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلهذا كَانَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَكْرَهُهُ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ التَّثَاؤُبَ يَدُلُّ على الكَسَلِ»⁽³⁾.

(1) «شرح النووي على مسلم» (215/16).

(2) رواه البخاري (6223) واللفظ له، ومسلم (2994).

(3) «شرح رياض الصالحين» (998/1).

أيها الناس إن الإسلام ليحُثُّ على السُّمُوِّ والارتفاعِ حتَّى في التَّسْمِيَةِ.

ففي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»⁽¹⁾ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ من حديثِ أَبِي دَهَبٍ الجُشَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ».

قَالَ الإمامُ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّمَا صَارَ الحَارِثُ وَهَمَامٌ مِنْ أَصْدِقِ الأَسْمَاءِ مِنْ أَجْلِ مُطَابَقَةِ الأِسْمِ مَعْنَاهُ»⁽²⁾.

أيها الناس لِيَكُنْ هَمَّتُكُمْ الآخِرَةُ فَانْعِمُوا خَيْرًا وَأَبْقَى.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمْرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ (الأنشك : 20).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ من حديثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمْ يَضَعْ سَوَاطِئَ أَحَدِكُمْ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

أيها الناس لَقَدْ أَنْكَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الأَعْرَابِيِّ الَّذِي قَصَّرَتْ بِهِ هِمَّتُهُ فَجَعَلَهَا فِي نَاقَةٍ بَرَحِلِهَا وَأَعْنَزٍ يَجْلِبُهَا أَهْلُهُ.

فقد أخرج أبو يعلى في «مُسْنَدِهِ» والحاكم في «مُسْتَدْرَكِهِ» بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ من حديثِ أَبِي مُوسَى الأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ بِأَعْرَابِيٍّ فَأَكْرَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: «يَا أَعْرَابِيُّ سَلْ حَاجَتَكَ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (4950)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ» (904).

(2) «شرح السُّنَّة» للبَغَوِيِّ (334/12).

(3) زَوَاهُ البُخَارِيُّ (6415)، ومسلم (1881).

(4) «صحيح» أخرجه أبو يعلى في «مُسْنَدِهِ» (7093)، والحاكم في «مُسْتَدْرَكِهِ» (3458)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ» (313).

ناقةً بِرَحْلِهَا، وَأَعْتَزَّ يَجْلِبُهَا أَهْلِي. قَالَهَا مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعَجَزْتَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟». فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: «إِنَّ مُوسَى أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ فَأَصَلَّ الطَّرِيقَ، فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: نَحْنُ نُحَدِّثُكَ أَنَّ يُوسُفَ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوَاقِيقَ اللَّهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ، حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا، قَالَ: وَأَيُّكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ؟ قَالُوا: مَا تَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ إِلَّا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: دُلِّيْنِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ، فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ حَتَّى أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَتْ، فَقِيلَ لَهُ: أَعْطَاهَا حُكْمَهَا فَأَعْطَاهَا حُكْمَهَا فَآتَتْ بُحَيْرَةَ، فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ. فَلَمَّا نَضَبُوهُ قَالَتْ: احْفَرُوا هَاهُنَا، فَلَمَّا حَفَرُوا إِذَا عِظَامُ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَقْلَوْهَا مِنَ الْأَرْضِ، فَإِذَا الطَّرِيقُ مِثْلَ ضَوْءِ النَّهَارِ».

أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ طَلَبَ الْأَعْرَابِيُّ شَيْئًا مُحَرَّمًا أَمْ أَنَّهُ طَلَبَ شَيْئًا مِنْ صَرُورِيَّاتِ الْحَيَاةِ وَمَعَ هَذَا وَجَّهَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَرْفَعِ مَقَامٍ وَأَسْمَى غَايَةٍ⁽¹⁾.
أَيُّهَا النَّاسُ عَظِيمُ الْهَمَّةِ يَشْتَدُّ حِرْصُهُ عَلَى الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكَادَ يَشْعُرُ بِمَا يُلَاقِيهِ فِي طَرِيقِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (فِي يَوْمِ بَدْرٍ) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَوْمُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ».
قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ». قَالَ: لَا وَاللَّهِ! يَا رَسُولَ اللَّهِ!، إِلَّا رَجَاءٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا؟ قَالَ: «فَإِنَّكَ

(1) انظر «قصة عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ» لِلْمَقْطَرِيِّ (95).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1901).

مِنْ أَهْلِهَا». وَقَالَ: فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْنٌ حَيْثُ حَتَّى أَكَلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٍ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ».

فَقَامَ رَجُلٌ رَثٌ الْهَيْئَةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى! أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَةً سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ فَضْرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. وَأَسْتَغْفِرَ اللَّهُ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1902).

الخطبة الثانية - علو همة سلمان في البحث عن الحق :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدّم الحديث معكم - أيها الناس - عن «علو الهمة» والآن حديثي معكم عن «علو همة سلمان في البحث عن الحق».

يقول سلمان الفارسي رضي الله عنه عن قوم من أبناء ملته خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل هذا الدين؟

قالوا: الأسقف في الكنيسة. قال: فحجته، فقلت: إني أرغب في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك؛ أخدمك في كنيستك، وأتعلّم منك، وأصلي معك.

قال: فادخل، فدخلت معه، قال: فكان رجل سوء؛ يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها؛ فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، قال: وأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجلا سوءا يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها؛ فإذا جثّموه بها؛ اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا. قالوا: وما علمك بذلك؟ قال: قلت: أنا أدلكم على كنزه. قالوا: فدّلنا عليه. قال: فأريتهم موضعه، قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا، (أي: فضة) قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ثم رجموه بالحجارة.

ثم جاؤوا برجل آخر فجعلوه بمكانه. قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه؛ أزهّد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلا ونهارا منه، قال: فأحببته حبا لم أحبه من قبله، وأقمت معه زمانا، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان! إني كنت معك، وأحببتك حبا لم أحبه من قبلك، وقد

حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وما تَأْمُرُنِي؟ قال: أَيُّ بَنِي! وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا، وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا ب (المَوْصِلِ) وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فَالْحَقُّ بِهِ.

قال: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ؛ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ (المَوْصِلِ)، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنْ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحِقَ بِكَ، وَأَخْبِرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنْ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا تَرَى، فإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وما تَأْمُرُنِي؟ قال: أَيُّ بَنِي! وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا ب (نَصِييِنَ) فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِيهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثْتُ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنْ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ؛ فإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وما تَأْمُرُنِي؟ قال: أَيُّ بَنِي! وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا ب (عَمُورِيَّةَ)؛ فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَاتِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا. قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ (عَمُورِيَّةَ) وَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي. فَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ، قَالَ: وَاکْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغَنِيمَةٌ، قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ؛ فإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وما تَأْمُرُنِي؟ قال: أَيُّ بَنِي! مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُ نَبِيِّ، هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، يُخْرِجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عِلَامَاتٌ لَا تُخْفَى، يَأْكُلُ الْهَدْيَةَ،

ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال: ثم مات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجاراً، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتموها، وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني، فباعوني من رجل من اليهود عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلاد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرقتها بصفة صاحبي، فأقمت بها.

وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إنني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس إذا أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: فلان! قاتل الله بني قيلة؛ والله إنهم الآن لمجتمعون ب (قباء) على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي. قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء (أي الرعدة) حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟! أقبل على عمك. قال: قلت: لا شيء إنما أردت أن أسئبت عمًا قال.

وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو ب (قباء)، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقرئته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا». وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً

وتحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثمّ جئتُ به فقلتُ: إني رأيتك لا تأكلُ الصدقةَ، وهذه هديّةٌ أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلتُ في نفسي: هاتان اثنتان، ثمّ جئتُ رسول الله ﷺ وهو ببيع الفرقد، قال: وقد تبع جنازةً من أصحابه، عليه شملتان له، وهو جالسٌ في أصحابه، فسلمتُ عليه، ثمّ استدرتُ أنظرُ إلى ظهره، هل أرى الخاتمَ الَّذِي وَصَفَ لي صاحبي، فلما رأيتُ رسول الله ﷺ استدرتُهُ؛ عَرَفَ أَنِّي اسْتَبْتُ فِي شَيْءٍ وَصِفَايَ، قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرتُ إلى الخاتمِ فعرفتهُ فانكببتُ عليه أُقبِّله وأبكي فقال لي رسول الله ﷺ: «تحوّل». فقصصتُ عليه حديثي - كما حدثتُك يا ابن عباس! - قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمعَ ذلك أصحابه.

أيها الناس لقد ضربَ لنا الصحابيُّ الجليلُ سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه المثل الأعلى في علوِّ الهمةِ في طلبِ الحقِّ حتى وجدَهُ وإن كان قد قاسى الشدائدَ واحتمَلَ المتاعبَ فعظيمُ الهمةِ يستهينُ بذلك كُلِّه، كما قال الأوَّلُ:

تَهونُ علينا في المعالي نفوسُنَا ○●○ وَمَنْ يَحْطُبِ الحِسنَاءَ لم يَغْلُهُ المَهْرُ

وقال الآخرُ وهو الباروديُّ رحمه الله:

وَمَنْ تَكُنِ العِلْيَاءُ هِمَّةً نَفْسِهِ ○●○ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبُّ

اللَّهِمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ ونَعُوذُ بِكَ مِنَ الضَّعَةِ والقِلَّةِ والذَّلَّةِ.

اللَّهِمَّ وَفَقْنَا لمعالي الأمورِ وأشرافها والعزيمَةِ على الرُّشْدِ.

اللَّهِمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ من خَيْرِ ما سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ وَعِبَادُكَ الصَّالِحُونَ وَنَسْتَعِيدُ

بِكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ وَعِبَادُكَ الصَّالِحُونَ.

أهمية النصيحة

18

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابرة: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «أهمية النصيحة».

أيها الناس النصيحة لبُ الدين وجوهر الإيمان.

وقد قال رسول الله ﷺ كما في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قالوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ
وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

(1) زوَاهُ مُسْلِمٌ (55).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «هذا حديثٌ عظيمُ الشأنِ وعليه مدارُ الإسلامِ كما سنذكرُ في شرحه، وأمَّا ما قاله جماعاتٌ من العلماءِ أنه أحدُ أرباعِ الإسلامِ أي أحدُ الأحاديثِ الأربعةِ التي تَجْمَعُ أمورَ الإسلامِ فليس كما قالوه، بل المدارُ على هذا وحده»⁽¹⁾.

ومعنى النصيحةِ لله - أيها الناس - باتِّباعِ أمرِهِ والتَّسليمِ لَهُ في حُكْمِهِ.

قال الخطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَبْدِ فِي نُصْحِهِ نَفْسَهُ، فَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ نُصْحِ النَّاصِحِ»⁽²⁾.

وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ ﷺ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَإِكْرَامِ قَرَابَتِهِ وَالشَّفَقَةَ عَلَى أُمَّتِهِ.

وَلِكِتَابِهِ، بِتَدْبِيرِ آيَاتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَأْمُورَاتِهِ، وَتَحْيِينِ تَلَاوِثِهِ.

وَالنَّصِيحَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ بِالطَّاعَةِ لِلْأُمَرَاءِ إِلَّا فِي مُحَرَّمٍ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ وَالتَّصَدِيقِ لِلْعُلَمَاءِ إِلَّا فِيهَا لَا يَهْدِي الْعِلْمُ إِلَيْهِ.

وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِالذَّبِّ عَنِ أَعْرَاضِهِمْ، وَإِقَامَةِ حُرْمَتِهِمْ وَالنُّصْرَةَ لَهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ جَلْبًا وَنَفْعًا.

وَالنَّصِيحَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَرَضٌ كِفَايَةٌ.

قال ابنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالنَّصِيحَةُ فَرَضٌ يَجْزِيءُ فِيهِ مِنْ قَامَ بِهِ، وَيَسْقُطُ عَنِ الْبَاقِينَ»⁽³⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِلنَّاصِحِ مِنَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ مَا لَا يُدْرِكُ وَيَكْفِي أَنْ النَّصِيحَةَ وَظِيفَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(1) «شرح النووي على مسلم» (37/2).

(2) «شرح النووي على مسلم» (39/2).

(3) «شرح صحيح مسلم» (39/2).

قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ نُوحٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿قَالَ يَنْقَوْمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾﴾ (الأعراف: 61-62).

وقال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ هُودٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿قَالَ يَنْقَوْمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾ (الأعراف: 67-68).

وقال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ صَالِحٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقَوْمُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴿٧٦﴾﴾ (الأعراف: 79).

وقال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ شُعَيْبٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقَوْمُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ (الأعراف: 93).

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِقَوْمِهِ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟». قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَيُنْكِتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ! اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ النَّصِيحَةُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1218).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2162).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. وللنصيحة - أيها الناس - أركان وشروط، وآداب.

فأركان النصيحة ثلاثة وهي:

1- النَّاصِحُ وهو الذي ينصح غيره.

2- الْمَنْصُوحُ وهو الذي ينصحه غيره.

3- الْمَنْصُوحُ بِهِ وهو الأمر الذي ينصح به الناصح المنصوح.

وأما شروط النصيحة - أيها الناس - والتي لا بد أن تتوفر في الناصح والمنصوح فهي ما يأتي ذكرها:

أولاً - الإسلام: فالأصل في أن يكون مسلماً والمنصوح كذلك للحديث المتقدم «والنصح لكل مسلم».

لكن التقيّد للمسلم للأغلب وإلا فإنه يجوز بذل النصيحة للكافر ودعوته إلى الإسلام.

قال ابن حجر رحمه الله: «والتقيّد بالمسلم للأغلب، وإلا فالنصح للكافر معتبر بأن يدعى إلى الإسلام ويشار عليه بالصواب»⁽²⁾.

والشرط الثاني من شروط النصيحة - أيها الناس - البلوغ.

فيشترط فيها أن يكونا بالغين؛ لأن البلوغ مناط التكليف، ومن لم يكن بالغاً فليس عليه تكليف.

(1) رواه البخاري (1401)، ومسلم (56).

(2) «فتح الباري» (140/1).

لما في سنن أبي داود بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الإرواء»⁽¹⁾ من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يَفِيقَ».

والشرطُ الثالثُ من شروطِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ عَاقِلِينَ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ مَنَاطُ التَّكْلِيفِ.

وقد رُفِعَ الْقَلَمُ عَمَّنْ لَيْسَ بِعَاقِلٍ وَفِي الْحَدِيثِ: «وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيقَ».

وَيُشْتَرَطُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُنْصَحُ بِهِ مَا يَأْتِي:

- أَنْ يَكُونَ مِمَّا أَمَرَ بِهِ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ أَوْ مِمَّا نَهَى اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ عَنْهُ.

- وَأَنْ يَكُونَ مِمَّا اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى طَلْبِ فِعْلِهِ أَوْ تَرْكِهِ.

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

(1) «صحيح» رواه أبو داود (4398)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الإرواء» (297).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - آدَابُ النَّصِيحَةِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «النَّصِيحَةِ» وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنِ «شَيْءٍ مِنْ آدَابِهَا».

فَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِخْلَاصُ؛ لِإِنَّ النَّصِيحَةَ عِبَادَةٌ يَتَقَرَّبُ بِهَا
الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - وَعَمَلٌ صَالِحٌ يَرْجُو بِهِ ثَوَابَ اللَّهِ وَالنِّيَّةَ الصَّالِحَةَ
أَسَاسُ أَيِّ عَمَلٍ صَالِحٍ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

فَصَلَاحُ الْأَعْمَالِ وَفَسَادُهَا بِحَسَبِ صِلَاحِ النِّيَّاتِ وَفَسَادُهَا وَقَبُولُهَا وَعَدَمُهَا كَمَا
قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ أَخَاهُ فَلْيَقْدَمْ بَيْنَ يَدَيْهِ نِيَّةً حَسَنَةً يَجِدُ الْأَجْرَ يَطْلُبُهُ كَمَا يَطْلُبُ
السَّيْلَ الْحَدُورَةَ وَيَجِدُ لِنَصِيحَتِهِ رَوْحًا مِنَ التَّأْثِيرِ وَلَا بُدَّ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿أَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ، وَأَمْ نَحْنُ الزَّرْعُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ (الْوَاقِعَاتُ: 64).

وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّحَلِّيُّ بِالْعِلْمِ.

وَيَكْفِي أَنْ يَكُونَ عَالِمًا أَنْ مَا يَنْصَحُ بِهِ أَخَاهُ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ أَوْ مِمَّا نَهَى اللَّهُ
عَنْهُ وَرَسُولُهُ فَيَنْصَحُ بِحُدُودِ مَا يَعْلَمُهُ.

وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - لُزُومُ الْحِكْمَةِ.

(1) «جامع العلوم» (65/1).

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمْ يَأْتِيَ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (الْحَجَّاتُ : 125).

وَالْحُكْمَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ الْإِصَابَةُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَوَضْعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ. وَالتَّاصِحُ الْحَكِيمُ يَسْتَعْمِلُ أَفْضَلَ الْكَلَامِ وَأَيِّنُهُ وَأَحْسَنَ الْأَوْقَاتِ وَأَنْسَبَهَا وَأَرْفَقَ الْأَسَالِبِ وَأَجْمَلَهَا، وَيُؤَثِّرُ الْإِشَارَةَ عَلَى الْعِبَارَةِ وَقَلِيلَ الْكَلَامِ عَلَى كَثِيرِهِ، وَالسَّرَّ عَلَى الْعَلَنِ فَإِنَّ السَّرَّ نَصِيحَةٌ وَالْجَهْرُ فَضِيحَةٌ.

وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ التَّشْهِيرِ بِالْمَنْصُوحِ لَهُ.

فَإِنَّ التَّشْهِيرَ بِالْمَنْصُوحِ لَهُ لَيْسَ مِنْ أَحْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ.

قال ابن رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « وَهَذَا دَاخِلٌ فِيهَا دَمَّةُ اللَّهِ - تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ وَتَوَعَّدَ عَلَيْهِ فِي الْهَمْزِ وَاللَّمْزِ وَدَاخِلٌ - أَيْضًا - فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ قَالَ عَنْهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي « الْمِشْكَاةِ »⁽¹⁾ حَسَنٌ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ ».

وَهَذَا كُلُّهُ فِي حَقِّ الْعُلَمَاءِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ فِي الدِّينِ فَأَمَّا أَهْلُ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَةِ وَمَنْ تَشَبَّهَ بِالْعُلَمَاءِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ فَيَجُوزُ بَيَانُ جَهْلِهِمْ وَإِظْهَارُ عُيُوبِهِمْ تَحْذِيرًا مِنَ الْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ⁽²⁾.

(1) «حَسَنٌ صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (19791)، وَأَبُو دَاوُدَ (4480)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (5044) حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) «الْفَرْقُ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّعْيِيرِ» (ص 8).

ومن آدابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ النَّصِيحَةَ فِي السَّرِّ.
فالنَّصِيحَةُ فِي السَّرِّ أَنْفَعُ وَأَبْرَكُ فَلَا يَسْلَمُ المرءُ مِنْ حَظِّ نَفْسِهِ إِلَّا فِي لِحْظَةِ خَلْوَةٍ
وَصَفَاءٍ، وَهَذِهِ اللَّحْظَةُ تَكُونُ عِنْدَ الْمُسَارَاةِ فِي السَّرِّ وَعِنْدَهَا تُؤْتِي النَّصِيحَةُ ثَمَرَتَهَا وَلَا
يَكُونُ النَّاصِحُ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيهِ.

فَإِنَّ النَّاصِحَ فِي مَلَأٍ يُعِينُ الشَّيْطَانَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَيُوقِظُ فِي نَفْسِهِ مَدَاخِلَ
الشَّيْطَانِ، وَيُغْلِقُ أَبْوَابَ الْحَيْرِ، وَلِهَذَا حَرَصَ السَّلَفُ عَلَى النَّصْحِ فِي السَّرِّ دُونَ الْعَلَنِ.
قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَانَ السَّلَفُ إِذَا أَرَادُوا نَصِيحَةَ أَحَدٍ وَعَظُوهُ سِرًّا».
حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: «مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَهِيَ نَصِيحَةٌ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَى
رُؤُوسِ النَّاسِ فَإِنَّمَا وَبَّخَهُ»⁽¹⁾.

وَقَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمنُ يُسْتَرُّ وَيُنْصَحُ، وَالفَاجِرُ يَهْتَكُ وَيُعَيَّرُ»⁽²⁾.
وَيُعْتَبَرُ الحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى كَلِمَةِ الفُضَيْلِ بِقَوْلِهِ: «فَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ
الفُضَيْلُ مِنْ عِلَامَاتِ النَّصْحِ وَهُوَ أَنَّ النَّصْحَ يَقْتَرِنُ بِهِ السَّرُّ وَالتَّعْيِيرُ يَقْتَرِنُ بِهِ الإِعْلَانُ»⁽³⁾.
وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ بِلُطْفٍ وَرِفْقٍ.

فَكُنْ - يَا عَبْدَ اللَّهِ لَطِيفًا رَفِيقًا فِي نُصْحِكَ لِأَخِيكَ؛ لِأَنَّ قَبُولَ النَّصِيحَةِ كَفَتْحِ
البَابِ، وَالبَابُ لَا يَفْتَحُ إِلَّا بِمِفْتَاحٍ مُنَاسِبٍ.

فَمَنْ نَصَحَ أَخَاهُ بِغِلْظَةٍ وَفَضَاضَةٍ نَفَرَ مِنْهُ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ قَلْبَهُ.

وَقَدْ أَمَنَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنْ جَبَلَهُ عَلَى الرِّفْقِ وَمَحَبَّةِ
الرِّفْقِ، وَأَنْ جَنَبَهُ الغِلْظَةَ وَالفَضَاضَةَ.

(1) «جامع العلوم» (77/1).

(2) «جامع العلوم» (77/1).

(3) «الفرق بين النصيحة والتعيير» لابن رجب (ص 36).

فَقَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِيظًا أَلْقَيْتَ لَأَنْفُسًا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (التَّغْوِينُ : 159).

وَقَدْ كَانَتْ سَيْرَتُهُ ﷺ حَافِلَةً بِهَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ الَّذِي مِنْ مَلَكَهُ بَسَطَ سُلْطَانَهُ عَلَى الْقُلُوبِ.

وَكَانَ ﷺ يَأْمُرُ بِالرَّفْقِ وَيُبَيِّنُ فَضْلَهُ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَا عَائِشَةُ ! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ - أَيْضًا - مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ ». وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ الإِلْزَامِ.

فَلَا تُلْزِمُ أَحَاكَ بِقَبُولِ نَصِيحَتِكَ فَتَنْفَعُ النَّصِيحَ مَرَهُونَ بِإِرَادَةِ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَعَلَى - : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (هُودٌ : 34).

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « وَلَا تَنْصَحْ عَلَى شَرْطِ الْقَبُولِ مِنْكَ، فَإِنْ تَعَدَّيْتَ هَذِهِ الْوُجُوهَ فَأَنْتَ ظَالِمٌ لَا نَاصِحٌ وَطَالِبٌ طَاعَةٍ وَمُلْكٍ، لَا مُؤَدِّيَ حَقِّ أَمَانَةٍ وَأُخُوَّةٍ، وَلَيْسَ هَذَا حُكْمَ الْعَقْلِ وَلَا حُكْمَ الصِّدْقَةِ، لَكِنْ حُكْمُ الْأَمِيرِ مَعَ رَعِيَّتِهِ، وَالسَّيِّدِ مَعَ عَبْدِهِ »⁽³⁾.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2593).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2594).

(3) «الْأَخْلَاقُ وَالسَّيْرُ» (44).

اللَّهُمَّ إِنَّا عبيدُكَ بَنُو عبيدِكَ بَنُو إِمَائِكَ نَوَاصِينَا بِيَدِكَ، ماضٍ فِينا حُكْمُكَ، عَدْلٌ
فِينا قَضَاؤُكَ، نَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ
عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبِيعَ
قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا وَذَهَابَ غُموْمِنَا.

اللَّهُمَّ اشْرَحْ صُدُورَنَا وَيَسِّرْ أُمُورَنَا، وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.

فَضْلُ صَلَاةِ الرَّحِمِ

19

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَّاتُ : 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلَاتُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «فَضْلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ».

أَيُّهَا النَّاسُ صَلَاةُ الرَّحِمِ عَلَامَةٌ كَمَالِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْإِسْلَامِ وَلَهَا مِنَ الْفَضَائِلِ مَا لَوْ جُمِعَتْ لَكَانَتْ سَفَرًا مِنَ الْأَسْفَارِ.

وَقَبْلَ أَنْ أَذْكَرَ لَكُمْ فَضْلَ صَلَاةِ الرَّحِمِ أَذْكَرُكُمْ بِحَدِّ الرَّحِمِ وَحَقِيقَةِ الصَّلَاةِ وَحُكْمِهَا وَبِإِذَا تَكُونُ إِجْمَالًا.

فَأَمَّا حَدُّهَا فَالرَّحِمُ اسْمٌ شَامِلٌ لِكُلِّ الْإِقْرَابِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ بَيْنَ الْمَحَارِمِ وَغَيْرِهِمْ. وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى قَصْرِ الرَّحِمِ عَلَى الْمَحَارِمِ، بَلْ وَمِنْهُمْ مَنْ

قَصَرَهَا عَلَى الْوَارِثِينَ مِنْهُمْ وَهَذَا مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَرِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ -
وَالرَّاجِحُ الْأَوَّلُ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُطْلَقُ عَلَى الْأَقَارِبِ وَهُمْ مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخِرِ
نَسَبٌ، سِوَاءٍ أَكَانَ يَرِثُهُ أُمٌّ لَّا، سِوَاءٍ أَكَانَ ذَا مَحْرَمٍ أُمَّ لَّا، وَقِيلَ هُمْ الْمَحَارِمُ فَقَطُّ،
وَالأَوَّلُ هُوَ الرَّاجِحُ؛ لِأَنَّ الثَّانِيَّ يَسْتَلْزِمُ خُرُوجَ أَوْلَادِ الْأَعْمَامِ وَأَوْلَادِ الْأَخْوَالِ مِنْ
ذَوِي الْأَرْحَامِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ».

وَحَقِيقَةُ الصَّلَةِ هِيَ الْعَطْفُ وَالرَّحْمَةُ.

وَأَمَّا حُكْمُهَا فَهِيَ وَاجِبَةٌ وَقَطِيعَتُهَا مُحْرَمَةٌ، وَمِنَ الْكِبَائِرِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتَّفَقَتِ الْمِلَّةُ عَلَى أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ وَأَنَّ قَطِيعَتَهَا مُحْرَمَةٌ».

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا خِلَافَ أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ فِي الْجُمْلَةِ
وَقَطِيعَتُهَا مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ وَالْأَحَادِيثُ تَشْهَدُ لِهَذَا، وَلَكِنَّ الصَّلَةَ دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا أَرْفَعُ
مِنْ بَعْضٍ، وَأَذْنَاهَا تَرَكَ الْمَهَاجِرَةَ بِالْكَلامِ وَلَوْ بِالسَّلَامِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ
الْقُدْرَةِ وَالْحَاجَةِ فَمِنْهَا وَاجِبٌ وَمِنْهَا مُسْتَحَبٌّ. وَلَوْ وَصَلَ بَعْضُ الصَّلَةِ، وَلَمْ يَصِلْ
غَايَتَهَا لَا يُسَمَّى قَاطِعًا، وَلَوْ قَصَرَ عَمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَنْبَغِي لَهُ لَا يُسَمَّى وَاصِلًا»⁽¹⁾.

وَتَكُونُ صِلَةُ الرَّحِمِ بِالْفِعْلِ وَهُوَ الْإِحْسَانُ أَوْ بِالتَّرْكِ وَهُوَ كَفُّ الْأَدَى.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صِلَةُ الرَّحِمِ هِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقَارِبِ عَلَى حَسَبِ
حَالِ الْوَاصِلِ وَالْمَوْصُولِ، فَتَارَةٌ تَكُونُ بِالمَالِ وَتَارَةٌ بِالْخِدْمَةِ، وَتَارَةٌ بِالزِّيَارَةِ
وَالسَّلَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»⁽²⁾.

(1) «شَرْحُ مُسْلِمٍ» (112/16).

(2) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (201/2).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ : «قَرَابَةُ الْإِنْسَانِ هُمْ مِنْ يَجْتَمِعُونَ بِالْأَبِ الرَّابِعِ فَمَا دُونَ وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْإِحْسَانَ يَتَفَاوَتُ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ فَهُوَ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ، لِأَنَّ الْحُكْمَ إِذَا أَعْلَقَ فَهُوَ بِوَصْفِ قَوِيٍّ بِحَسَبِ قُوَّةِ ذَلِكَ الْوَصْفِ فَمَثَلًا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ صِلَةِ الْخَالِ أَكْثَرُ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ صِلَةِ أَوْلَادِ الْخَالِ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ دُونَكُمْ بَعْضُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ.

فَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ أَنَّ اللَّهَ مَدَحَ الْوَاصِلِينَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ.

فَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ

سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ (الرعد: 21).

وَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَوْصَى بِذَوِي الْأَرْحَامِ خَيْرًا.

فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (النسبة: 1).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَآتَاكَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالْبَنِ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ

تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ (الأنشزة: 26).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿٧٥﴾

(الأنشزة: 75).

وَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ مَعَ أَوْلِ الدَّخِيلِينَ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ

لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: مَا لَهُ مَا لَهُ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَرْبُ

(1) «تفسير القرآن» للعثيمين (194/2).

(2) رواه البخاري (1396) واللفظ له، ومسلم (13).

مَا لَهُ - يَعْنِي حَاجَةً لَهُ - تَعْبُدُ اللَّهَ، وَلَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِمُّ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ».

وَمِنْ فَصَائِلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَاةُ اللَّهِ لِلْوَصْلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبُّ. قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ».

وَمِنْ فَصَائِلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا سَبَبٌ فِي زِيَادَةِ الْأَرْزَاقِ وَالْأَعْمَارِ.
فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، مَنَسَاءٌ فِي الْأَثَرِ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخَلْقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرْنَ الدِّيَارَ وَيَزِدْنَ فِي الْأَعْمَارِ».

وَهُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - سَوْأَلٌ وَهُوَ: كَيْفَ يَطُولُ الْعُمُرُ وَالْعُمُرُ مُقَدَّرٌ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3830)، وَمُسْلِمٌ (2554).

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2067)، وَمُسْلِمٌ (2557).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (374/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (2965).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (159/6)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (519).

فالجوابُ عليه قال العلامةُ العبَّادُ - حفظه الله - : «اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - قَدَّرَ أَنْ يَطُولَ عُمُرُهُ وَقَدَّرَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِسَبَبِ فِعْلٍ يَحْصُلُ وَهُوَ الْبِرُّ وَصَلَةُ الرَّحِمِ يَعْنِي قَدَّرَ السَّبَبَ وَالْمُسَبَّبَ فَالسَّبَبُ مُقَدَّرٌ وَالْمُسَبَّبُ مُقَدَّرٌ»⁽¹⁾.

فلا تعارضُ - أيها الناسُ - بينَ هذه الأحاديثِ وبينَ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾⁽²⁾ ؛ لأنَّ هذه الزيادةُ وهي في حَقِيقَتِهَا بالنسبةِ إلى عِلْمِ الْمَلِكِ الْمَوْكَلِ بِكِتَابَةِ الْأَجَلِ، وَشَقِيَّيْ أُمِّ سَعِيدٍ أَمَّا الْآيَةُ فَهَذِهِ بِالنسبةِ إلى عِلْمِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ، فَعِلْمُ اللَّهِ لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ، وَلَكِنْ يُوحِي لِلْمَلِكِ بِأَنَّ عُمُرَ فُلَانٍ سِتُونَ سَنَةً وَبِسَبَبِ صَلَاتِهِ لِرَحْمِهِ يَبْلُغُ عُمُرُهُ ثَمَانِينَ سَنَةً مَثَلًا، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ رَبُّنَا جَلَّ فِي عِلْمِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾⁽³⁾ .
وَمِنْ فَضَائِلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا دَعْوَةُ النَّبِيِّ وَوَصِيَّتُهُ لِأُمَّتِهِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا سَأَلَ هِرْقُلُ أَبَا سُفْيَانَ - قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ وَكَانَ فِي تِجَارَةٍ فِي بِلَادِ الشَّامِ - عَنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَبِأَذَا يَأْمُرُهُمْ؟ قَالَ: يَقُولُ: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ»، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعِفَافِ وَالصَّلَاةِ.

وَفِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ وَمُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ «الصَّغِيرِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِخِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ: أَوْصَانِي أَنْ لَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ

(1) «شَرْحُ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» لِلْعَبَّادِ (74/8).

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (1773).

(3) «صَحِيحٌ» زَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ (194/8)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الصَّغِيرِ» (84/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (2525).

دُونِي، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالذُّنُوبِ مِنْهُمْ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ
أَذْبَرْتُ، وَأَوْصَانِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا، وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ
مُرًّا، وَأَوْصَانِي أَنْ أَكْثِرَ مِنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ.
وَمِنْ فَضَائِلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ تَتَضَاعَفُ
أَجُورُهَا عَنْ غَيْرِهِ.

ففي سنن النسائي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من
حديث سلمان بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى
الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ».

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: سألت رسول
الله ﷺ: أَيَجْزِيءُ عَنِّي مِنَ الصَّدَقَةِ النَّفَقَةُ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ فِي حَجْرِي؟ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَاةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ».

وفي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أنها
أَعْتَقَتْ وَوَلِدَةً (أَيَّ أُمَّةً) فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَقَالَ: «لَوْ أَعْطَيْتَهَا أَخْوَالَهَا كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِهَا».

وفي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ
الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلِ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ
الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبًا.

(1) «صحيح» أخرجه النسائي (92/5)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3752).

(2) رواه البخاري (14) من حديث أبي سعيد، ومسلم (1000).

(3) رواه البخاري (2592)، ومسلم (999).

(4) رواه البخاري (1461) واللفظ له، ومسلم (998).

قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ نَأْتُوا الدِّرْحَىٰ تَنَفُّوًا مِّمَّا يُحِبُّونَ﴾ (التغزلان: 92). قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إن الله - تبارك وتعالى - يقول: ﴿لَنْ نَأْتُوا الدِّرْحَىٰ تَنَفُّوًا مِّمَّا يُحِبُّونَ﴾ . وإن أحب أموالي إليَّ بئرحاء، وإنه صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ، ذلك مال رابع، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. وما أجمل أن تكون الصدقة على ذي الرِّحِمِ الكاشح الذي يضمن العداوة في كشحه أي باطنه.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽¹⁾ عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أفضل الصدقة على ذي الرِّحِمِ الكاشح».

قال المناوي رحمه الله في «فيض القدير»: «يعني أفضل الصدقة على ذي الرِّحِمِ المضمير العداوة في باطنه فالصدقة عليه أفضل منها على ذي الرِّحِمِ غير الكاشح لما فيه من قهر النفس للإذعان لمعادها وعلى ذي الرِّحِمِ المصافي أفضل أجراً منها على الأجنبي لأنه أولى الناس بالمعروف»⁽²⁾.

وأستغفر الله.

(1) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الكبير» (4/138)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (338/2).

(2) «فيض القدير» (2/49).

الخطبة الثانية - عقوبة قطيعة الرحم :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «فَضْلِ صَلَةِ الرَّحِمِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «عُقُوبَةِ قَطِيْعَةِ الرَّحِمِ».

فَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيْعَةِ الرَّحِمِ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ذَمَّ الْقَاطِعِينَ ذَمًّا شَدِيدًا فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سَوْءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الرَّعْنَكِ : 25).

وَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيْعَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا أَوْعَدَ اللَّهُ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ وَقَاطِعِ الْأَرْحَامِ مِنَ الطَّرْدِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَالْحَتْمِ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ دَاعِيَ الْحَقِّ وَأَبْصَارِهِمْ عَنْ رُؤْيَا أَنْوَارِهِ.

قَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ (مُجْتَنَبًا : 22-23).

وَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيْعَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهَا كَمَا يَصِلُ مَنْ وَصَلَهَا.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ».

وَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيْعَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَعْجِيلُ الْعُقُوبَةِ لِلْقَاطِعِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5989)، وَمُسْلِمٌ (2555).

ففي سُنَنِ التَّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لَصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ».

وَمِنْ عُقُوبَةِ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ أَعْمَالَ ابْنِ آدَمَ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَنَعَلَى - كُلِّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلَا يَقْبَلُ عَمَلٌ قَاطِعِ رَحِمٍ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يَقْبَلُ عَمَلٌ قَاطِعِ رَحِمٍ».

وَمِنْ عُقُوبَةِ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ مَعَ الدَّاخِلِينَ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي قَاطِعِ رَحِمٍ.

أَيُّ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَعَ أَوَّلِ الدَّاخِلِينَ إِنْ كَانَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ يُطَهَّرَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ مِنْ تِلْكَ الْمَخَالَفَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَبْقَى فِي النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنْ إِيْمَانٍ. وَمِنْ عُقُوبَةِ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْقَاطِعَ يُسْفُ الْمَلَّ وَهُوَ الرَّمَادُ الْحَارُّ.

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَلَيْهِمْ،

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التَّرْمِذِيُّ (83/1)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (623/2).

(2) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4842)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (2538).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5984)، وَمُسْلِمٌ (2556).

(4) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2558).

وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَأَنَّمَا تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادَ الْحَارَّ، وَهُوَ تَشْبِيهُ لِمَا يَلْحِقُهُمْ مِنَ الْأَلَمِ بِمَا يَلْحِقُ أَكِلَ الرَّمَادِ الْحَارِّ مِنَ الْأَلَمِ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ بَعْضُ عُقُوبَةِ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ فَلَا يَجْعَلُ أَحَدُنَا صَلَاتَهُ لِأَرْحَامِهِ صَلَاةً مُكَافِيَةً لِلْمَعْرُوفِ بِمِثْلِهِ بِحَيْثُ إِنَّ صَلَوَهُ وَصَلَهُمْ، وَإِنْ قَطَعُوهُ قَطَعَهُمْ وَهَذَا لَيْسَ بِوَاصِلٍ فِي الْحَقِيقَةِ بَلِ الْوَاصِلُ مَنْ يَصِلُ قَرَابَتَهُ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ وَلَا يُبَالِي وَصَلَوَهُ أَمْ لَا.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيِ وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمُهُ وَصَلَهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرْكُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (التَّوْبَةُ: 90).

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى صَلَاةِ الْأَرْحَامِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى كُلِّ خَيْرٍ وَجَنَّبْنَا الْفِتْنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

(1) «شرح النووي على مسلم» (115/16).

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5991).

آداب الجوار

20

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأجناب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «آدَابِ الْجَوَارِ».

أَيُّهَا النَّاسُ حُسْنُ الْجَوَارِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَسُوءُهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ.

وَحَدُّ الْجَوَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَرْجِعُ إِلَى الْعُرْفِ فَقَدْ يَكُونُ السَّاكِنُ مَعَكَ فِي الْمَدِينَةِ

جَارًا كَمَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿تُمْرَلَا بِجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأجناب: 60).

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ

الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»⁽¹⁾ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْجَارِ. فَقَالَ: «أَرْبَعِينَ دَارًا أَمَامَهُ، وَأَرْبَعِينَ خَلْفَهُ، وَأَرْبَعِينَ عَنِ يَمِينِهِ، وَأَرْبَعِينَ عَنِ يَسَارِهِ».

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (109)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص 49).

والجيران - أيها الناس - ثلاثة:

جارٌ له ثلاثة حقوق، وجارٌ له حقان، وجارٌ له حق واحد.

فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق فهو الجار ذو القربى، فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام.

وأما الجار الذي له حقان فجارك المسلم غير القريب، فله حقان حق الإسلام وحق الجوار.

وأما الجار الذي له حق واحد فهو الجار الكافر فله حق واحد حق الجوار فقط. وحق الجار - أيها الناس - لعظيم.

فيكفي أن الله - سبحانه وتعالى - أوصى عباده بالجار.

فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَيَذَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء: 36).

قال ابن سعدٍ رحمه الله: « **﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ﴾** أي: الجار لبقرى الذي له حقان حق الجوار وحق القرابة فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف، وكذلك **﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾** أي: الذي ليس له قرابة وكلما كان الجار أقرب بابا كان أكدها حقاً فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أدبته بقول أو فعل»⁽¹⁾.

وأوصى الرسول ﷺ بالجار.

(1) «تفسير ابن سعدٍ» (1/177).

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَ جَبْرِيْلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ».

وَمَعْنَى يُوصِينِي بِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ بِالْإِعْتِنَاءِ بِهِ وَالْإِحْتِفَاءِ بِشَأْنِهِ وَعَدَمِ إِهْمَالِهِ أَوْ تَجَاهُلِهِ وَقَوْلُهُ: «حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ». أَيُّ يَجْعَلُ لَهُ مُشَارَكَةً فِي الْمَالِ بِفَرْضِ سَهْمٍ يُعْطَاهُ مَعَ الْأَقَارِبِ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي شَرِيحٍ الْخَزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ».

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْجَارَ الصَّالِحَ مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حَبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَيْبِيُّ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاءِ: الْجَارُ الشُّؤْمِيُّ، وَالْمَرْأَةُ الشُّؤْمِيَّةُ، وَالْمَرْكَبُ الشُّؤْمِيُّ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ».

فَالْجَارُ الصَّالِحُ - أَيُّهَا النَّاسُ - نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ فَمَنْ رُزِقَ جَارًا صَالِحًا يَجِبُ عَلَيْهِ شُكْرُ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الشُّكُورَ يَزِيدُ خَيْرًا إِلَى خَيْرٍ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6014)، وَمُسْلِمٌ (2625) وَلَهَا اللَّفْظُ نَفْسُهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (48).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (340/9)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ»

(2576).

وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُحْسِنًا لَجَارِهِ.

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «المشكاة»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لَجَارِهِ».

ومعنى «خَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ أَكْثَرُهُمْ ثَوَابًا عِنْدَهُ.

ومعنى «خَيْرُهُمْ لَجَارِهِ» أَيُّ أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا إِلَيْهِ وَلَوْ بِالنَّصِيحَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يُجْمَلُ بِالْجَارِ أَنْ يُحْسِنَ إِلَى جَارِهِ بِإِصْطِلَاحِ ضُرُوبِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ كَالْهَدِيَّةِ وَالسَّلَامِ وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ لِقَائِهِ، وَتَفْقُدِ حَالِهِ، وَمَعَاوَنَتِهِ فِيمَا احتَاجَ إِلَيْهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَكَفَّ الْأَذَى عَنْهُ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ حَسْبَ حَسْبِيَّةِ كَانَتْ أَوْ مَعْنَوِيَّةً⁽²⁾.

ففي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَانِي: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَّ قًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ. ثُمَّ انظُرْ أَهْلَ بَيْتِ مَنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ».

ومعنى «أَكْثِرْ مَاءَهُ» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ زِدْهَا مِنَ الْمَاءِ لَتَكْثُرَ وَتُوزَّعَ عَلَى جِيرَانِكَ.

ومعنى «فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ» أَيُّ أَعْطِهِمْ مِنْهَا شَيْئًا بِوَجْهِ طَلَّقِ سَهْلٍ مُبْسَطٍ.

فالجَارُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَشْمُ رَائِحَةَ الطَّعَامِ فِي بَيْتِ جَارِهِ فَلَا أَفْضَعُ مِنْ مَنَعِ الشَّيْءِ الْيَسِيرِ، وَهُنَا فَائِدَةٌ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُهْدِي لَجَارِهِ أَنْ يَحْتَقِرَ الْقَلِيلَ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَمَا

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (1944)، وصححه الألباني في «المشكاة» (4987).

(2) انظر «الفتح» (10/456).

(3) رواه مسلم (2625).

في سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحقرن أحدكم شيئاً من المعروف فإن لم يجد فليلق أخاه بوجه طلق، وإذا اشترت لحماً أو طبخت قدراً فأكثر مرقته واغرف منه لجارك».

ولا ينبغي للجار أن يحقر هديته جاره ولو قلت فقد ورد النهي عن ذلك.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «يا نساء المسلمين، لا تحقرن جارة لجاتها ولو فرسن شاة».

قال النووي رحمه الله: «هذا النهي عن الاحتقار نهي للمعطي ومعناه لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجاتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها بل تجود بها تيسر وإن كان قليلاً كفرسن شاة وهو خير من العدم، وقد قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾⁽³⁾ ، وقال النبي ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمر»⁽⁴⁾.

والجار القريب - أيها الناس - أولى بالإحسان ثم الأقرب فالأقرب.

لما في «صحيح البخاري»⁽⁴⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارتين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً».

أيها الناس إنه يحسن بالمسلم أن يتفقده جيرانه فقد يكون جاره مريضاً أو جائعاً أو محتاجاً وهو لا يعلم.

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (1833)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (7634).

(2) رواه البخاري (6017)، ومسلم (1030).

(3) «شرح النووي على مسلم» (119/7).

(4) رواه البخاري (2259).

فقد أخرج الطبرانيُّ بسندٍ صحيحٍ لغيره قاله الألبانيُّ في «صحيح التَّريغيب»⁽¹⁾ من حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ليسَ المؤمنُ الَّذي يَشْبَعُ وجارُهُ جائِعٌ».

وأخرج البخاريُّ في «الأدبِ المُفردِ» بسندٍ قال عنه الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ حَسَنٌ لغيره عن نافعِ عَنِ ابنِ عُمَرَ قال: لَقَدْ أتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ أو قال: حِينٌ - وما أَحَدٌ أَحَقُّ بِدينارِهِ ودرهمِهِ مِنْ أخِيهِ المُسلمِ، ثُمَّ الآنَ الدينارُ والدرهمُ أَحَبُّ إلى أَحَدِنَا مِنْ أخِيهِ المُسلمِ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقولُ: «كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجارِهِ يَوْمَ القِيامَةِ، يقولُ: يا رَبِّ! هذا أَغْلَقَ بابَهُ دُونِي، فَمَنَعَ مَعروفَهُ!». وأسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) «صحيح لغيره» أخرجه الطبرانيُّ في «الكبير» (154/12)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التَّريغيب» (149).

(2) «حسن لغيره» أخرجه البخاريُّ في «الأدبِ المُفردِ»، وقال الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ» (2646) حسنٌ لغيره.

الخطبة الثانية - تحريم أذى الجار :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «آدَابِ الْجَوَارِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ «تَحْرِيمِ أَذَى الْجَارِ».

أَيُّهَا النَّاسُ أَذَى الْجَارِ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ.

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكِبَائِرِ: «الْكَبِيرَةُ الثَّانِيَةُ وَالْحَمْسُونَ أَذَى الْجَارِ».

وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - قَدْ تَكَفَّلَ لِمَنْ اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ أَنْ يُكْفَرَ عَنْهُ الصَّغَائِرُ وَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنْ جَتَبُوا كَبَائِرَ مَا نُتَهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النِّسَاءُ : 31).

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَقْسَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفِي الْإِيْمَانِ - ثَلَاثًا - عَلَى مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأَيْقَهُ أَيُّ غَوَائِلُهُ وَشَرُّهُ أَوْ ظَلَمَهُ.

فَقَالَ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي شُرَيْحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ». قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأَيْقَهُ».

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَعْنَى بَوَائِقِهِ: «يَعْنِي عَدْرَهُ وَخِيَانَتَهُ وَظَلَمَهُ وَعُدْوَانَهُ، فَالَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَإِذَا كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَيُوقِعُهُ فِعْلًا فَهُوَ أَشَدُّ. وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْعُدْوَانِ عَلَى الْجَارِ سِوَاءَ أَكَانَ ذَلِكَ

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6016).

بالقولِ أو بالفعلِ أمّا بالقولِ بأنَّ يَسْمَعَ مِنْهُ ما يَزِعْجُهُ وَيُثْلِقُهُ كَالَّذِينَ يَفْتَحُونَ الرّاديو أو التّليفزيونَ أو غيرَهُما ممّا يُسْمَعُ فَيَزِعْجُ الجيرانَ، فإنَّ هذا لا يَحِلُّ لَهُ، حتّى ولو فَتَحَهُ على كتابِ اللهِ وهو ممّا يَزِعْجُ الجيرانَ بصوّتهِ فإنّه مُعْتَدٍ عَلَيْهِمْ ولا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذلكَ، وأمّا بالفعلِ فيكونُ بِإِقْراءِ الكِنَاسَةِ حَوْلَ بابِهِ، والتّضْيِيقِ عَلَيْهِ عندَ مداخلِ بابِهِ أو بالدّقِّ أو ما أشَبَهَ ذلكَ ممّا يَبْصُرُهُ، وَمِنْ هذا - أَيْضًا - إِذا كانَ لَهُ نَحْلَةٌ أو شَجَرَةٌ حَوْلَ جدارِ جاريهِ فكانَ يَسْقِيها حتّى يُؤْذِي جاريهِ بهذا السَّقْيِ، فإنَّ ذلكَ مِنْ بوائِقِ الجارِ فلا يَحِلُّ لَهُ، إِذْ يُحْرَمُ على الجارِ أَنْ يُؤْذِي جاريهِ بِأَيِّ شَيْءٍ. فإنَّ فَعَلَ فإنّه لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ والمعنى أَنَّهُ لَيْسَ مَتَّصِفًا بِصِفاتِ المُؤْمِنِينَ في هذه المُسْأَلَةِ التي خالَفَ بها الحَقَّ»⁽¹⁾.

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جاريهِ بِبوائِقِهِ».

وَأَذِيَّةُ الجارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَتَفَاوَتُ فبَعْضُها أَعْظَمُ مِنْ بَعْضٍ.

وأَعْظَمُ أَذِيَّةٍ تَنالُ الجارَ هي أَذِيَّتُهُ في أَهْلِهِ وهي مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ

النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذُّنُوبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ:

إِنَّ ذَلِكَ لِعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ:

ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَرْتِي حَلِيلَةَ جارك».

وَمَنْ آذَى جاريهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَقَدْ اسْتَحَقَّ لَعْنَةَ النَّاسِ.

(1) شرح كتاب «الكبائر» للحافظ الذهبي شرح ابن عثيمين رحمه الله (ص 332).

(2) رواه مسلم (46).

(3) رواه البخاري (4477)، ومسلم (86).

ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ صَحِيحٍ كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يَشْكُو جَارَهُ. فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَذْهَبْ فَاصْبِرْ». فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: «أَذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ». فَفَعَلَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَمْرُونُ وَيَسْأَلُونَهُ، فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَ جَارِهِ، فَجَعَلُوا يَلْعَنُونَهُ، فَعَلَّ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ وَبَعْضُهُمْ يَدْعُونَ عَلَيْهِ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى مِنْ شَيْئًا تَكْرَهُهُ.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ فَلَانَةَ تَكْثُرُ مِنْ صَلَاتِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصِيَامِهَا غَيْرَ أَنَّمَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ فِي النَّارِ».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فَلَانَةَ يُذَكَّرُ مِنْ قَلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، وَأَنَّهَا تَتَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقْطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ مَنَّا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ جَارُهُ خَصْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ». أَيُّهَا النَّاسُ لَيْسَ حَقُّ الْجَارِ بِكَفِّ الْأَذَى عَنْهُ فَحَسْبُ بَلِّ حَقُّهُ كَمَا يَكُونُ بِكَفِّ الْأَذَى عَنْهُ فَيَكُونُ بِالصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُ.

(1) «حَسَنٌ صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (5153)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (2559) حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (440/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (2560).

(3) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (151/4)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (2557) حَسَنٌ.

كما تقدّم في الحديث وفيه قال الرَّسُولُ ﷺ للرجل الذي جاء يشكو إليه جاره: «أذهب فاصبر». قاله ثلاثاً.

وأجر الصّبر على أذية الجار - أيها الناس - لعظيم. وهو أن يكون الصابر على أذية الجار ممن يحبّه الله.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ»⁽¹⁾ عَنْ مَطْرَفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ يَبْلُغُنِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ حَدِيثٌ، وَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقَاءَهُ، فَلَقَيْتُهُ. فَقُلْتُ: يَا أبا ذَرٍّ، كَانَ يَبْلُغُنِي عَنْكَ حَدِيثٌ، وَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقَاءَكَ. قَالَ: اللَّهُ أَبُوكَ قَدْ لَقَيْتَنِي، فَهَاتِ، فَهَاتِ: حَدِيثٌ بَلَّغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَكَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ ثَلَاثَةً وَيَبْغُضُ ثَلَاثَةً». قَالَ: فَمَا أَخْلَانِي أَكْذَبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ؟ قَالَ: رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَأَنْتُمْ تَحْدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوعًا﴾⁽²⁾. فَقُلْتُ: وَمَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ كَانَ لَهُ رَجُلٌ سُوءٌ يُؤْذِيهِ فَيَصْبِرُ عَلَى آذَاهُ حَتَّى يَكْفِيَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ بِحَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ.

أيها الناس مَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيثُ عَنِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ تَمَنَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ جَارٌ يُؤْذِيهِ فَيَصْبِرُ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ - تَعَالَى - .

فَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلٌ فَهَذَا سَهْلٌ بِنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ لَهُ جَارٌ ذِمِّيٌّ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْكَبَائِرِ» وَكَانَ قَدْ انْبَثَقَ مِنْ كَيْفِهِ (أَيَّ حَمَامٍ بَيْنَهُ) إِلَى بَيْتٍ فِي دَارِ سَهْلِ بَثَقَ (وَالْبَثَقُ هُوَ انْدِفَاعُ شَيْءٍ مِنَ الْبَالُوَعَةِ) فَكَانَ سَهْلٌ يَضَعُ كُلَّ

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (5/153)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ» (2569).

يَوْمِ الْجَفْنَةِ تَحْتَ ذَلِكَ الْبَثْقِ فَيَجْتَمِعُ مَا يَسْقُطُ فِيهِ مِنْ كَيْفِ (جَارِهِ) الْمَجُوسِيِّ وَيَطْرُقُهُ بِاللَّيْلِ حَيْثُ لَا يَرَاهُ فَمَكَثَ رَحْمَةً لِلَّهِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ زَمَانًا طَوِيلًا إِلَى أَنْ حَضَرَتْ سَهْلًا الْوَفَاةَ، فَاسْتَدْعَى جَارَهُ الْمَجُوسِيَّ وَقَالَ لَهُ: ادْخُلْ ذَلِكَ الْبَيْتَ وَاَنْظُرْ مَا فِيهِ، فَدَخَلَ فَرَأَى ذَلِكَ الْبَثْقَ وَالْقَدَرَ يَسْقُطُ مِنْهُ فِي الْجَفْنَةِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟ قَالَ سَهْلٌ: هَذَا مِنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ يَسْقُطُ مِنْ دَارِكَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ وَأَنَا أَتَلَقَّاهُ بِالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَلَوْلَا أَنَّهُ حَضَرَ نِيَّ أَجَلِي، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ لَا تَتَّسِعَ أَخْلَاقُ غَيْرِي لِذَلِكَ، وَإِلَّا لَمْ أُخْبِرْكَ فَافْعَلْ مَا تَرَى، فَقَالَ الْمَجُوسِيُّ: أَيُّهَا الشَّيْخُ أَنْتَ تُعَامِلُنِي بِهَذِهِ الْمَعَامَلَةَ مِنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ وَأَنَا مُقِيمٌ عَلَى كُفْرِي؟ مَدَّ يَدَكَ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ مَاتَ سَهْلٌ رَحْمَةً لِلَّهِ.

فَنَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِينَا وَإِيَّاكُمْ لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَأَنْ يُحْسِنَ عَاقِبَتَنَا إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَوْفٌ رَحِيمٌ⁽¹⁾.

(1) انظر «شرح الكباير» للعلامة ابن عثيمين رحمه الله (ص 332 - 333).

الْأَمَانَةُ

21

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَرَاتِ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسْبَةِ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامِ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «الأمانة».

أيها الناس الأمانة من أعظم الصفات الخلقية التي وصف الله بها المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (الْمُنُونِ : 8، الْمُحَلَّلَاتِ : 32).

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: إذا اتُّمِنُوا لم يُخُونُوا، وإذا عَاهَدُوا لم يَغْدُرُوا وهذه صفات المؤمنين، وضدها صفات المنافقين»⁽¹⁾.

أيها الناس الأمانة لا تقتصر على حفظ الودائع بل هي أعم من ذلك بكثير.

(1) «تفسير ابن كثير» (463/5).

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء : 58).

قال ابن كثير رحمه الله : «يُخبرُ اللهُ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا... وهو يَعُمُّ جميعَ الْأَمَانَاتِ الواجبةِ على الإنسانِ من حقوقِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - على عبادِهِ من الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالنَّذْرِ وغيرِ ذَلِكَ ممَّا هو مُؤْتَمَنٌ عَلَيْهِ لا يَطَّلَعُ عَلَيْهِ الْعَبَادُ. ومن حقوقِ الْعِبَادِ بعضُهُمْ على بعضٍ كَالْوَدَائِعِ وغيرِ ذَلِكَ ممَّا يَأْتَمِنُونَ بِهِ من غيرِ إِطْلَاعِ بَيْنِهِ على ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - بِأَدَائِهَا فَمَنْ لم يَفْعَلْ ذَلِكَ في الدُّنْيَا أُخِذَ مِنْهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾.

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال : 27).

قال ابن كثير رحمه الله : «والْحِيَانَةُ تَعَمُّ الذُّنُوبَ الصَّغَارَ وَالْكِبَارَ اللَّازِمَةَ وَالْمَتَعَدِّيَةَ. قال عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : (ولا تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) الْأَمَانَةُ هِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي اتَّمَنَ اللهُ عَلَيْهَا الْعِبَادَ - يعني الْفَرِيضَةَ. يقولُ : لا تَخُونُوا : لا تَنْقُضُوهَا. وقال في روايةٍ : ﴿ لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ . يقولُ : بتركِ سُنَّتِهِ وارتكابِ مَعْصِيَتِهِ»⁽²⁾.
أيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ رَغَبَ نَبِيُّنَا ﷺ في حِفْظِ الْأَمَانَةِ وَحَدَّرَ من إِضَاعَتِهَا في أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ فَمِنْهَا :

ما جاء في «صحیح البخاري»⁽³⁾ من حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : بينما النَّبِيُّ ﷺ في مجلسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جاءهُ أَعْرَابِيٌّ فقال : متى السَّاعَةُ؟ فمضى رسولُ اللهِ ﷺ

(1) «تفسيرُ ابنِ كثيرٍ» (2/232).

(2) «تفسيرُ ابنِ كثيرٍ» (4/41).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (59).

يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَّرَهُ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ. قَالَ: «أَيْنَ أَرَاهُ السَّائِلَ عَنِ السَّاعَةِ؟». قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

وفي سنن الترمذي وأبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَدُّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَحْنُ مِنْ خَانَكَ».

وأخرج الخرائطي في «مكارم الأخلاق» بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةَ وَأَخْرُهَا الصَّلَاةُ».

كما أخبر ﷺ أَنَّ خِيَانَةَ الْأَمَانَةِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهُ الْمَنَافِقُ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتَمَنَ خَانَ».

أَيُّهَا النَّاسُ مَا أَكْثَرَ مِيَادِينَ الْأَمَانَةِ فَسَاقِصِرُ حَدِيثِي مَعَكُمْ فِي هَذِهِ الْعَجَلَةِ عَلَى أَمَانَةِ التَّوْطِيفِ!

أَيُّهَا النَّاسُ الْأَسَاسُ فِي اخْتِيَارِ كُلِّ مَوْظَفٍ أَوْ عَامِلٍ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا أَمِينًا؛ لِأَنَّهُ بِالْقُوَّةِ يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِالْعَمَلِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ، وَبِالْأَمَانَةِ يُؤَدِّيهِ عَلَى وَجْهِ تَبَرُّأٍ بِهِ ذِمَّتُهُ.

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (3535)، والترمذي (1246)، وصححه الألباني في «الصحيح» (424).

(2) «حسن» أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص28)، والضياء في «المختارة» (495/1)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (319/4).

(3) زوَاهُ الْبُخَارِيُّ (33)، وَمُسْلِمٌ (59).

وقد أخبر الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عن إحدى ابنتي صاحبِ مَدِينِ أَثَمَا قَالَتْ لِإِيبِهَا
لَمَّا سَقَى لَهَا مُوسَى ﷺ: ﴿يَتَأْتِ أَسْتَعْرَجَةٌ إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَعْرَجَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٦﴾﴾
(القصص: 26).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ الْعَفْرِيتِ مِنَ الْجِنِّ الَّذِي أَبْدَى اسْتِعْدَادَهُ لِسُلَيْمَانَ
ﷺ بِالْإِتْيَانِ بِعَرْشِ بَلْقَيْسَ: ﴿قَالَ عَفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ، قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
أَمِينٌ ﴿٣١﴾﴾ (النمل: 39).

والمعنى: أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ الْقُدْرَةِ عَلَى حَمْلِهِ وَإِحْضَارِهِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى مُتَوَاتِرِهِ.
وأخبر الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ يُوسُفَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِلْمَلِكِ: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى
خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهٌ ﴿٥٥﴾﴾ (يوسف: 55).

والمعنى: أَنَّهُ خَازِنٌ أَمِينٌ ذُو عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ بِمَا يَتَوَلَّاهُ.
وَضُدُّ الْقُوَّةِ وَالْأَمَانَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْعَجْزُ وَالْحِيَانَةُ.
كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عمرو بن ميمون قال: قال عمر بن
الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةَ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ بِهٍ أَيُّكُمْ
مَا أَمْرٌ، فَإِنِّي لَمْ أُعْزَلْهُ عَنِ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟

قال: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكَبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزِيٌّ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3700).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1825).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَبَا ذرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحَبُّ لَكَ مَا أَحَبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمَرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجْمَلُ بِالْمَوْظَفِ أَنْ يُعَامَلَ غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ. ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْخَزَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مِنْيَّةٌ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُوتَى إِلَيْهِ».

والمعنى - أَيُّهَا النَّاسُ - عَامِلِ النَّاسِ بِمِثْلِ مَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهِ.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وقَدْ ذَمَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مَنْ يُعَامِلُ غَيْرَهُ عَلَى خِلَافِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ.

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطْفِقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ .

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ من حديثِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

(1) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (1826).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (1844).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (13)، وَمُسْلِمٌ (45).

(4) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2408)، وَمُسْلِمٌ (593).

والشاهد من الحديث - أيها الناس - في قوله ﷺ : «ومنعاً وهات». فإنه ذم الجموع المنوع الذي يأخذ ولا يعطي.

وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - أولياء اليتامى بأنهم يخشون على ذرياتهم الصغار لو تركوهم.

فقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ (النساء: 9).

والمعنى - أيها الناس - كما أنهم يحبون أن يُحسنَ إلى ذريتهم الضعاف من بعدهم، فإن عليهم أن يُحسنوا إلى اليتامى الذين لهم ولاية عليهم.

أيها الناس أنه يجمل بالموظف تقديم الأسبق فلاسبق من أصحاب الحاجات. فمن العدل والإنصاف - أيها الناس - ألا يؤخر الموظف متقدماً من أصحاب الحاجات ولو كان بغيضاً أو يقدم متأخراً ولو كان قريباً بل يكون التقديم عنده على حسب السبق، وفي ذلك راحة للموظف وأصحاب الحاجات، وقد جاء في سنة الرسول ﷺ ما يدل على ذلك.

ففي «صحیح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكراه ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه. قال: «أين أراه السائل عن الساعة؟». قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

(1) رواه البخاري (59).

وَالشَّاهِدُ مِنَ الْحَدِيثِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يُجِبِ السَّائِلَ عَنِ السَّاعَةِ إِلَّا بَعْدَ فَرَاعِهِ مِنْ تَحْدِيثِ مَنْ سَبَّوهُ.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «ويؤخذُ مِنْهُ أَخَذَ الدُّرُوسِ عَلَى السَّبِّ، وكذلك الفتاوى والحكومات ونحوها»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يُجِبُّ عَلَى كُلِّ مُوَظَّفٍ أَنْ يَشْغَلَ الْوَقْتَ الْمُخَصَّصَ لِلْعَمَلِ فِي الْعَمَلِ الَّذِي أَخَذَ الْأَجْرَ فِي مُقَابِلِهِ، وَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَرْغَبُ فِي أَخْذِ أَجْرِهِ كَامِلًا وَلَا يُحِبُّ أَنْ يُبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُبْخَسَ شَيْئًا مِنْ وَقْتِ الْعَمَلِ يَصْرِفُهُ فِي غَيْرِ صَالِحِ الْعَمَلِ، وَقَدْ ذَمَّ اللهُ الْمُطَفِّفِينَ فِي الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ الَّذِينَ يَسْتَوْفُونَ حُقُوقَهُمْ وَيَبْخَسُونَ حُقُوقَ غَيْرِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ (المطففين: 1-6).

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) «الفتح» (142/1).

الخطبة الثانية - من صفات الموظف :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْأَمَانَةِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ
عَنْ «شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمُوظَّفِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُوظَّفٍ أَنْ يَكُونَ عَفِيفًا عَزِيزَ النَّفْسِ غَنِيَّ الْقَلْبِ،
بَعِيدًا عَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، مِمَّا يُقَدَّمُ لَهُ مِنْ رِشْوَةٍ وَلَوْ سُمِّيَ هَدِيَّةً؛ لِأَنَّهُ إِذَا
أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ أَكَلَهَا بِالْبَاطِلِ.

وقد حذر النبي ﷺ العَمَالَ مِنْ أَخْذِ شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ وَلَوْ سُمِّيَ هَدِيَّةً.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَعْمَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَسَدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللَّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا
لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، قَالَ: فقامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،
وَقَالَ: «مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي! أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ
أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُّهُدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟!»، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا
شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَمْلِهِ عَلَى عُنُقِهِ، بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ
تَبْعَرُ». ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتِي إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ! هَلْ بَلَغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قامَ فِيْنَا رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: «لَأَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَمِجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7174)، وَمُسْلِمٌ (1822) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3073)، وَمُسْلِمٌ (1831).

على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله! أغنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة، على رقبته فرس له حممة، فيقول: يا رسول الله! أغنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة، على رقبته شاة لها نغاء، يقول: يا رسول الله! أغنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة، على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله! أغنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة، على رقبته رقاغ تحقق، فيقول: يا رسول الله! أغنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة، على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله! أغنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ».

والرقاغ - أيها الناس - في الحديث هي الثياب، والصامت الذهب والفضة.

وفي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هدايا العمال غلول».

والغلول - أيها الناس - هو الخيانة وغيرها من الأعمال. والمراد أن هدايا العمال من جملة الغلول.

قال العباد - حفظه الله - في «شرح لسنن أبي داود»⁽²⁾: «لا يجوز للعمال ولا للموظفين قبول الهدايا؛ لأن الرسول ﷺ قال: «هدايا العمال غلول» يعني: ليس للموظف أن يقبل هدية سواء أكانت من موظف عنده، أو من مراجع من المراجعين الذين يأتون من الخارج لحاجاتهم، فلا يجوز لهم أن يهدوا للموظفين ولا يجوز للموظفين أن يقبلوا منهم؛ لأن هذا من الغلول، كما في قصة ابن اللثبية الذي جاء

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (23601)، وصححه الألباني في «الإرواء» (2622).

(2) «شرح سنن أبي داود» للعباد (270/5).

بِالصَّدَقَاتِ وَقَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ لِيَنْظُرَ هَلْ تَأْتِيهِ هَدِيَّةٌ؟». يَعْنِي مَا أُعْطِيَ الْهَدِيَّةَ إِلَّا بِسَبَبٍ كَوْنِهِ عَامِلًا.

وَكذَلِكَ الْمُدْرَسُ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقْبَلَ الْهَدِيَّةَ مِنَ الطُّلَّابِ لِاحْتِمَالِ الْمِيلِ إِلَيْهِ وَمَحَابَاتِهِ بِزِيَادَةِ دَرَجاتِهِ فَتَكُونُ الْهَدِيَّةُ سَبَبًا فِي ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ إِذَا كَانَ أَهْدَى لَهُ كِتَابًا وَقَبْلَهُ فَإِنَّهُ يُعْطِيهِ كِتَابًا أَحْسَنَ مِنْهُ وَبذَلِكَ يَزُولُ الْإِشْكَالُ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمَوْظِفِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي إِيرَادَاتِ الدَّوْلَةِ أَنْ يُوَصِّلُوا الْأَمْوَالَ إِلَيْهَا كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ.

لَمَّا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُدِيِّ بْنِ عُمَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمْنَا مَخِيطًا فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُوبًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فَقَوْلُهُ ﷺ: «فَكَتَمْنَا» أَي: أَخْفَى عَنَّا.

وَقَوْلُهُ: «مَخِيطًا» أَي: إِبْرَةٌ.

وَقَوْلُهُ: «فَمَا فَوْقَهُ» أَي: فَشَيْئًا يَكُونُ فَوْقَ الْمَخِيطِ فِي الصَّغَرِ أَوِ الْكَبِيرِ.

فَالْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَسُوقٌ لِحَثِّ الْعَمَالِ عَلَى الْأَمَانَةِ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الْخِيَانَةِ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُسَوِّغَ لِنَفْسِهِ أَخْذَ أَمْوَالِ الدَّوْلَةِ بِدَعْوَى أَنَّ الْفَسَادَ مُتَشَسِّرٌ وَالرِّشْوَةَ ضَارِبَةٌ أَطْنَابَهَا عِنْدَ الْكِبَارِ فَضْلًا عَنِ الصَّغَارِ فَإِنَّ هَذَا مِنْ مَغَالِطَةٍ

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1833).

(2) «مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ» (74/6).

النَّفْسِ وَمِنْ تَلَيُّسِ إِبْلِيسَ فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْئُولٌ عَنْ عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ اللَّهِ، وَكَوْنُ الدَّوْلَةِ لَا تَعْطِيهِ مَا يَكْفِيهِ فَلَا يُسَوِّغُ لِنَفْسِهِ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ عَمَلٍ آخَرَ يَسُدُّ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ عِيَالِهِ لِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَأْذَنْ لِلْمَوْظَفِ أَنْ يَأْخُذَ زِيَادَةً عَلَى مَا هُوَ مُقَرَّرٌ لَهُ مِنَ الدَّوْلَةِ.

ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَا عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُوبٌ».

اللَّهُمَّ وَفَّقْ كُلَّ مَوْظَفٍ وَعَامِلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى آدَاءِ عَمَلِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.
اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (2943)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (6023).

خَطَرُ الدِّيُونِ

22

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأجنزلي: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «خَطَرِ الدِّيُونِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الدِّيُونُ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ مَدِينٌ.

فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَسْتَدِينُ لِلْإِنْفَاقِ عَلَى عِيَالِهِ وَفِيمَا يُرِضِي اللَّهَ وَيَأْخُذُ ذَلِكَ عَلَى نِيَّةِ السَّدَادِ وَالْوَفَاءِ فَهُمْ دَاخِلُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي مِثْلِ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهَا اللَّهُ عَنْهُ».

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2387).

ومن الناس من يأخذ أموال الناس وليس له نية في ردها فهم داخلون في مثل قوله ﷺ كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -» .

وأما أصحاب الأموال الذين فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَأَعْطَاهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُفَرِّجُ كُرْبَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسِرِينَ وَيُحْسِنُ إِلَى الْمُوَسِّرِينَ وَمِنْهُمْ مَنْ يُشَارِكُ فِي كَثِيرٍ مِنْ طُرُقِ الْحَيْرِ وَهَوْلَاءِ دَاخِلُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي مِثْلِ قَوْلِهِ ﷺ كَمَا فِي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»⁽³⁾ .

أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِينَ أَمْرُهُ عَظِيمٌ بَلْ عَدَّهُ نَبِيْنَا ﷺ مَخَافَةً .

كما في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «لَا تُخَيَّفُوا أَنْفُسَكُمْ» . أَوْ قَالَ : «الْأَنْفُسُ» . فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَا نُخَيَّفُ أَنْفُسَنَا؟ قَالَ : «الَّذِينَ» .

وَالَّذِينَ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَا يُكْفِّرُهُ حَتَّى الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا أَنَّهُ يَمْنَعُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ .

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2387) .

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2699) .

(3) أَنْظَرُ كِتَابَ «الدَّرِّ الْمَكْنُونِ فِي أَحْكَامِ الدِّيُونِ» لِأَخِينَا عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى الْحَجُورِيِّ - حَفِظَهُ اللَّهُ - (ص 5) وَقَدْ اسْتَفَدْتُ مِنْهُ كَثِيرًا فِي إِعْدَادِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ . جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا وَزَادَهُ عِلْمًا وَهَدَى وَصَلَحًا .

(4) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4/154)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2420) .

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَهُمْ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ». فَقَامَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ تَكْفَّرَ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ، غَيْرُ مُدْبِرٍ»، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ تَكْفَّرَ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ، غَيْرُ مُدْبِرٍ إِلَّا الدِّينُ، فَإِنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ».

وفي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»⁽²⁾ من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ الْكِبْرِ وَالغُلُولِ، وَالدِّينِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمَظَالِمِ وَمِنهَا الدُّيُونُ.

ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُسِبُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟». قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، فَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا،

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1885).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (1572)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (2412).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2440).

(4) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2581).

وقَدَفَ هذا، وأكَل مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وَصَرَبَ هذا، فَيُعْطَى هذا من حَسَنَاتِهِ، وهذا من حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى ما عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ».

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح التَّريغِيبِ والتَّرهيبِ»⁽²⁾ عن ميمون الكُرْدِيِّ عن أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ لَا مَرَّةَ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثَ حَتَّى بَلَغَ عَشْرَ مَرَارٍ: «أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً بِمَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ مِنَ الْمَهْرِ لَيْسَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهَا حَقَّهَا خَدَعَهَا فَهَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهَا حَقَّهَا؛ لَقِيَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ زَانٍ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَدَانَ دَيْنًا لَا يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى صَاحِبِهِ حَقَّهُ خَدَعَهُ حَتَّى أَخَذَ مَالَهُ، فَهَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّهِ؛ لَقِيَ اللهُ وَهُوَ سَارِقٌ».

أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا مَا أَثْقَلَ الدُّيُونُ فَلَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ يُثْقَلَ كَاهِلُهُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ فَكَمْ مِنْ تَاجِرٍ ضَاعَفَ دَخْلَهُ بِالذُّيُونِ وَعِنْدَهُ مَا يَكْفِيهِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ من حديث المُعِيزَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتٍ، وَكَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّيُونَ قَدْ تَقَوَّدُوا إِلَى مَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَثِيرًا مَا يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنَ الدَّيْنِ.

(1) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2582).

(2) «صحيح» أخرجهُ الطبراني في الأوسط (1851)، وصحَّحهُ الألباني في «صحيح التَّريغِيبِ والتَّرهيبِ» (167/2).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2408)، وَمُسْلِمٌ (593).

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ». فَقَالَ قَائِلٌ لَهُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِينُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْمَغْرَمِ؟ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ؛ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

قال الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال المَهَلَّبُ: يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ سَدُّ الذَّرَائِعِ؛ لِأَنَّهُ اسْتَعَاذَ مِنَ الدَّيْنِ، لِأَنَّهُ فِي الْغَالِبِ ذَرِيعَةٌ إِلَى الْكُذْبِ فِي الْحَدِيثِ، وَالْحَلْفِ فِي الْوَعْدِ مَعَ مَالِصَاحِبِ الدَّيْنِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَقَالِ»⁽²⁾.

وفي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديثِ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا نَزَلَ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ».

وَالضَّلَعُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ: الثَّقُلُ أَي يُثْقَلُهُ حَتَّى يَمِيلَ صَاحِبُهُ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ وَالْإِعْتِدَالِ، وَغَلْبَةُ الرَّجَالِ أَي شِدَّةُ تَسَلُّطِهِمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنَّ تَرْكَ النَّبِيِّ الصَّلَاةَ عَلَى صَاحِبِ الدَّيْنِ كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ثُمَّ نَسِخَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁴⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمَتَوَفَّى عَلَيْهِ الدَّيْنِ، فَيَسْأَلُ: «هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا؟» فَإِنْ حَدَّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ. وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ،

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2397)، وَمُسْلِمٌ (589).

(2) «الْفَتْحُ» (77/5).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2893).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2298)، وَمُسْلِمٌ (1619).

قال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفى من المؤمنين فترك ديناً فعلي قضاؤه، ومن ترك ما لا فلورثته».

قال القرطبي رحمه الله في «المفهم»: «سؤال النبي ﷺ عن الميت هل عليه دينٌ أولاً، وامتناعه من الصلاة على من عليه دينٌ، ولم يترك وفاءً إشعاراً بصعوبة أمر الدين وأنه لا ينبغي أن يتحمّله الإنسان إلا من ضرورة وأنه إذا أخذه لا ينبغي أن يتراخى في أدائه إذا تمكن منه وذلك لما قدمنا من أن الدين شينٌ، الدين همٌ بالليل ومذلةٌ بالنهار، وإخافةٌ للنفس بل وإزقاق لها»⁽¹⁾.

وقد كان هذا من النبي ليرتدع من يتساهل في أخذ الدين حتى تتشوش أوقاتهم عند المطالبة، وكان هذا في أول الإسلام.

أيها الناس إنه لا بد من كتابة الدين والإشهاد عليه فلا يدري أحدنا ما يعرض له. ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يريد أن يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبةً عنده». وأستغفر الله.

(1) «المفهم» (4/574).

(2) رواه مسلم (1627).

الخطبة الثانية - فضل إنظار المُعسِرِ :

الحمدُ لله ربَّ العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «خَطَرِ الدُّيُونِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ «فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ».

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْ آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ فِي فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ مَا يَمْلَأُ الصَّدْرَ وَالنَّحْرَ فَمِنْهَا:

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 280).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «يَأْمُرُ تَعَالَى بِالصَّبْرِ عَلَى الْمُعْسِرِ الَّذِي لَا يَجِدُ وَفَاءً قَالَ: ثُمَّ يَنْدُبُ إِلَى الْوَضْعِ عَنْهُ، وَيَعِدُّهُ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، فَقَالَ: «وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ» أَي: وَأَنْ تَتْرُكُوا رَأْسَ الْمَالِ بِالْكُلِّيَّةِ وَتَضَعُوهُ عَلَى الْمَدِينِ»⁽¹⁾.

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن أبي قتادة، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيماً لَهُ فَتَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَلْيَنْفَسْ عَنِ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي اليسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ».

(1) «تفسير ابن كثير» (717/1).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1563).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (3006).

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بَسْنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَهُ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ الدَّيْنُ فَنَظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَهُ صَدَقَةٌ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَاتَ رَجُلٌ، فَقِيلَ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَبَايُعِ النَّاسَ فَاتَّجَوَّزْتُ عَنِ الْمُوسِرِ، وَأُخَفِّفْتُ عَنِ الْمُعْسِرِ، فَعُفِّرَ لَهُ».

وفي رِوَايَةٍ: «فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»⁽³⁾.

وفي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مَمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُحَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غُلَمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ».

(1) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (2/359)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6106).

وَقَالَ شَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (3932) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2391)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (1560).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3451).

(4) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1561).

(5) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2078)، وَمُسْلِمٌ (1562).

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَدْكُرْكُمْ بِمَا جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلَا أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ خَيْبَرَ دِينًا، أَدَاهُ اللَّهُ عَنْكَ». قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ».

نَسَأَلُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنْ يُوفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَأَنْ يُغْنِينَا وَإِيَّاكُمْ بِالْحَلَالِ عَنِ الْحَرَامِ.

اللَّهُمَّ اغْنِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3563)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (2625).

عِزَّةُ النَّفْسِ

23

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَبَاتُ: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلَابُ: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «عِزَّةِ النَّفْسِ».

أيها الناس عِزَّةُ النَّفْسِ تَعْنِي الارتفاعَ عن مواضعِ المَهَانَةِ، وَيُقَابِلُهَا الضَّعْفُ وَهِيَ أَنْحِدَارُ النَّفْسِ فِي المَهَانَةِ.

أيها الناس عزيزُ النَّفْسِ لَا يُرِيقُ مَاءَ وَجْهِهِ، وَلَا يَبْدُلُ عِرْضَهُ فِيهَا يَدْنُسُهُ، فَيَبْقَى مَوْفُورَ الكِرَامَةِ، مُرْتاحَ الضَّمِيرِ، مَرْفُوعَ الرَّأْسِ، شامخَ العِرْزِينَ لَا يَسِيرُ إِلَّا وَفْقَ مَا يُمْلِيهِ عَلَيْهِ إِيَّانُهُ.

أيها الناس لقد رَبَّأَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ - رضوان الله عليهم - على خُلُقِ العِزَّةِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَهُوَ يَذْكُرُ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمَنْفِقَةُ وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟». وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟». فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟». قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَعَلَامَ تُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَاةَ الْحَمْسَ، وَتُطِيعُوا (وَأَسْرَ كَلِمَةَ خَفِيَّةً) وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا. فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيائِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوَاطِئَ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ».

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِهِ لِلْحَدِيثِ: «هَذَا حَمَلٌ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَتَعْظِيمِ الصَّبْرِ عَلَى مَضْضِ الْحَاجَاتِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ وَعِزَّةِ النَّفْسِ»⁽³⁾.
وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَى الْمَشْيِ فِي مَنَاكِبِ الْأَرْضِ لِئَلَّا تَصَدَّعَ قَنَاةُ الْعِزَّةِ بِسُؤَالِ النَّاسِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽⁴⁾ من حديث الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكْفَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1429)، وَمُسْلِمٌ (1033) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1043).

(3) «دَلِيلُ الصَّالِحِينَ» (4/418).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1471)، وَأَخْرَجَهُ بَنُحُوهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (1042).

كما نهى النبي ﷺ عما يدسُّ النفوسَ ويُنزِلُها إلى حَضِيضِ الدَّرَكَاتِ فلم يُعْهَدْ سؤالُ الناسِ إلا عندَ ضُرُورَةٍ حَرِجَةٍ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديثِ قُبَيْصَةَ بْنِ مَخْرِقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَحَمَّلْتُ حِمَالَةً (أَي دِيَةً أَوْ غَرَامَةً) فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيهَا فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَتَأْمُرَ لَكَ بِهَا». قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا قُبَيْصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ تَحْمَلُ حِمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَهَا ثُمَّ يُمَسِّكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاخَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ (أَي مِنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ): لَقَدْ أَصَابَتْ فَلَانٌ فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) فَمَا سِوَاهُنَّ يَا قُبَيْصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا».

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ حَذَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ سِوَالِ النَّاسِ وَيَنَّ لَنَا أَنَّهُ مِنْ يَسْأَلِ النَّاسَ وَعِنْدَهُ قَدْرٌ مَا يُعْطِيهِ وَيُعَشِّيهِ فَإِنَّا يَسْأَلُ نَارًا

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسْنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّا يَسْتَكْتِرُ مِنَ النَّارِ».

قَالَ النَّبِيُّ وَهُوَ أَحَدُ رُؤَايِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: وَمَا الْغِنَى الَّذِي لَا يَنْبَغِي مَعَهُ الْمَسْأَلَةُ؟ قَالَ: «قَدْرٌ مَا يُغْذِيهِ وَيُعَشِّيهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ مَنَّا يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَوْ لِأَهْلِهِ أَوْ لِأَوْلَادِهِ أَوْ لِمَنْ يُعْزُّ عَلَيْهِ هَوَانُهُ وَذَلَّتْهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَى وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٍ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1044).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4/180) بِسْنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6280).

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٌ».

أَيُّهَا النَّاسُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَمِنَ الْجَنَّةَ لِمَنْ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ثُوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَكَفَّلَ - أَيْ ضَمِنَ - لِي الْأَيَّامَ يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟».

فَقَالَ ثُوْبَانُ: أَنَا. فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا.

فَهَذَا الْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَدْ جَمَعَ بَيْنَ عِزِّ الدُّنْيَا وَشَرَفِ الْآخِرَةِ

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ جَاءَهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَهُوَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا مَتَطَّلِعٍ وَلَا سَائِلٍ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقُ سَاقِهِ اللَّهُ إِلَيْهِ وَمَا لَا يَكُونُ كَذَلِكَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَتَّبِعَهُ نَفْسُهُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: «خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ - وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ - فَخُذْهُ، وَمَا لَا تَتَّبِعُهُ نَفْسُكَ».

وَالْإِشْرَافُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ التَّعَرُّضُ لِلشَّيْءِ وَالْحِرْصُ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ بِالْقَلْبِ

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَالَ: هُوَ أَنْ يَقُولَ مَعَ نَفْسِهِ يَبْعَثُ إِلَيَّ فُلَانٌ بِكَذَا!

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1474)، وَمُسْلِمٌ (1040).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (276/5)، وَأَبُو دَاوُدَ (1643)، وَالنَّسَائِيُّ (2591)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6603، 6604).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1473)، وَمُسْلِمٌ (1045).

أيها الناس لقد كان العلماء فيما مضى يُلقنون طلابهم حفظ قصيدة الجرجاني علي بن عبد العزيز في عزة النفس وهي قصيدة طبقت شهرتها الآفاق ولا بد أن ألقيتها على مسامعكم لما تحملُهُ من معانٍ سامية وأخلاقٍ رائدة.

- يقولون لي: فيك انقباض وإنما ○●○ رأوا رجلاً عن موقف الدُّلُّ أحجمًا
أرى الناس من داناهم هان عندهم ○●○ ومن أكرمتُه عِزَّةُ النَّفْسِ أكرما
ولم أقضِ حقَّ العلمِ إن كنتُ كُلِّما ○●○ بدا مَطْمَعُ صَيْرْتُهُ لِي سَلْمًا
وما زلتُ مُنْحازًا بعرضي جانبًا ○●○ عن الدُّلِّ أعتدُّ الصَّيَّانَةَ مَغْنَمًا
إذا قيل: هذا منهلٌ قُلْتُ: قد أرى ○●○ ولكنَّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
أنزها عن بعض ما لا يشينها ○●○ مخافة أقوال العدا: فيم أو لِمَا؟
فأصبح عن عيب اللئيم مُسَلِّمًا ○●○ وقد رُحْتُ في نفس الكريم مُعْظَمًا
وإني إذا ما فاتني الأمرُ لم أبت ○●○ أقلبُ كَفِّي إثره مُتَنَدِّمًا
ولكنه إن جاء عفوا قبلته ○●○ وإن مال لم أتبعه: هلا وليتَمَا
وأقبض حظوي في حظوظ كثيرة ○●○ إذا لم أنلها وافر العرض مُكرما
وأكرم نفسي أن أضاحك عابسا ○●○ وأن أتلقى بالمدح مُذَمِّمًا
وكم طالب رقى بنعمة لم يصل ○●○ إليه، وإن كان الرئيس المُعْظَمًا
وكم نعمة كانت على الحرِّ نعمة ○●○ وكم مَنِّمٍ يعتدُّ الحرُّ مَغْرَمًا
ولم أبتذل في خدمة العلمِ مُهْجَتِي ○●○ لأخدم من لاقيتُ لكن لأُحْدَمَا
أأشقى به غرسًا وأجنيه ذلَّة؟! ○●○ إذا فاتبأع الجهلِ قد كان أحزما
وإني لراضٍ عن فتى مُتَعَفِّفٍ ○●○ يروح ويفدو ليس يملك دِرْهَمًا
يبيت يراعي النجم من سوء حاله ○●○ ويصبح طلقًا ضاحكًا مُبَسِّمًا

- ولا يَسْأَلُ الثَّرِيْنَ مَا بَأَكْفِهِمْ ○●○ ولو مات جُوعًا عِفَّةً وَتَكَرُّمًا
 فَإِنَّ قُلْتَ زَنْدُ الْعِلْمِ كَابٍ، فَإِنَّمَا ○●○ كَبَّاحِينَ لَمْ نَحْرُسْ حِمَاهُ وَأَظْلَمَا
 ولو أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانِهِمْ ○●○ ولو عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لِعَظْمَا
 وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا ○●○ مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا!
 وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لَاحٍ لِي يَسْتَفِزُّنِي ○●○ وَلَا كُلُّ مَنْ لَاقَيْتَ أَرْضَاهُ مُنْعِمًا
 وَلَكِنْ إِذَا مَا أَضْطَرَّنِي الضَّرُّ لَمْ أَبْتَ ○●○ أَقْلَبُ فِكْرِي مُنْجِدًا ثُمَّ مِنْهُمَا
 إِلَى أَنْ أَرَى مَا لَا أَعْصُ بِذِكْرِهِ ○●○ إِذَا قُلْتُ: قَدْ أَسَدَى إِلَيَّ وَأَنْعَمًا⁽¹⁾

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) أدب الدنيا والدين (83)، و«البداية والنهاية» (355/11)، وخاص الخاص (228، 229).

الخطبة الثانية - الاستغناء عن الناس :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدَّمَ الْحَدِيثَ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «عِزَّةِ النَّفْسِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «الاستغناء عن الناس».

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ وَازْتَفَعَتْ نَفْسُهُ لَنْ يَأْكُلَ شَيْئًا إِلَّا مِنْ عَرَقِ جَبِينِهِ وَمَنْ كَسِبَهُ وَمَنْ هَانَتْ نَفْسُهُ عَلَيْهِ فَمِنْ أَوْسَاخِ النَّاسِ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث عبد المطلب بن ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّمَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ».

وعلى هذا المنوال من العزّة سار الصحابة الكرام بسيرة نبيهم ﷺ.

فقد أخرج مالك في الموطأ بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽²⁾ من حديث أسلم قال: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَمَ: اذْلُنِي عَلَى بَعِيرٍ مِنَ الْعَطَايَا أَسْتَحْمِلَ عَلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قُلْتُ: نَعَمْ جَهْلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَمَ: أَتُحِبُّ لَوْ أَنَّ رَجُلًا بَادِنَا فِي يَوْمٍ حَارًّا غَسَلَ مَا تَحْتَ إِزَارِهِ وَرَفَعِيهِ ثُمَّ أَعْطَاكَهُ فَشَرِبْتَهُ.

قَالَ: فَغَضِبْتُ وَقُلْتُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ لِمَ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا لِي؟

(1) رواه مسلم (1072).

(2) «صحيح» الموطأ (2/1001) الحديث (15)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (1/198).

قال: إِنَّمَا الصَّدَقَةُ أَوْسَاخُ النَّاسِ يَغْسِلُونَهَا عَنْهُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ هُنَا مَدْرَسَةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضْرَاءُ حَلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهَا بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ. الْيَدُ الْعَالِيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى».

قال حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا (أَيُّ لَا أَسْأَلُهُ مِنْ مَالِهِ) حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا.

فكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ. ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأُ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوفِيَ.

أَيُّهَا النَّاسُ الرِّزْقُ مَقْسُومٌ وَالْقَدَرُ مُحْسُومٌ فَطُوبَى لِمَنْ أَنْزَلَ حَاجَتَهُ بِالْغِنَى الْحَمِيدِ. ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أَوْ غِنَى عَاجِلٍ». قال العَبَّادُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - : «قَوْلُهُ: «وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ» أَي: بَأَنَّ يَمُوتَ لَهُ قَرِيبٌ لَهُ عِنْدَهُ مَالٌ فَيَرْتَهُ، فَيَصِيرَ إِلَيْهِ الْمَالُ مِنْ جِهَةٍ

(1) زَوَاهُ البُخَارِيُّ (1429)، وَمُسْلِمٌ (1033).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (1645)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2787).

لم يفكر فيها، ولم تقع له على بالٍ بل ساقه الله إليه من حيث لم يحتسب، «أو بغنى عاجل» أي: بأن يهيء الله له الخير، ويهيء له الأسباب التي توصله إلى الغنى فيحصل على الغنى»⁽¹⁾.

أيها الناس ألا ما أجمل القناعة ففي التمسك بها صيانة النفس.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وفعه الله بما آناه».

أيها الناس إذا استغنى الناس بالناس فاستغنوا أنتم بالله فمن استغنى بالله عن الناس أغناه الله.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده، فقال: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أُعطيَ أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر».

وفي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس».

قال السيوطي رحمه الله: «قوله: «ولكن الغنى غنى النفس» أي الغنى المحمود العظيم النافع شبع النفس وقلة حرصها»⁽⁵⁾.

(1) «شرح سنن أبي داود» للعباد - حفظه الله - (74/9).

(2) رواه مسلم (1054).

(3) رواه البخاري (1469)، ومسلم (1053).

(4) رواه البخاري (6446)، ومسلم (1051).

(5) «الديباج على مسلم» للسيوطي (130/2).

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدَّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرْكُمْ بِوَصِيَّةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فقد أخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن حسنه الألباني في «صحیح الجامع»⁽¹⁾ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد! عَشْ ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِغْنَى⁽²⁾.

(1) «حسن» أخرج الطبراني في «الأوسط» (306/4)، وحسنه الألباني في «صحیح الجامع» (73).

(2) جاء ذلك في «صحیح مسلم» (2721) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِغْنَى».

مِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ (1)

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذات: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسبائ: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كَانَ حَدِيثُنَا تَسْمَعُهُ الْمَرْأَةُ حَيْثُ كَانَتْ فَانْقُولُ لَهَا: «إِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمِعِي يَا جَارَةٌ» وَإِنْ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ فَهَذَا الْأَبُ وَهَذَا الْأَخُ وَهَذَا الزَّوْجُ وَهَذَا الْإِبْنُ فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ.

(1) استفتدت في إعداد هذه الخطبة من كتاب «صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ» لِأُمِّ أَسَامَةَ بِنْتِ عَلِيٍّ الْعَبَّاسِيَّةِ

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ».

فَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ صَالِحَةً

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِغَيْبِ مَا حَفِظَ اللَّهُ﴾
(النِّسَاءُ: 34).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا، الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ مُخْلِصَةً وَصَادِقَةً مَعَ اللَّهِ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الْأَعْرَافُ: 29).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يُنكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3461).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7447)، وَمُسْلِمٌ (1679).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1467).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1)، وَمُسْلِمٌ (1907).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَأَنْ تَسْتَحْضِرَ ذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ وَكُلِّ نَازِلَةٍ حَتَّى الشُّوْكَةُ تُصِيبُهَا.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ (التَّوْبَةِ: ٥١).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (النَّجْمِ: ١١).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدْرِ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ».

وَالْعَجْزُ وَالْكَيْسُ - أَيُّهَا النَّاسُ - ضِدَّانِ؛ فَشَاطُ النَّشِيطِ وَكَسَلُ الْكَسُولِ وَعَجْزُهُ كُلُّ ذَلِكَ بِقَدْرِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْعَاجِزَ قَدْ قَدَّرَ عَجْزَهُ وَالْكَيْسَ قَدْ قَدَّرَ كَيْسَهُ»^(٢).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ تَالِيَةً لِكِتَابِ اللَّهِ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَذْكُرْ مَا يَتْلُو فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

وَالْحِكْمَةَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا ﴾ (الْأَنْزِلَاتِ: 34).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ حَرِيصَةً عَلَى طَلَبِ

الْعِلْمِ النَّافِعِ.

(١) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2655).

(٢) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (205/16).

(٣) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7529)، وَمُسْلِمٌ (815).

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١) ﴿الْمُحْتَسِلَاتُ : (١١)﴾ .

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤) ﴿طَلَبَاتُ : (١١٤)﴾ .

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح»^(١) : «قوله: ﴿زِدْنِي عِلْمًا﴾ . واضح الدلالة في فضل العلم؛ لأن الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الأزيد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقهاء» .

ومن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - أن تكون محافظة على صلاتها .

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (١) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١١) ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١) ﴿الْمُؤْمِنَاتُ : (9-11)﴾ .

ومن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - أن تكون محافظة على أداء زكاة مالها .

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﴿الْأَجْرَاءُ : (33)﴾ .

ومن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - المحافظة على الأذكار .

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالذَّاكِرَاتُ أَلْفٌ كَثِيرٌ وَالذَّاكِرَاتُ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٥) ﴿الْأَجْرَاءُ : (35)﴾ .

ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان، فقال: «سيروا هذا جمدان، سبق المقردون». قالوا: وما المقردون؟ يا رسول الله، قال: «الذَّاكِرُونَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ» .

(1) «فتح الباري» (1/187) .

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِكْرَامُ الضَّيْفِ .

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» .

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَضْمُ» أَوْ «يَضِيفُ هَذَا؟»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَاذْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتٌ صِيبَانِي. فَقَالَ: هَيْبِي طَعَامَكَ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ وَنَوْمِي صِيبَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عِشَاءً. فَهَيَّاتِ طَعَامَهَا وَأَصْبِحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوِّمْتِ صِيبَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصَلِّحُ سِرَاجَهَا فَطَافَاتُهَا، فَجَعَلَ يُرِيَانَهُ أَنَّهَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيئِنَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «صَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ» أَوْ «عَجَبًا فَعَالِكُمَا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَاؤْتِرَكَ هُمْ الْمَقْتُولُونَ ﴾ (الْحَجَرَةُ: 9) .

أَيُّهَا النَّاسُ لَعَلَّكُمْ مُحِبُّونَ أَنْ تَعْرِفُوا مِنَ الصَّحَابِيِّ وَمِنَ الصَّحَابِيَّةِ الَّذِينَ أَعْجَبَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مِنْ فِعَالِهِمَا فَالصَّحَابِيُّ هُوَ أَبُو طَلْحَةَ وَالصَّحَابِيَّةُ هِيَ أُمُّ سَلِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - طَاعَتُهَا لِرَوْجِهَا .

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَالْصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

(النِّسَاءُ: 34) .

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6136)، وَمُسْلِمٌ (47) .

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3798)، وَمُسْلِمٌ (2054) .

قال الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: « قَتِنْتُ ❖ ، يَعْنِي: مُطِيعَاتُ اللهِ وَلَا زُوجِهِنَّ »⁽¹⁾.

وأَخْرَجَ ابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيحِ الجامعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ حَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) «تفسيرُ الطَّبْرِيِّ» (6/691).

(2) «صَحِيحُ» أَخْرَجَهُ ابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ (4163)، وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صَحِيحِ الجامعِ» (660).

الخطبة الثانية - من صفات المرأة المسلمة :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا زَالَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ «صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْحَدِيثُ عَنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ ذُو شُجُونٍ؛ لِأَنَّهَا قَلْبُ الْأُسْرَةِ تَصْلُحُ الْأُسْرَةَ بِصَلَاحِهَا وَيَفْسَدُهَا تَفْسِيدًا.

فَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حُسْنُ الْخُلُقِ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بَسْنَدِ صَحِيحِ صَحَّحِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِفْظُ لِسَانِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِي الْآخِرِينَ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢) (الْمُحْرَّمَاتُ: 12).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِفْظُ لِسَانِهَا وَأَنْ لَا تَكُونَ لِعَانَةً وَلَا شَتَامَةً.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/250، 472)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (1232).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (10)، وَمُسْلِمٌ (40).

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتُكْفِرْنَ الْعَشِيرَ»

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ مَعْلَمَةً وَاعِظَةً.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) (البَّوَّتِيَّة: ٦١).

وفي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الإرواء»⁽³⁾ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مُرْنِ أَزْوَاجِكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ فَإِنِّي اسْتَحْيَيْتُهُمْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُهُ».

وَمَعْنَى قَوْلِهَا «يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ» أَي يَغْسِلُوا عَنْهُمْ أَثَرَ الْبَوْلِ وَالغَائِطِ.

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - السُّؤَالُ عَنِ أُمُورِ دِينِهَا وَأَنْ لَا تَشْغَلَ نَفْسَهَا بِالسُّؤَالِ عَنِ الْمُؤَصَّاتِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عَذَّبَ».

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (304)، وَمُسْلِمٌ (80).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2598).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (19)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (42).

(4) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (103)، وَمُسْلِمٌ (2876).

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَوْ لَيْسَ يَقُولُ اللهُ - تَعَالَى - : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ؟
قالت: فقال: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ».

فدَلَّ الْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ الْحَافِظُ: «مَا كَانَ عِنْدَ عَائِشَةَ مِنَ الْحَرِصِ عَلَى تَفْهَمِ مَعَانِي الْحَدِيثِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتَضَجَّرُ مِنَ الْمُرَاجَعَةِ فِي الْعِلْمِ».

بَلْ إِنَّ نِسَاءَ الصَّحَابَةِ كُنَّ يَسْأَلْنَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ دَقَائِقِ الْأُمُورِ فَضْلًا عَنْ جَلِيلِهَا.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله! إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي ﷺ: «إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ». فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي: وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، تَرَبَّتْ يَمِينُكَ، فِيمَ يُسْهِمُهَا وَلَدَهَا».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُرْعَةُ الْاسْتِجَابَةِ لِأَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: يَرَحِمُ اللهُ نِسَاءَ الْمَاهِجِرَاتِ الْأَوَّلِ، لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُوهِهِنَّ﴾ . شَقَقْنَ مَرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا.

قال الحافظ رحمه الله: «قولها فاختمرن، أي: غطين وجوههن»⁽³⁾.

قال الشنقيطي رحمه الله: «هذا الحديث الصحيح صريح في أن النساء الصحابيَّات المذكورات فيه فهمن أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُوهِهِنَّ﴾ . يقتضي

(1) رواه البخاري (130)، ومسلم (313).

(2) رواه البخاري (4758)، (4759).

(3) «الفتح» (490/8).

سَتْرٌ وَجُوهِهِنَّ وَأَتَّهْنَ شَقَقْنَ أَرْهِنَّ، فَاخْتَمَرْنَ، أَي: سَتَرْنَ وَجُوهُهِنَّ بِهَا امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾. المقتضى سَتْرٌ وَجُوهِهِنَّ⁽¹⁾.

وأخرج ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيره» بسندٍ حسنٍ لِغَيْرِهِ من حديثِ صَفِيَّةَ بنتِ شَيْبَةَ قالت: بينما نحنُ عندَ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: وَذَكَرَتْ قُرَيْشٌ وَفَضَلَهُنَّ، فقالت: إِنَّ لِنِسَاءِ قُرَيْشٍ لَفَضْلًا، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ من نِسَاءِ الْأَنْصَارِ أَشَدَّ تَصَدِيقًا بكتابِ اللَّهِ، وَلَا إِيمَانًا بِالتَّنْزِيلِ لَقَدْ أَنْزَلْتُ سُورَةَ النُّورِ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾. انْقَلَبَ رِجَالُهُنَّ إِلَيْهِنَّ يَتْلُونَ عَلَيْهِنَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِنَّ فِيهَا، وَيَتْلُو الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَتِهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ، وَعَلَى كُلِّ ذِي قَرَابَتِهِ مَا مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا قَامَتْ إِلَى مِرْطَاحِهَا الْمَرْحَلِ فَاعْتَجَزَتْ بِهِ تَصَدِيقًا وَإِيمَانًا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابِهِ فَأَصْبَحْنَ يُصَلِّينَ وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ الصُّبْحَ مَعْتَجِرَاتٍ كَأَنَّ عَلَى رُؤُسِهِنَّ الْغُرَبَانَ⁽²⁾.

ومعنى «معتجرات» - أيها الناس - أي مُخْتَمِرَاتٌ كما تقدّم في «صحیح البخاري».

أيها الناس ألا ما أشدَّ سُرْعَةَ استجابةِ نِسَاءِ الصَّحَابَةِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ألا ما أشدَّ حِرْصَ الصَّحَابَةِ عَلَى تَعْلِيمِ أَهْلِهِمُ الْعِلْمَ.

دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: انْقَلَبَ رِجَالُهُنَّ إِلَيْهِنَّ يَتْلُونَ عَلَيْهِنَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِنَّ فِيهَا، وَيَتْلُو الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَتِهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ، وَعَلَى كُلِّ ذِي قَرَابَتِهِ!
رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا.

(1) «أضواء البيان» (594/6).

(2) «حسن لغیره» أخرجه ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيره» (2575/8)، وفي سنديه: مسلمٌ بنُ خالدٍ الزُّنْجِيُّ، لكنّه متابعٌ، تابعه داودُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ، ومُعَمَّرٌ، وإبراهيمُ بنُ مهاجرٍ بنحوه مُخْتَصَرًا، وأصلُ الحديثِ في البخاريّ (4759) بإفادَةِ «حجابِ المرأة» (ص 43) لِلرَّازِحِيِّ.

من آدابِ النَّوْمِ

25

الْخُطْبَةُ الْأُولَى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَّاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَأَةُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلَابُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «آدابِ النَّوْمِ».

أيها الناس النومُ آيةٌ من آياتِ الله.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ ءَايَنَهُ مَتَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ءَاتَتْ

فِي ذَلِكَ لَأَيَّاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (الزُّمَرُ : 23).

وَآيَاتُهُ - أيها الناس - هي حُجَجُهُ وبراهينه الدالَّةُ على قدرته على البعثِ والجزاء⁽¹⁾.

(1) انظر «أيسر التفاسير» للجزائري (169/4).

ومن دلائل هذه القُدرة أن جعل الله النَّومَ راحةً لكم في اللَّيْلِ أو النَّهَارِ إذ في النَّومِ حصولُ الراحةِ وذهابُ التَّعبِ، وجعل لكم النَّهارَ تَنَشُّروَنَ فِيهِ لِطَلْبِ الرِّزْقِ إنَّ في ذلكَ لدلائلَ على كمالِ قدرةِ الله ونفوذِ مَشِيئَتِهِ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ المَواعِظَ سَمَاعًا تَأْمَلُ وتُفَكِّرُ واعتبارًا⁽¹⁾.

قال القشيري رَحِمَهُ اللهُ: «غلبةُ النَّومِ لصاحبه من غيرِ اختيارٍ، وانتباهه بلا اكتسابٍ يدلُّ على موته ثم بعثه في حالٍ منامه يرى ما يسره وما يضره يدلُّ على حاله في قبره، الله أعلم كيف حاله، أمره فيما يلقاه من خيرٍ وشرٍّ»⁽²⁾.

أيها النَّاسُ إنَّ للنَّومِ آدابًا قلَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا وإنَّ أَحَدَ بَعْضِ النَّاسِ بَعْضُهُ فَقَدْ تَرَكَ كَثِيرًا مِنْهُ والمَوفِّقُ من وَفَّقَهُ اللهُ.

فمن تلك الآدابِ - أيها النَّاسُ - التَّبَكُّيرُ في النَّومِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ من حديثِ أَبِي بَرزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ النَّومَ قَبْلَ العِشَاءِ والحَدِيثَ بَعْدَهَا.

والتَّبَكُّيرُ - أيها النَّاسُ - قَدْ أَصْبَحَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ سُنَّةً مَهْجُورَةً وَخَاصَّةً بَعْدَ ظُهُورِ التَّلْفَازِ وَقَدْ عَلِمَ الجَمِيعُ أَنَّ الخَيْرَ وَالبَرَكَةَ فِي الاِتِّبَاعِ.

فها هو العِلْمُ الحَدِيثُ يُثَبِّتُ لِلجَمِيعِ أَنَّ أَفْضَلَ أَوَاقِيتِ النَّومِ مَا كَانَ بَعْدَ صَلَاةِ العِشَاءِ وَأَنَّ السَّاعَةَ مِنَ النَّومِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ تَعَادِلُ سَاعَتَيْنِ مِنْ آخِرِهِ وَلَا تُقَوِّمُ مَقَامَهَا سَاعَةٌ مِنْ نَوْمِ النَّهَارِ.

(1) انظر «التفسير الميسر» (206/7).

(2) انظر «البحر المديد» لابن عَجِيبة (512/5).

(3) زَوَاهُ البُخَارِيُّ (568) وَالفَظُّ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (647) بِنَحْوِهِ.

وما الحكمة - أيها الناس - من التَّكْبِيرِ؟ أليس كلُّ مسلمٍ له موعدٌ معَ الرَّبِّ حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مِنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأُعْفِرَ لَهُ».

أليس من العارِ - أيها الناس - أن يَسْهَرَ أَحَدُنَا عَلَى التَّلْفَازِ أَوْ نَحْوِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَنَامُ عَنْ هَذَا الْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَرَبِّهَا نَامَ أَحَدُنَا فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا فِي الْقَبْرِ كَمَا هُوَ حَالُ بَعْضِ النَّاسِ، فَكَيْفَ بِكَ - يَا عَبْدَ اللَّهِ - لَوْ نَمَتَ عَلَى نِيَّةِ الْقِيَامِ لَطَلَبَ الْمَعَاشِ فَإِذَا أَمَامَكَ مَنْكُرٌ وَنَكِيرٌ بَعْدَ أَنْ تَضَمَّ ضَمَّةً لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمَا يَضُرُّكَ لَوْ نَمَتَ عَلَى نِيَّةِ لِقَاءِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ - فَإِنَّكَ إِنْ قُمْتَ قُمْتَ عَلَى خَيْرٍ وَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى نِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَخَاتِمَةٍ حَسَنَةٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .

ففي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَلَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -».

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْوُضُوءُ حَتَّى وَلَوْ كَانَ جُنْبًا.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1145)، وَمُسْلِمٌ (758).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (1344)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (19)، (600).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (247) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (2710).

قُل: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَا إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ».

وما يضرُّك - يا عبدَ الله - أنْ يبيتَ معَكَ مَلَكٌ يَسْتَغْفِرُ لَكَ بِسَبَبِ طَهَارَتِكَ فَذَلِكَ لَكَ.

ففي «مواردِ الظَّمَانِ» لابنِ حِبَّانٍ بسندٍ حَسَنٍ لغيرِهِ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ بَاتَ طَاهِرًا، بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا».

والشُّعَارُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ مَا يَلِي بَدَنَ الْإِنْسَانِ مِنْ ثَوْبٍ وَغَيْرِهِ.
وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْوِثْرُ لِمَنْ خَشِيَ فَوَاتَهُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرُكْعَتِي الضُّحَى وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ.
وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِطْفَاءُ النَّارِ وَتَحْمِيرُ الْإِنَاءِ وَإِغْلَاقُ الْأَبْوَابِ.
ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ وَغَلِّقُوا الْأَبْوَابَ وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ وَخَرُّوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ - وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَلَوْ بَعُودٌ تُعَرِّضُهُ عَلَيْهِ».

(1) «حَسَنٌ لغيرِهِ» أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانٍ فِي «مُؤَادِرِ الظَّمَانِ» (167)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» حَسَنٌ لغيرِهِ.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1178) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (721).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5624)، وَمُسْلِمٌ (2012).

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - نَقْضُ الْفِرَاشِ وَالتَّسْمِيَةُ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ فَلْيَنْقُضْ بِهَا فِرَاشَهُ وَلْيُسَمِّ اللَّهَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ».

فهذا النَّقْضُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَكُونُ فِي أَوَّلِ النَّوْمِ لَكِنْ مَتَى نَامَ الرَّجُلُ ثُمَّ قَامَ لِحَاجَتِهِ وَأَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْقُضْهُ مَرَّةً ثَانِيَةً وَهَكَذَا.

ففي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْقُضْهُ بِصَنْفَةِ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيُقِلْ، بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَأَرْحَمَهَا، وَإِنْ أُرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيُقِلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ».

وَصَنْفَةُ الْإِزَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ شَقُّهُ أَيَّ جَانِبٍ كَانَ.

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - كِتَابَةُ الْوَصِيَّةِ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا حَقُّ أَمْرِيءِ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ بَيْتٌ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ».

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّوْمُ عَلَى الشَّقِّ الْأَيْمَنِ وَوَضْعُ الْيَدِ تَحْتَ الْحَدِّ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6320)، وَمُسْلِمٌ (2714).

(2) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3401)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2707).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2738)، وَمُسْلِمٌ (1627).

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْيَمَنِ».

وفي «صحيح البخاري»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَرَاهَةُ النَّوْمِ عَلَى الْبَطْنِ

ففي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح ابن ماجه»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي فَرَكَظَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «يَا جُنَيْدُ، إِنَّمَا هَذِهِ ضُجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ».

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ بَعْضِ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَذْكَارِ.

ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ - تَعَالَى - فِيهِ إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ». أَيُّ نِدَامَةً.

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ.

ففي «صحيح البخاري»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ قَالَ: قَالَ الشَّيْطَانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَفْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (247) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (2710).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6314).

(3) «صحيح» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (3714)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح ابن ماجه» (3001).

(4) «صحيح» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (5059)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع» (6477).

(5) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2311).

ومن آداب النوم - أيها الناس - قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين والنفث بها. ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بها على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاثاً.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «النفث هو النفخ مع ريق يسير ثم يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، يمسح بهما أي بيديه ما استطاع من جسده يبدأ برأسه ومقدم جسده ثلاث مرات»⁽²⁾.

ومن آداب النوم - أيها الناس - أن يكبر الله أربعاً وثلاثين ويمسح الله ثلاثاً وثلاثين ويمحمد الله ثلاثاً وثلاثين.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقى من أثر الرحي فأتى النبي ﷺ بسبي فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: «على مكانكما» فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال: «ألا أعلمكما خيراً مما سألتُماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعاً وثلاثين وتسبحان ثلاثاً وثلاثين وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم».

(1) زواة البخاري (5017).

(2) «شرح رياض الصالحين» (1/1676).

(3) زواة البخاري (3705)، ومسلم (2727).

ووجه الخيرية في الحديث - أَيُّهَا النَّاسُ - كما قال صاحب شرح مشكاة المصابيح إما أن يراد به أن يتعلق بالآخرة والخادمُ بالدنيا والآخرة خير وأبقى. وإما أن يراد بالنسبة إلى ما طلبته بأن يحصل لها بسبب هذه الأذكار قوة تقدر على الخدمة أكثر مما يقدر الخادم عليه⁽¹⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «مرعاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح» (263/8).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ - آدَابِ الْاسْتِيقَاطِ مِنَ النَّوْمِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «بَعْضِ آدَابِ النَّوْمِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «شَيْءٍ مِنْ آدَابِ الْاسْتِيقَاطِ».

فَمِنْ آدَابِ الْاسْتِيقَاطِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْبَدْءُ بِالسُّوَالِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا
قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُورُ فَاةً بِالسُّوَالِ.

وَمِنْ آدَابِ الْاسْتِيقَاطِ - أَيُّهَا النَّاسُ - غَسْلُ الْيَدَيْنِ قَبْلَ غَمْسِهَا فِي إِنْاءِ الْوُضُوءِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا
اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسُ يَدَهُ فِي الْإِنْاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ
بَاتَتْ يَدُهُ».

وَمِنْ آدَابِ الْاسْتِيقَاطِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْاسْتِثْنَاءُ ثَلَاثًا.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا
اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْبِرْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْتَئُ عَلَى حَيَاثِيْمِهِ».

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - ذِكْرُ اللَّهِ وَالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (245)، وَمُسْلِمٌ (255).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (278).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3295)، وَمُسْلِمٌ (238).

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَائِمٌ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ
عُقْدَةٍ «عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ» فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ
انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ. فَأَصْبَحَ نَشِيطَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ
النَّفْسِ كَسَلَانَ».

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُسْنَ الْاِتِّبَاعِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ
وَلَا مُضِلِّينَ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1142)، وَمُسْلِمٌ (776).

الأخوة في الله

26

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَاتُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلَاتُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «الأخوة في الله».

أيها الناس الأخوة في الله نعمة كبيرة ومنه عظمة من الله - سبحانه وتعالى - .

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 103).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿هُوَ الَّذِي أَبَدَكَ بِبَصَرِهِ. وَيَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ

أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الْأَنْفَالُ : 62 - 63).

وهذه الأخوة الحاصلة بين المؤمنين - أيها الناس - قائمة على الحب في الله الذي

هو أوثق عرى الإيمان.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله».

وللأخوة في الله - أيها الناس - فضائل عظيمة.

فمن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن المتحابين في الله يظلمهم الله في ظلِّ عرشه يوم القيامة.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله - سبحانه وتعالى - يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلي».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظله، وذكر منهم) ورجلان محاببا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه».

ومن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن الله - سبحانه وتعالى - أوجب محبته للمتحابين فيه.

ففي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله - سبحانه وتعالى - وحببت محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ».

(1) «حسن» أخرجه الطبراني في «الكبير» (11537)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (998).

(2) رواه مسلم (2566).

(3) رواه البخاري (660)، ومسلم (1031).

(4) «صحيح» أخرجه أحمد (233/5 - 247)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4331).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى، فأرصد الله - سبحانه وتعالى - على مدرجته (أي على طريقه) ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية قال: هل لك من نعمة تربها عليه؟ قال: لا غير أنني أحببته في الله - تعالى - قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك، كما أحببته فيه».

ومن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان. ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

وفي مسند أحمد بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله - عز وجل -».

ومن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن المتحابين في الله هم منابر من نور، يجلسون عليها يوم القيامة.

ففي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله - سبحانه وتعالى - المتحابون في جلالي هم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء».

(1) رواه مسلم (2567).

(2) رواه البخاري (16)، ومسلم (43).

(3) «حسن» أخرجه أحمد (2/298)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (6164).

(4) «صحيح» أخرجه أحمد (5/239)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4312).

وفي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث عبادة بن الصميت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَوَعَلَى - حَقَّتْ (أَي: وَجِبَتْ) مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَائِنِ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، الْمُتَحَابُّونَ فِيَّ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَغِطُّهُمْ النَّيُّونَ وَالصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْمَرْءَ يُحْشِرُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟». قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.

وفي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

قال المباركفوري رحمه الله: «يعني من أحبَّ قومًا بالإخلاص يكون في زميرتهم وإن لم يعمل عملهم لثبوت التقارب بين قلوبهم وربما تُودِّي تلك المحبة إلى موافقتهم وفيه حثُّ على محبة الصلحاء والأخيار رجاء اللحاق بهم والخلاص من النار»

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ بَعْضُ فَضَائِلِ الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ وَلِلْأُخُوَّةِ حُقُوقٌ لَا يَتَّسِعُ الْحَدِيثَ عَنْهَا مَقَامُنَا هَذَا، وَلَكِنْ نَذْكُرُ بَعْضًا مِنْهَا:

(1) «حَسَنٌ» أخرجُه أحمدُ (229/5)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4320).

(2) رواه البخاري (6388)، ومسلم (2953).

(3) رواه البخاري (5819)، ومسلم (2639).

فمن حقوق الأُخوة - أيها النَّاسُ - المُواساةُ. والمُواساةُ الحديثُ عنها ذو شُجونٍ
وُخلاصَتها أنَّها تَنْفِيسُ الأَخِ عن أخيه كُرباتِ الدنيا.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ
ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ
اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

ومن حقوق الأُخوة - أيها النَّاسُ - إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِجَابَةُ الدَّاعِي، وَبَدْلُ
النَّصِيحَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَشُهُودُ الْجَنَازَةِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ
ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ
فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهُ
فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

ومن حقوق الأُخوة - أيها النَّاسُ - التَّوَدُّدُ وَالتَّعَاطُفُ وَالتَّرَاحُمُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ من حديث النعمان بن بشرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ
ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا
اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى».

ومن حقوق الأُخوة - أيها النَّاسُ - النَّصْرَةُ فِي الْمَغِيبِ وَالمَشْهَدِ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2699).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2162).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6011)، وَمُسْلِمٌ (2586) وَاللَّفْظُ لَهُ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْذُلُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُتَهَكُّ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ، وَيُنْتَهَلُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يُحِبَّ الْأَخُ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ لَا يَمَسَّ الْأَخُ أَخَاهُ بِسُوءٍ أَوْ يَنَالَهُ مِنْهُ مَكْرُوهٌ يَكْرَهُهُ أَوْ أَدَى يَلْحَقُ بِهِ

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَخَالِقَ الْأَخُ أَخَاهُ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، فَيَبْذُلَ لَهُ الْمَعْرُوفَ، وَيَكْفَى عَنْهُ الْأَذَى وَيَلَاقِيَهُ بِوَجْهِ طَلْقٍ، يَقْبَلُ مِنْهُ إِحْسَانَهُ، وَيَعْفُو عَنْ إِسَاءَتِهِ، وَلَا يَكْلِفُهُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

(الأنعام: 199).

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4)، وَأَبُو دَاوُدَ (271/4)، وَحَسَنَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5690).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7)، وَمُسْلِمٌ (45).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2564).

وفي مسند أحمد بسند حسن حسنه الألباني في «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (5/153)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1373).

الخطبة الثانية - مُفْسِدَاتُ الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ وَشَيْءٍ مِنْ
حَقُوقِهَا» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «مُفْسِدَاتِ الْأُخُوَّةِ» وَهُنَّ كَثِيرَاتٌ وَسَأُقْتَصِرُ فِي
هَذِهِ الْعُجَالَةِ عَلَى بَعْضِهَا.

فمن مفسدات الأخوة في الله - أيها الناس - الطَّمَعُ فِي الدُّنْيَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَعَلَى - : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (طَلْحَةَ : 131).

فكم من أخوين كانا متحابين تغيرت نفوسهما بعدما تعرّضا للدنيا وتنافساً في
النيل منها ومع ازدياد التعلّق بالدنيا يندثر الإيثار وتحل الأنانية.

ومن مفسدات الأخوة - أيها الناس - التّفْرِيطُ فِي الطَّاعَةِ وَالْوُقُوعُ فِي المَعْصِيَةِ.

فقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في
«الصّحيحه»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما توادّ اثنان
في الله فيفترق بينهما إلا بذنبٍ يُحدّثُهُ أَحَدُهُمَا».

ومن مفسدات الأخوة - أيها الناس - أَنْ يَغْتَابَ الْأَخُ أَخَاهُ أَوْ يَحْقِرَهُ أَوْ يَعِيْبُهُ أَوْ
يَسْخَرَ مِنْهُ، أَوْ يَنْبِزُهُ بِلَقَبٍ سُوِّءٍ أَوْ يَنْمُّ عَنْهُ حَدِيثًا لِلْإِفْسَادِ.

(1) أخرجه أحمد (2/68)، والبخاري في «الأدب المفرد» (401)، وصححه الألباني في «الصّحيحه»

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (المحجرات: 12).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْخَرُوا قَوْمًا مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ (المحجرات: 11).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ». ومن مُفْسَدَاتِ الْأَخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَحْسَدَ الْأَخُ أَخَاهُ أَوْ يظُنَّ بِهِ سُوءًا أَوْ يَبْغِضَهُ أَوْ يَتَجَسَّسَ عَلَيْهِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (المحجرات: 12).

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّامُكُمْ وَالظَّنُّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». ومن مُفْسَدَاتِ الْأَخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَغْدِرَ الْأَخُ بِأَخِيهِ أَوْ يُحُونَهُ أَوْ يَكْذِبُهُ أَوْ يِمَاطِلُهُ فِي قِضَاءِ الدِّينِ

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (البقرة: 1).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (البقرة: 177).

(1) رواه مسلم (1218).

(2) رواه مسلم (2563).

ومن مُفسِداتِ الأخوة - أيها الناس - عَدَمُ عَفْوِ الأَخِ عن أَخِيهِ إِذَا أخطأَ وَقَبُولِ عُدْرِهِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(المائدة: 13).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلِعَفْوُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

(التوبة: 22).

وفي سُنَنِ أَبِي داوَدَ وابنِ ماجَةَ بِسَنَدٍ صحیحٍ صحَّحَهُ الألبانیُّ في «صحیح الجامع»⁽¹⁾ من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا، أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ».

ومعنى أقال: أي عفا عنه خطأ أو زلة.

اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

(1) «صحیح» رواه أبو داود (3460)، وابن ماجه (2199)، وصحَّحَهُ الألبانیُّ في «صحیح أبي داود»

(2954)، و«صحیح الجامع» (6071).

نِعْمَةُ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ

27

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّوْبَةُ: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَأُ: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامُ: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «نِعْمَةِ الْجَوَالِ».

أَيُّهَا النَّاسُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - هُوَ الَّذِي خَلَقْنَا فَأَبْدَعَ مَا خَلَقَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ فِينَا الْعَقْلَ، فَمَا أَرَوْعَ مَا أَبْدَعَ فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ فَسَوَى وَقَدَّرَ فَهَدَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَسَخَّرَ لَهُ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (الْبَقَرَةُ: 29).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾

(الْمَائِدَةُ: 13).

ومن جليلِ حُكْمِهِ وعَظِيمِ مَنَّتِهِ أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
(العنكبوت: 5).

وَرَكَّبَ فِيهِ مِنْ وَسَائِلِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ عَقْلِ وَسَمْعٍ وَبَصَرٍ، وَغَرَسَ فِيهِ جَبَلَةَ التَّرَقِّيِّ
وَفَتَحَ لَهُ عَوَالِمَ الْمُحَدَّثَاتِ وَالْمُخْتَرَعَاتِ، فَتَطَوَّرَ الْإِنْسَانُ عَبْرَ الزَّمَنِ ... وَأَصْبَحَ
يَتَحَكَّمُ فِي أَقْطَارِ الْفَضَاءِ ... وَأَغْوَارِ الْأَرْضِ ... وَأَعْمَاقِ الْبَحَارِ ... وَفَتَحَ بَصِيرَتَهُ كُلَّ
يَوْمٍ عَنْ مُخْتَرَعٍ جَدِيدٍ ... فَفَقَرَ فَوْقَ الْمَسَافَاتِ ... وَتَحَطَّى الْأُوطَانَ وَالْقَارَاتِ وَنَصَبَ
أَجْهَزَةَ الْإِتِّصَالِ ... فَجَمَعَ أَهْلَ الْأَرْضِ ... حَتَّى صَارَ مَنْ بَأَقْصَاهَا يَتَحَدَّثُ مَعَ مَنْ
بَأَدْنَاهَا ... فِي كُلِّ جَيْبٍ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ مُتَحَفِّزَةٌ لِلْإِجَابَةِ عَنْ كُلِّ طَلَبٍ ... لَا فَرْقَ
عِنْدَهَا بَيْنَ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ... لَا فَرْقَ عِنْدَهَا بَيْنَ الْمُسْتَقَرِّ فِي بَيْتِهِ ... وَالسَّائِرِ فِي
الطَّرِيقِ ... لَا فَرْقَ عِنْدَهَا بَيْنَ الرَّكَّابِ جَوَّ الْفَضَاءِ ... وَالغَائِصِ فِي الْأَعْمَاقِ.

هَذِهِ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - أَظْهَرَهَا لِلْإِنْسَانِ بِفَضْلِهِ، وَعَرَفَهُ لَهَا بِجُودِهِ
وَكَرَمِهِ ... إِنَّهُ الْهَاتِفُ الْجَوَّالُ ... الَّذِي شَغَلَ دُنْيَا النَّاسِ وَمَلَأَ حَيَاتِهِمْ ... اِقْتِنَاهُ الْغَنِيِّ
وَالْفَقِيرِ ... وَاسْتَعْمَلَهُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ.

هُوَ مُنْحَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ مِنْهُ ... لِإِنْسَانِ هَذَا الزَّمَانِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿إِنِ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: 143).

وَهُوَ كَذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ وَالَّذِي وَهَبْنَا كُلَّ فَضْلٍ وَخَيْرٍ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (التكوير: 53).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَإِنْ نَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا نُحْصِئُوهَا﴾ (التكوير: 18).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ

عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ، ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ (القصص: 20).

فواجِبُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - عَلَى نِعْمِهِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (الْبَلَدِيُّ: 7).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (الْبَلَدِيُّ: 7).

وَمِنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ نَسْتَخْدِمَهَا فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ.

هذا الهاتِفُ سَهَّلَ لِلإِنْسَانِ الْكَثِيرِ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُ وَأَعَانَهُ فِي عِبَادَتِهِ وَتَقَرُّبِهِ مِنْ مَوْلَاهُ، فَكَمْ مِنْ صَفْقَةٍ تِجَارِيَّةٍ أُبْرِمَتْ بِالْهَاتِفِ وَكَمْ مِنْ سَفَرٍ أُلْغِيَ لِعَدَمِ جَدْوَاهُ بِوِاسِطَةِ الْهَاتِفِ، وَكَمْ أَسْعَدَ مِنْ آبَاءٍ وَأُمَّهَاتٍ حِينَ وَصَلَهُمْ بِأَبْنَائِهِمْ رَغْمَ طُولِ الْمَسَافَاتِ ... وَهُوَ أَدَاةُ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَهُوَ أَدَاةُ إِسْعَافٍ فِي الْحَوَادِثِ. وَأَدَاةُ نَجْدَةِ لِدْفَعِ الْكَوَارِثِ⁽¹⁾.

وَمِنْ كُفْرَانِ هَذِهِ النِّعْمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِخْدَامُهَا فِيمَا يُغْضِبُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - مِنْ الْمُرَاسَلَاتِ وَالْمُعَاكَسَاتِ، وَالتَّنْسِيقِ بَيْنَ عِصَابَاتِ الإِجْرَامِ، وَالتَّهْبِ وَالسَّرِقَةِ وَالغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالصُّورِ الْمُحَرَّمَةِ وَأَذِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَفِي حَالِ صَلَاتِهِمْ بِتِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَالرَّنَاتِ الْغَنَائِيَّةِ الْمُحَرَّمَةِ فَهَذَا مِنْ كُفْرَانِ النِّعْمَةِ، فَضْلاً أَنْ فِيهَا أذِيَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَالتَّشْوِيشَ عَلَيْهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ، وَسَلْباً لِحُشُوعِهِمْ وَإِهَانَةً لِيُوتُ اللَّهَ وَعَدَمَ الْمُبَالَغَةَ بِتَعْظِيمِهَا وَتَكْرِيمِهَا وَتَشْرِيفِهَا.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبَرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الْحَجَّ: ٢٣)

(الْحَجَّ: 32).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ﴾

(الْحَجَّ: 30).

(1) انظُرْ «الجَوَالُ آفَاتُ وَأَدَابُ» لِعَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَدَّبِ (ص 1).

أَيُّهَا النَّاسُ أُنَبِّئُكُمْ مِنْ فَوْقِ هَذَا الْمِنْبَرِ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَطَّ الْعَذْرُ لِمَنْ نَسِيَ إِغْلَاقَ هَاتِفِهِ أَوْ وَضَعَهُ عَلَى الصَّامِتِ دَاخِلَ بَيْتِ اللَّهِ فَإِنَّ النَّاسَ عُرْضَةٌ لِلخَطَا وَالنَّسْيَانِ فَلَا يُشَدِّدُ فِي التَّكْبِيرِ عَلَيْهِ وَالنَّظَرَ شَرًّا إِلَيْهِ وَلَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ حِينَمَا لَطَفَ بِالْأَعْرَابِيِّ الَّذِي بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَمَرَ أَنْ يُهْرَاقَ سَجْلٌ أَوْ ذَنْوَبٌ مِنْ مَاءٍ عَلَى مَكَانِ بَوْلِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ ذَنْوَبًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مَعَسِّرِينَ»⁽²⁾.

وَمِنْ كُفْرَانِ نِعْمَةِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِعْمَالُهُ لِلْمَعَاكِسَاتِ فَصَارَ دَمَارًا عَلَى صَاحِبِهِ فَكَمْ خَرَّبَ مِنْ أَسْرٍ وَكَمْ فَضَحَ مِنْ بَيُوتٍ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ (النُّور: 19).

وَمِنْ كُفْرَانِ نِعْمَةِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَبَادُلُ الصُّوَرِ الْمَحْرَمَاتِ، وَتَصْوِيرِ الْعَيْرِ فَكَمْ مِنْ قُلُوبٍ قَدْ فَسَدَتْ وَكَمْ مِنْ بَيْتٍ قَدْ دُمِّرَتْ فَالْوَيْلُ لِهَؤُلَاءِ الْمَرْوُجِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (الْحَجَّال: 25).

وَمِنْ كُفْرَانِ نِعْمَةِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَذِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ بِاللِّسَانِ أَوْ الْمُرَاسَلَةِ أَوْ الْإِتِّصَالِ فِي سَاعَاتٍ مُتَأَخِّرَةٍ أَوْ إِزْعَاجِهِمْ بِأُسْلُوبٍ أَوْ بَاخَرٍ أَوْ بِإِرْسَالِ رِسَالَةٍ فِيهَا غَزْلٌ أَوْ كَلَامٌ قَبِيحٌ وَقَدْ يُرْفَقُهَا بِصُورٍ خَلِيعَةٍ أَوْ صُورَةٍ لِقَلْبٍ مَرْسُومٍ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2201).

(2) انظُرْ «الْجَوَالِ آدَابُ وَتَنْبِيهَاتٌ» لِلْحَمْدِ (ص 1-2).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (الْأَنْزَابُ : 58).

ومن كُفْرانِ نِعْمَةِ الهاتفِ المحمول - أَيُّهَا النَّاسُ - استخدامُهُ وقتَ قِيَادَةِ السَّيَّاراتِ قُرْبًا يَأْخُذُهُ الْحَدِيثُ وَالانْسِجَامُ مَعَ الْمُتَحَدِّثِ مَعَهُ فَلَا يَنْتَبِهُ إِلَى مَا يَعْرِضُ لَهُ أَثْنَاءَ سَيْرِهِ فِي طَرِيقِهِ وَقَدْ لَا يَنْتَبِهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَقَعَ الْفَأْسُ عَلَى الرَّأْسِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النِّسَاءُ : 29).

ومن كُفْرانِ نِعْمَةِ الهاتفِ المحمول - أَيُّهَا النَّاسُ - استخدامُهُ لِسَمَاعِ الْأَغَانِي مَعَ وَضُوحِ حَرَمَتِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ : «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بغيرِ عِلْمٍ ﴾ . فِي الْغِنَاءِ وَالْمَزَامِيرِ»⁽¹⁾.

وَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ».

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى ذَلِكَ؟

قَالَ : «إِذَا ظَهَرَتِ الْقِيَانُ وَالْمَعَارِضُ وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ».

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ اسْتِعْمَالُ نِعْمَاتِ مُوسِيقِيَّةٍ فِي الْجَوَالِ.

ومن كُفْرانِ نِعْمَةِ الهاتفِ المحمول - أَيُّهَا النَّاسُ - تَصْوِيرُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ مِنْ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَّوَانٍ أَوْ طَيْرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَالْأَدَلَّةُ قَدْ جَاءَتْ تَمْنَعُ التَّصْوِيرَ عُمُومًا.

(1) «تفسير ابن كثير» (3/344).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (2212)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2185).

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتَعَذَّبُ فِي جَهَنَّمَ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ».

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ الْأَحَادِيثُ وَاضِحَةٌ وَضَوْحُ الشَّمْسِ وَبَعْضُ النَّاسِ يُؤَوَّلُ الْأَحَادِيثَ وَيَحْمِلُهَا عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِهَا وَيَقُولُ ذَلِكَ كَذَا وَذَلِكَ كَذَا.

وَقَدْ سَأَلْتُ اللَّجْنَةَ الدَّائِمَةَ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ السُّؤَالَ الْآتِي: هَلِ التَّصْوِيرُ الَّذِي تُسْتَعْدَمُ فِيهِ كَامِيرَا الْفِيدْيُو يَقَعُ حُكْمُهُ تَحْتَ التَّصْوِيرِ الْفُوتُغْرَافِيِّ؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ حُكْمُ التَّصْوِيرِ بِالْفِيدْيُو حُكْمُ التَّصْوِيرِ الْفُوتُغْرَافِيِّ فِي الْمَنْعِ وَالتَّحْرِيمِ لِعُمُومِ الْأَدِلَّةِ⁽³⁾.

وَتَشَدُّ الْحُرْمَةُ إِذَا قَامَ الرَّجُلُ بِتَّصْوِيرِ مَحَارِمِهِ أَوْ زَوْجَتِهِ فِي هَذِهِ الْهَوَاتِفِ وَهَذَا خَطَأٌ وَخَطَرٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّ الْهَاتِفَ قَدْ يَتَعَرَّضُ لِلضِّيَاعِ وَقَدْ يَنْسَاهُ فِي بَيْتٍ مَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا عَهْدَ.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ!

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2225)، وَمُسْلِمٌ (2110).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5951)، وَمُسْلِمٌ (2108).

(3) فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ تَحْتَ رَقْمِ (16205).

الخطبة الثانية - آداب استعمال الجوال :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «نِعْمَةِ الْجَوَالِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْجَوَالِ».

فَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّأَكُّدُ مِنَ الرَّقْمِ الْمَطْلُوبِ حَتَّى لَا يَطْلُبَ رَقْمًا خَاطِئًا، فَلَا يُزْعَجُ مَرِيضًا .. وَلَا يُوقَفُ نَائِمًا وَلَا يَفَاجِيءُ آمِنًا. وَكَذَلِكَ التَّأَكُّدُ مِنْ صِحَّةِ الرَّقْمِ حَتَّى لَا يُرْسَلَ رِسَالَةٌ لِمَنْ لَا يَقْصُدُ إِرسَالَهَا إِلَيْهِ فَيَقَعُ فِي الْحَرَجِ.

فَإِذَا كَانَ الرَّقْمُ خَاطِئًا فَلَا يَعْجَلُ فِي إِغْلَاقِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ لِئَلَّا يُسَاءَ الظَّنُّ وَإِنَّمَا يَعْتَذِرُ اعْتِدَارًا بِالْغَا وَيَعِدُّ الْمَتَّصِلَ بِهِ أَنَّ ذَلِكَ لَنْ يَتَكَرَّرَ مِنْهُ. وَيَكُونُ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ طَيِّبَاتٍ وَأُسْلُوبٍ حَسَنِ، وَيُرْسَلُ رِسَالَةٌ لِمَنْ وَقَعَتْ الرِّسَالَةُ فِي رَقْمِهِ بِطَرِيقَةِ الْخَطَا. فَإِذَا بَدَأَ بِالْكَلامِ جَعَلَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ يَنْطِقُ بِهَا السَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَهِيَ تَحِيَّةُ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي أَوَّلِ لِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ﴾ (الْأَنْعَامُ: 44). وَهِيَ تَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ لِأَهْلِ النَّعِيمِ

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ أَنْقَرُوا رُحْمَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الْمُحَمَّدُ: 73). وَهِيَ تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (دَعْوَانَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿١﴾ (الْمُؤْتَفِكِينَ: 9-10).

فَأَوَّلُ كَلَامِ الْمُسْلِمِ مَعَ الْمُسْلِمِ «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ» وَالْبَعْضُ اعْتَادُوا أَنْ تَكُونَ التَّحِيَّةُ بَيْنَهُمْ كَلِمَةً «أَلُو» وَأَصْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ إِنْجَلِيزِيَّةٌ وَمَعْنَاهَا «مَرَحَبًا»، وَإِذَا خَتَمَ كَلَامَهُ قَالَ «مَعَ السَّلَامَةِ» أَوْ «بَابِي بَابِي» وَهَذَا خَطَأٌ وَفِي شَرْعِنَا وَأَدْبِنَا الَّذِي أَدَبَنَا اللَّهُ بِهِ غِنَى عَنِ ذَلِكَ.

وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿أَتَسْتَبِدُّونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾

(الْبَقَرَةُ: 61).

وَالَّذِي يَبْدَأُ السَّلَامَ الْمُتَّصِلَ لِأَنَّهُ كَالْقَارِعِ لِلْبَابِ فَيُجِيبُ الْمُتَّصِلَ بِهِ بِمِثْلِهِ وَأَحْسَنَ لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبِخِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾

(النِّسَاءُ: 86).

ثُمَّ يُعَرِّفُ نَفْسَهُ بِذِكْرِ اسْمِهِ أَوْ لِقَبِهِ لِلْمُتَّصِلِ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَظَلَّ الْمُتَّصِلُ عَلَيْهِ فِي حَيْرَةٍ مَعَ مَنْ يَتَكَلَّمُ وَمَنْ يُرِيدُ.

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اخْتِصَارُ الْكَلَامِ بِمَا يَكْفِي الْحَاجَةَ دُونَ إِسْرَافٍ وَلَا تَبْذِيرٍ فِي الْمَالِ وَالْوَقْتِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفِرَاقُ».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرَزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6412).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2417)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (1933).

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رَجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقِّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فَإِذَا وَجَدَ امْرَأَةً عَلَى الْحَطِّ تَأَدَّبَ مَعَهَا وَاخْتَصَرَ الْكَلَامَ وَعَلَيْهَا أَنْ تَكَلِّمَهُ بِحِشْمَةٍ وَوَقَارٍ دُونَ الْخُرُوجِ عَنِ مَوْضِعِ الْمَكَالِمَةِ

وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - بقوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (الأحزاب: 32).

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ تَسْجِيلِ الْمَكَالِمَاتِ أَوْ وَضْعِ الْجَوَالِ عَلَى مَكْبَرِ الصَّوْتِ دُونَ عِلْمِ الْآخِرِ لِأَنَّ ذَلِكَ ضَرْبٌ مِنَ الْخِيَانَةِ أَوْ نَوْعٌ مِنَ النَّمِيمَةِ.

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْجَوَالِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ التَّمَادِي فِي الْإِتِّصَالِ إِذَا لَمْ يَرُدَّ عَلَيْكَ فَبَعْضُ النَّاسِ إِذَا لَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ كَرَّرَ الْإِتِّصَالَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ نَمَا يُسَبِّبُ الْإِزْعَاجَ وَالْإِيذَاءَ لِلآخَرِينَ.

كَمَا أَنَّ تَجَاهُلَ الْمُتَّصِلِ لِلْمُتَّصِلِ بِهِ وَيَتَكَرَّرُ ذَلِكَ مِنْهُ فِي أَوْقَاتٍ مُتَفَرِّقَاتٍ دُونَ دَاعٍ يَدْعُو إِلَيْهِ دَلِيلٌ عَلَى سُوءِ الْأَخْلَاقِ وَانْحِطَاطِهَا بَلْ إِنَّهُ لَيَبْنِي جُسُورًا مِنَ الْوَحْشَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَقِيَامٍ لِسُوقِ الْعِدَاوَةِ.

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ أَدَاءُ صِدْقٍ فَلَا يَصِحُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى مُسْلِمٍ فَإِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ مِنْ مَكَانٍ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَكْذِبَ أَوْ يُدَلِّسَ عَلَى مُتَحَدِّثِهِ بِأَنَّهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2950).

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - لُزُومُ التَّوَضُّعِ .
وَمِنْ التَّوَضُّعِ حُسْنُ الْمُخَاطَبَةِ مَعَ الْمُتَّصِلِ عَلَيْهِ وَلِيْنُ الْكَلَامِ ، وَسَهْوَلَةُ الْأَلْفَافِ
وَإِخْتِيَارُ الْكَلِمَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْبُعْدُ عَنِ الْغِلْظَةِ وَالْقَسْوَةِ فِي الْكَلَامِ .

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ لَا يَتَّصِلَ فِي أَوْقَاتِ
الصَّلَاةِ وَأَوْقَاتِ الْأَكْلِ وَأَوْقَاتِ النَّوْمِ وَأَوْقَاتِ الْعَمَلِ أَوْ الْاجْتِمَاعِ أَوْ الدُّرُوسِ
كَمَا عَلَى الْمُتَّصِلِ أَنْ لَا يُسِيءَ الظَّنَّ إِذَا لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَأَنْ يَلْتَمِسَ لَهُ الْعُذْرَ فِي
عَدَمِ الرَّدِّ .

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَجَنِّبْنَا اتِّبَاعَهُ وَاجْعَلْنَا
مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ .

أُمُّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذات: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَطَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأجتناب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ صَحَابِيَّةٍ جَلِيلَةٍ وَمُرَبِّيَّةٍ فَاضِلَةٍ إِتَّهَا أُمُّ سُلَيْمٍ وَأَسْمُهَا الْغَمِيضَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ حَرَامٍ، أُخْتُ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ حَرَامِ بْنِ مِلْحَانَ، وَأُمُّ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، تَزَوَّجَتْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِمَالِكِ بْنِ النَّضْرِ النُّجَارِيِّ، وَوَلَدَتْ مِنْهُ أَنْسًا فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ كَانَتْ مِنَ السَّابِقِينَ.

فقد أخرج الطيالسي والسياق له ومن طريق البيهقي، وابن حبان وأحمد بسندٍ صحيح صححه الألباني في «الجنائز»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال مالك أبو أنس لامرأته أم سليم إن هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - يحرم الحمر فانطلق حتى أتى الشام فهلك هناك فجاء أبو طلحة، فخطب أم سليم، فكلّمها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحة! ما مثلك يرُدُّ، ولكنك امرؤ كافر، وأنا مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك!

فقال: ما ذاك دهرِكِ قالت: وما دهرِي؟ قال: الصّفراءُ والبيضاءُ! - أي الذهبُ والفضةُ - قالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء أريد منك الإسلام، (فإن تُسلمِ فذاك مهري، ولا أسألك غيرهُ)، قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، فلما رآه قال: «جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه»، فأخبر رسول الله ﷺ بما قالت أم سليم، فتزوجها على ذلك.

قال ثابت (وهو البناني أحد رُواة الحديث عن أنس): فما بلغنا أن مهراً كان أعظم منه أمّها رضيّت الإسلام مهراً. وفضائل أم سليم - أيها الناس - ما لا يحتملها مقامنا هذا. فمن فضائلها - أيها الناس - أن الرسول بشّرَها بالجنة.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة ثم سمعتُ خشخشة أمامي فإذا بلال».

(1) (صحيح) أخرجه الطيالسي (2056) واللفظ له، من طريق البيهقي (4/65-66)، وابن حبان (725)، وأحمد (3/105-106)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص 38).

(2) رواه مسلم (2457).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ - أَيضًا - من حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْعُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ».

ومن فضائلِ أُمِّ سُلَيْمٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَجِبَ مِنْ صَنِيعِهَا بِضَيْفِهَا.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلْ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلْ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَا كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاذْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوْتُ صَبْيَانِي. قَالَ: فَعَلَّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا جَاءَ ضَيْفُنَا فَأُطْفِئِ السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلْ فُقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَفَعَدُوا وَأَكَلُوا الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ».

وهذا الرَّجُلُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ أَبُو طَلْحَةَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ.

ومن فضائلِ أُمِّ سُلَيْمٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ لَمَّا سَكَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ أَهَدَتْ لَهُ ابْنَهَا أَنْسًا لِيَخْدُمَهُ.

(1) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2456).

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (4889)، وَمُسْلِمٌ (2054).

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ، فَأَتَتْهُ بَتْمَرٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: «أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وَعَائِهِ، فَإِنِّي صَائِمٌ»، ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ فَصَلَّى غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لِأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي حُوبِيصَةً قَالَ: «مَا هِيَ؟» قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلَا دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا وَبَارِكْ لَهُ»، فَإِنِّي لَمِنَ أَكْثَرِ الْأَنْصَارِ مَالًا.

فَانظُرُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - الْحَصِيفَةَ الْعَاقِلَةَ أُمِّ سُلَيْمٍ أَتَتْ بِوَلَدِهَا لِيَخْدُمَ رَسُولَ اللَّهِ فَخَدَمَهُ لِعَشْرِ سِنِينَ، وَتَخَرَّجَ عَلَى يَدَيْهِ، فَمَاذَا تَظُنُّونَ أَنْ يَكُونَ

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح مختصر الشرائل»⁽²⁾ عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أَفٍ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتَهُ لَمْ صَنَعْتَهُ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتَهُ لَمْ تَرَكْتَهُ، وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا وَلَا مَسَسْتُ خَزًّا وَلَا حَرِيرًا وَلَا شَيْئًا كَانَ أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا شَمَمْتُ مِسْكًَا قَطُّ وَلَا عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَمَنْ كَانَ هَذَا النَّبِيُّ ﷺ أَسْتَاذَهُ فَكَيْفَ سَيَكُونُ؟!

ومن فضائل أُمِّ سُلَيْمٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِرْصُهَا عَلَى الْعِلْمِ وَلَمْ يَمْنَعَهَا الْحَيَاءُ مِنْ سُؤَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى فِي أَدَقِّ الْمَسَائِلِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ من حديث أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ امْرَأَةً أَبِي طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ مِنْ

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1982)، وَمُسْلِمٌ (2481).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2015)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ مُخْتَصَرِ الشَّرَائِلِ الْمَحْمَدِيَّةِ» (296).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (130)، وَمُسْلِمٌ (313).

الحقُّ هل على المرأة من غُسلٍ إذا هي احتَلَمَتْ؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ».

ومن فضائلِ أمِّ سُلَيْمٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا شَهِدَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حُنَيْنًا وَأُحُدًا. ففي «صحيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ من حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا فَرَأَاهَا أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا هَذَا الْخِنْجَرُ؟» قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بَطْنَهُ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ يَضْحَكُ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقْتُلُ مَنْ بَعَدَنَا مِنَ الطُّلُقَاءِ امْتَهَرُوا بِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1809).

الخطبة الثانية - صلابة أم سليم في دينها وصبرها⁽¹⁾ :
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «شيء من مناقب أم سليم»
والآن حديثي معكم عن «صلابة أم سليم في دينها وصبرها».

فمن صلابتها في دينها ما جاء في «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث أم عطية
رضي الله عنها قالت: «بايعنا النبي ﷺ فقرأ علينا: ﴿أَنْ لَا يُشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾. ومهانا عن
النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت: فلاتة أسعدتني وأنا أريد أن أجزيها فلم يقل
شيئا، فذهبت ثم رجعت فما وقت امرأة إلا أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة
معاذ أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ».

والشاهد - أيها الناس - أنها التزمت ووفت لما بايعت عليه رسول الله ﷺ.

ومن صبرها، ما جاء في «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: مات
ابن أبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه، حتى أكون
أنا أحدثه.

فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن
يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة (أي باعتبار ما فهم هو) ولكنها كانت
تقصد: هدأت نفسه واستراح في الجنة إن شاء الله.

(1) استفتدت في إعداد هذه الخطبة من كتاب «جنى اللباب فيما ورد في الصبر والاحتساب» للزوجة
الوافية أم الفضل أمة الرحمن بنت علي الفقيه جزاها الله خيرا.

(2) رواه البخاري (7215).

(3) رواه البخاري (1301)، ومسلم (2144/107) واللفظ له، وما بين المعكوفين للبخاري.

قال: فجاء فقرَّبت إليه عشاءً فأكل وشرب، فقال: ثمَّ تصنَّعت (أي تزَيَّنت) له أحسنَ ما كانت تصنعُ قبلَ ذلك، فوقَّع بها (أي: جامعها)، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرايت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك! قال: فعضب. وقال تركتني حتى تلطخت ثمَّ أخبرتني بابني! فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما».

قال: فحملت، قال: فكان رسول الله ﷺ في سفرٍ وهي معه. وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفرٍ لا يطرفها طروقًا (أي: لا يدخلها ليلًا) فدنوا من المدينة فضرَّ بها المخاض (أي: طلق الولادة)، فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ.

قال: يقول أبو طلحة: إنك تعلم - يا رب - أنه يعجيبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتسبت بما ترى.

قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة، ما أجد الذي كنت أجد؛ فانطلق. فانطلقنا. قال: وضرَّ بها المخاض حينَ قدما، فولدت غلامًا، فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحدٌ حتى تغدو به إلى رسول الله ﷺ.

قال: فصادفته ومعه ميسم، فلما رآني قال: «لعل أم سليم ولدت؟». قلت: نعم، فوضع الميسم، قال: وجئت به فوضعتُه في حجره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة، فلاكها في فيه حتى ذابت ثمَّ قدفها في في الصبي، فجعل الصبي يتلمظها. قال: فقال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى حبِّ الأنصارِ التمر».

قال: فمسح وجهه وسمَّاه عبد الله.

قال سُفْيَانُ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: فَرَأَيْتَ لَهَا تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قرَأَ الْقُرْآنَ. يعني من أولادِ عبدِ اللهِ المدعو لهُ بِالْبَرَكَهَةِ الَّذِي وُلِدَ مِنْ جَمَاعِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا أَبُو عُمَيْرٍ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَاعِبُهُ قَائِلًا لَهُ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّغِيرُ». ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا جَاءَ يَقُولُ لَهُ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّغِيرُ».

وَالنَّغِيرُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ طَائِرٌ أَحْمَرُ الْمِنْقَارِ يَشْبَهُ الْعُصْفُورَ كَانَ يُلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ فَحَزَنَ عَلَيْهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَقْبِلُهُ، وَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ مَازِحًا وَمُدَاعِبًا. أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى صَبْرِ أُمَّ سُلَيْمٍ وَعِظَمِ إِيْمَانِهَا وَكَمَالِ دِينِهَا وَعَقْلِهَا، فَهِيَ لَمْ تَجْزَعْ وَلَمْ تَهْلَعْ كَعَادَةِ النِّسَاءِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ، وَلَكِنْ تَصَبَّرَتْ وَتَجَلَّدَتْ، فَكَانَ جَزَاؤَهَا أَنْ بَارَكَ اللَّهُ لَهَا فِي ذُرِّيَّتِهَا.

كما فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ»⁽²⁾ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ، وَقَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ».

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنَاقِبُ لِأُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مِنْ عِظَمِ صَبْرِهَا وَحُسْنِ رِضَاهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَجِزَالَةِ عَقْلِهَا فِي إِخْفَائِهَا مَوْتَهُ عَلَى أَبِيهِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ؛ لِيَبِيَّتَ مُسْتَرِيحًا بِلَا حُزْنٍ، ثُمَّ عَشَّتْهُ، وَتَعَشَّتْ، ثُمَّ تَصَنَعَتْ لَهُ،

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6129)، وَمُسْلِمٌ (2150).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (78/5)، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (1489).

وَعَرَّضَتْ لَهُ بِإِصَابَتِهِ، فَأَصَابَهَا. وَفِيهِ اسْتِعْمَالُ الْمَعَارِيضِ عِنْدَ الْحَاجَةِ؛ لِقَوْلِهَا: «هُوَ
 أَسْكَنُ مِمَّا كَانَ» فَإِنَّهُ كَلَامٌ صَحِيحٌ مَعَ أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ هَانَ مَرَضُهُ وَسَهَّلَ وَهُوَ
 فِي الْحَيَاةِ وَشَرَطُ الْمَعَارِيضِ الْمُبَاحَةَ أَلَّا يَضِيعَ بِهِ حَقُّ أَحَدٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ⁽¹⁾.
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَضَرَبَهَا لِثَلِّ الْعَارِيَةِ دَلِيلٌ لِكَمَالِ عِلْمِهَا وَفَضْلِهَا، وَعِظَمِ إِيمَانِهَا
 وَطُمَأْنِينَتِهَا»⁽²⁾.

اللَّهُمَّ ارْضَ عَن أُمِّ سُلَيْمٍ وَوَلَدِهَا أَنَسٍ وَعَبْدِ اللَّهِ وَزَوْجِهَا أَبِي طَلْحَةَ وَاجْمَعْ
 بَيْنَهُمْ مَعَ أَبِي عُمَيْرٍ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى.
 اللَّهُمَّ بِحُبِّنَا لَهُمْ فِيكَ احْشُرْنَا مَعَهُمْ.

(1) «شرح مسلم» (ص 1347).

(2) «شرح مسلم» (ص 1493).

سعيد بن المسيب (1)

29

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَرَانِ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْزِلِيُّ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ عَالَمِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدِ التَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِ إِنَّهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ تَلْمِذُ الصَّحَابَةِ وَوَلَدُ لِسْتَيْنِ مَضْتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قال الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَى عُمَرَ، وَسَمِعَ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَأَبَا مُوسَى، وَسَعْدًا وَعَاتِشَةَ، وَابْنَ عَبَّاسٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ وَخَلْقًا سِوَاهُمْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - .

(1) انظر «الطبقات» لابن سعد، و«تاريخ الإسلام» للذهبي، و«البداية والنهائة» لابن كثير، و«السير» للذهبي.

وقال: وكان ممن برز في العلم والعمل.

أيها الناس لقد كان سعيداً من الممتحنين ائتمن فلم تأخذه في الله لومة لائم، صاحب عبادة وجماعة وعفة وقناعة وكان كاسمه بالطاعات سعيداً، ومن المعاصي والجهالات بعيداً.

أيها الناس سأقتصر معكم على ذكر جوانب مشرقة من حياة هذا الإمام. فمن تلك الجوانب المشرقة في حياة سعيد بن المسيب - أيها الناس - حرصه على العلم فقد أنفق عمره في تحصيل العلم.

يقول عن نفسه: «إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد». وفي كنف الصحابة أخذ ينهل من نبع العلم الصافي كما كان زواجه من ابنة الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه المنحة الربانية التي هيأت له الفرصة لسماع مئات الأحاديث من ذاكرة الوحي حتى صار أثبت الناس وأعلمهم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، كما كان مغرمًا بتتبع أقضية عمر وتعلمها حتى قيل له (راويّة عمر). وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرسل إليه يسأله عنها.

قال أبو طالب: قلت لأحمد بن حنبل: سعيد بن المسيب عن عمر حجة؟ قال: هو عندنا حجة قد رأى عمر وسمع منه إذا لم يقبل سعيد عن عمر فمن يقبل؟! ومع طول المشاورة والجد والاجتهاد صار سعيد عالم أهل المدينة بلا مدافعة وإمام فقهاؤها السبعة الذين كانوا الواصل الحقيقي بين عصر الصحابة وعصور المذاهب الفقهية فيقول: «ما أحد أعلم بقضاء قضاه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر مني».

وقال عنه قتادة: «ما أحد أعلم من سعيد بن المسيب».

وعن مَكْحُولٍ قَالَ: «طُفْتُ الْأَرْضَ كُلَّهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَمَا لَقَيْتُ أَعْلَمَ مِنْ سَعِيدٍ».

وَسَأَلَ رَجُلٌ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنِ شَيْءٍ فَقَالَ: أَسَأَلْتَ أَحَدًا غَيْرِي؟

قَالَ: نَعَمْ، عُرْوَةَ وَفُلَانًا وَسَعِيدَ بْنَ الْمَسِيَّبِ.

فَقَالَ: أَطَعْتَ ابْنَ الْمَسِيَّبِ فَإِنَّهُ سَيِّدُنَا وَعَالِمُنَا.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ يُشْكِلُ عَلَيْهِ يَقُولُ: «سَلُّوا

سَعِيدَ بْنَ الْمَسِيَّبِ فَإِنَّهُ كَانَ يُجْلِسُ الصَّالِحِينَ».

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: «لَا أَعْلَمُ فِي التَّابِعِينَ أَوْسَعَ عِلْمًا مِنْهُ، وَإِذَا قَالَ سَعِيدٌ

مَضَّتِ السُّنَّةُ فَحَسْبُكَ بِهِ».

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: «لَيْسَ فِي التَّابِعِينَ أَنْبَلُ مِنْهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ لَا بُدَّ لَنَا أَنْ لَا نُغْفَلَ حَقِيقَةً هَامَّةٌ هِيَ أَنْ الْعِلْمَ الَّذِي رَفَعَ سَعِيدَ بْنَ

الْمَسِيَّبِ إِلَى سَمَاءِ الْمَجْدِ بَلْ وَرَفَعَ أَيَّ أُمَّةٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اللَّبَنَةُ الْأُولَى فِي صَرْحِ تَقَدُّمِنَا

الْمُنْشُودِ؛ فَالْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ الْمُسْتَقَى مِنْ رِيَاضِ الْكِتَابِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ طَرِيقُنَا إِلَى

إِمَامَةِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ!

وَاعْلَمُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ أَيَّ رُقِيٍّ بَدُونَ عِلْمٍ وَهَمٍّ وَسَرَابٍ ﴿كَرَّابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ

الظَّمْعَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ، لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ .

وَمِنَ الْجَوَانِبِ الْمَشْرِقَةِ فِي حَيَاةِ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيَّبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِرْصُهُ عَلَى

الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ

فَقَدْ كَانَ حَرِيصًا عَلَى الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ فَلَمْ تَقْتَهُ صَلَاةٌ وَهَذَا رَفَعَهُ اللَّهُ وَبَارَكَ

فِي عِلْمِهِ .

فَهَا هُوَ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: «مَا فَاتَنِي الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الحَمْسِ فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ مَلَأَ البِرَّ وَالبَحْرَ عِبَادَةً».

وقال: «مَا أَدْنَى المَوْذُنِ مِنْدُ ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا فِي المَسْجِدِ».

وعن مَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ قَالَ: «إِنَّ سَعِيدَ بْنَ المَسِيْبِ مَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَلْتَقِ القَوْمَ قَدْ خَرَجُوا مِنَ المَسْجِدِ وَفَرَّغُوا مِنَ الصَّلَاةِ».

وعن بُرْدِ مَوْلَى ابْنِ المَسِيْبِ قَالَ: «مَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْدُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا وَسَعِيدُ فِي المَسْجِدِ».

وعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ المَسِيْبِ قَالَ: «مَا دَخَلَ عَلَيَّ وَقْتُ صَلَاةٍ إِلَّا وَقَدْ أَخَذْتُ أَهْبَتَهَا وَلَا دَخَلَ عَلَيَّ قِضَاءُ فَرَضٍ إِلَّا وَأَنَا إِلَيْهِ مُشْتَاقٌ».

وعن قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ المَسِيْبِ ذَاتَ يَوْمٍ: «مَا نَظَرْتُ فِي أَقْفَاءِ قَوْمٍ سَبَقُونِي بِالصَّلَاةِ مِنْدُ عِشْرِينَ سَنَةً».

ومن الجوانبِ المَشْرِقَةِ فِي حَيَاةِ سَعِيدِ بْنِ المَسِيْبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِرْصُهُ عَلَى صَلَاةِ اللَّيْلِ. فَمَا تَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ مِنْدُ عَرَفَ الإِسْلَامَ حَتَّى لُقِّبَ (رَاهِبَ قُرَيْشٍ).

وكان يُكثِرُ مِنْ قَوْلِ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ».

فإِذَا دَخَلَ اللَّيْلَ خَاطَبَ نَفْسَهُ قَائِلًا: «قَوْمِي يَا مَأْوَى كُلِّ شَرٍّ وَاللَّهِ لَأَدْعَنَّكَ تَرْحَمِينَ زَحْفَ البَعِيرِ».

فكان إِذَا أَصْبَحَ وَقَدَمَاهُ مُتَفَخَّتَانِ يَقُولُ لِنَفْسِهِ: «بِذَا أَمَرْتُ وَلِذَا خُلِقْتُ».

وعن عَبْدِ المَنْعِمِ بْنِ إِدْرِيسَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «صَلَّى سَعِيدُ بْنُ المَسِيْبِ العِدَاةَ بِوَضُوءِ العَتَمَةِ خَمْسِينَ سَنَةً».

ومن الجوانبِ المَشْرِقَةِ فِي حَيَاةِ سَعِيدِ بْنِ المَسِيْبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا.

فَقَدْ كَانَ يَعِيشُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ لَهُ أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ يَتَّجِرُ بِهَا فِي الزَّيْتِ وَيَقُولُ عَنْ هَذَا الْمَالِ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَمْسِكْهُ بُخْلًا وَلَا حِرْصًا عَلَيْهِ وَلَا مَحَبَّةً لِلدُّنْيَا وَنِيْلَ شَهَوَاتِهَا وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَصُونَ بِهِ وَجْهِي عَنْ بَنِي مَرْوَانَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ فَيَحْكُمَ فِيَّ وَفِيهِمْ وَأَصِلَ مِنْهُ رَحْمِي وَأُودِّيَ مِنْهُ الْحَقُوقَ الَّتِي فِيهِ وَأَعُودَ مِنْهُ عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْفَقِيرِ وَالْمَسْكِينِ وَالْيَتِيمِ وَالْجَارِ».

وَكَانَ مِنْ أَوْرَعِ النَّاسِ فِيهَا يَدْخُلُ بَيْتَهُ وَبَطْنَهُ.

فَعَنْ طَلْحَةَ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: «كَانَ فِي رَمَضَانَ يُؤْتَى بِالْأَشْرِبَةِ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَطْمَعُ أَنْ يَأْتِيَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسَيَّبِ بِشَرَابٍ فَيَشْرَبُهُ فَإِنْ أَتَى مِنْ مَنْزِلِهِ بِشَرَابٍ شَرِبَهُ وَإِنْ لَمْ يُؤْتِ مِنْ مَنْزِلِهِ بِشَيْءٍ لَمْ يَشْرَبْ شَيْئًا حَتَّى يَنْصَرِفَ».

وَمِنْ أَقْوَالِهِ: «مَنْ اسْتَغْنَى بِاللَّهِ افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ».

وَقَوْلِهِ: «الدُّنْيَا نَذْلَةٌ وَهِيَ إِلَى كُلِّ نَذْلٍ أَمِيلٌ وَأَنْذَلُ مِنْهَا مَنْ أَخَذَهَا مِنْ غَيْرِ وَجْهَهَا وَوَضَعَهَا فِي غَيْرِ سَبِيلِهَا».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - كيف زوّج سعيد بن المسيّب ابنته؟⁽¹⁾ :
الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدّم الحديث معكم - أيها الناس - عن سعيد بن المسيّب وبعض من
الجوانب المشرقة في حياته، والآن حديثي معكم عن قصة زواج سعيد بن المسيّب
ابنته بدرهمين.

أيها الناس لقد تزوّج سعيد بن المسيّب بابنة أبي هريرة رضي الله عنه فكان صهره
وكان إذا رآه قال: «أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة».

وقد أكثر عن الرواية عنه ولم ينبع في الحديث والفقّه جلس للتدريس وتلمذ
عليه كبار علماء زمانه ومنهم سالم بن عبد الله بن عمر ومحمد بن شهاب الزهري،
وقتادة، وعمرو بن دينار، وكان من بينهم تلميذ يدعى كثير بن أبي وداعة فقدده أياماً
ثم جاء وندّعه يحكي لنا قصته كما جاءت في طبقات ابن سعد وحلية الأولياء وسير
أعلام النبلاء.

قال ابن أبي وداعة رحمه الله: «كنت أجالس سعيد بن المسيّب ففقدني أياماً، فلما
جئت قال: أين كنت؟

قلت: توفيت أهلي فانشغلت بها!

فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟

فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟

فقال: أنا.

(1) انظر الطبقات لابن سعد (5/138) وحلية الأولياء (2/16)، السير (4/217).

فقلتُ: أَوْ تَفْعَلُ؟

قال: نَعَمْ.

ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَرَوَّجَنِي عَلَى دِرْهَمَيْنِ أَوْ قَالَ: ثَلَاثَةَ.

قال: فقمْتُ وما أَدْرِي ما أَصْنَعُ مِنَ الْفَرَحِ، فَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَجَعَلْتُ أَتَفَكَّرُ مِمَّنْ أَخَذُ وَمِمَّنْ أَسْتَدِينُ، فَصَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي، وَاسْتَرَحْتُ، وَكُنْتُ وَحْدِي صَائِمًا فَقَدَّمْتُ عَشَائِي أَفْطَرُ وَكَانَ خُبْزًا وَزَيْتًا، فإِذَا بَاتَ يَقْرَعُ، فقلتُ: مَنْ هَذَا؟

قال: سَعِيدٌ.

قال: فَفَكَّرْتُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ اسْمُهُ سَعِيدٌ إِلَّا سَعِيدَ الْمَسِيبِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا بَيْنَ بَيْتِهِ وَالْمَسْجِدِ، فقمْتُ فَخَرَجْتُ فإِذَا سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيبِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَهُ الرَّجُوعُ عَنِ زَوْاجِي، فقلتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنْ أُرْسِلْتَ إِلَيَّ فَاتَيْكَ؟

قال: لَا، أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تُؤْتَى، فقال: إِنَّكَ كُنْتَ رَجُلًا عَزَبًا لَا زَوْجَ لَكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ تَبِيَّتَ اللَّيْلَةَ وَحَدَكَ وَهَذِهِ امْرَأَتُكَ فإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ مِنْ خَلْفِهِ فِي طُولِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهَا فَدَفَعَهَا بِالْبَابِ وَرَدَّ الْبَابَ، فَسَقَطَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحِيَاءِ، فَاسْتَوْثَقْتُ مِنَ الْبَابِ ثُمَّ تَقَدَّمْتُ إِلَى الْقِصْعَةِ الَّتِي فِيهَا الزَّيْتُ وَالْحُبُّزُ فَوَضَعْتُهَا فِي ظِلِّ السَّرَاجِ لِكَيْلَا تَرَاهَا ثُمَّ صَعَدْتُ إِلَى السَّطْحِ فَنَادَيْتُ الْجِرَانَ. فَجَاؤَنِي وَقَالُوا: مَا شَأْنُكَ؟ وَيَحْكُمُ زَوْجَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيبِ ابْنَتُهُ الْيَوْمَ، وَقَدْ جَاءَ بِهَا إِلَيَّ عَلَى عَفْلَةٍ، وَهَا هِيَ فِي الدَّارِ، فَنَزَلُوا إِلَيْهَا فِي دَارِي فَبَلَغَ أُمِّي الْخَبْرَ فَجَاءَتْ وَقَالَتْ: وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ مَسَسْتُهَا قَبْلَ أَنْ أُصْلِحَهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ - تَعْنِي تَزِينُهَا اسْتِعْدَادًا لِلدُّخُولِ بِهَا - قَالَ: فَأَقَمْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ دَخَلْتُ بِهَا فإِذَا هِيَ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَحْفَظِهِنَّ لِلْقُرْآنِ، وَأَعْلَمِهِنَّ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَعْرَفِهِنَّ بِحَقِّ الزَّوْجِ، وَمَكَّثْتُ شَهْرًا لَا يَأْتِينِي سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيبِ وَلَا آتِيهِ فَلَمَّا أَنْ كَانَ قُرْبَ الشَّهْرِ أَتَيْتُ سَعِيدَ فِي حَلَقَتِهِ، فَسَلَّمْتُ

عليه فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، ولم يُكَلِّمْنِي حَتَّى تَقَوَّضَ - تَفَرَّقَ - المَجْلِسُ، فَلَمْ يَبْقَ غَيْرِي،
فَقَالَ: مَا حَالُ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ؟

فَقُلْتُ: خَيْرًا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ عَلَى مَا يُحِبُّ الصَّدِيقُ وَيَكْرَهُ العَدُوُّ، فأنْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي
فَوَجَّهَ لِي بَعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ: وَكَانَتْ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ قَدْ خَطَبَهَا عَبْدُ
المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لِابْنِهِ الوَلِيدِ حِينَ وُلَّاهُ العَهْدَ، فَأَبَى سَعِيدٌ أَنْ يُزَوِّجَهَا وَزَوَّجَهَا
بِأَحَدِ طُلَّابِهِ!

نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ (1)

30

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّحْقِيقَاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَاتُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَجْنَازُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ عِلْمٍ مِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ وَعَنْ قَائِدٍ مِنْ قَادَتِهِ الْعِظَامِ مِنْ أَهْلِ الْهِمَمِ الْقَوِيَّةِ وَالْعِزَائِمِ الْمَرْضِيَّةِ إِنَّهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَقِيُّ الْمُلُوكِ وَلَيْثُ الْإِسْلَامِ كَمَا وَصَفَهُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (2).

وَقَالَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وُلِدَ وَقْتَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِحَلَبَ، وَنَشَأَ فِي كِفَالَةِ وَالِدِهِ صَاحِبِ حَلَبَ، وَالْمَوْصِلَ، وَغَيْرِهَا مِنْ الْبُلْدَانِ الْكَثِيرَةِ الْكَبِيرَةِ. تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ،

(1) انظر «الهمة العالية» لمحمد بن إبراهيم الحمد فقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة جزاءه الله خيرًا.

(2) «السيرة» (531/20).

والْفُرُوسِيَّةَ، والرَّمِيَّ، وَكَانَ شَهْمًا، شُجَاعًا، ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَقَصِدٍ صَالِحٍ، وَحُرْمَةٍ
وَإِفْرَةٍ، وَدِيَانَةٍ بَيِّنَةٍ⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - لِنُورِ الدِّينِ مِنَ الْمَنَابِرِ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ،
وَأَتَاهُ مِنْ مُهَيِّئَاتِ النُّبُوغِ، وَمُقَوِّمَاتِ الْأَلْمَعِيَّةِ مَا يَجْعَلُهُ يَتَبَوَّأُ مَكَانَةً عَالِيَةً وَمَنْزِلَةً سَامِيَةً
فِي تَارِيخِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

فَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ التَّقْوَى وَالصَّلَاحُ.
فَلَقَدْ كَانَ نُورُ الدِّينِ تَقِيًّا، صَالِحًا، وَرِعًا زَاهِدًا ذَا تَأَلُّهِ وَعِبَادَةٍ، وَأُورَادٍ، وَقِيَامٍ.
قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ مُتَحَدِّثًا عَنْ نُورِ الدِّينِ: «فَمِنْ ذَلِكَ زُهْدُهُ، وَعِبَادَتُهُ
وَعِلْمُهُ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَلْبَسُ وَلَا يَتَصَرَّفُ إِلَّا فِي الَّذِي يُحْصُهُ مِنْ مُلْكٍ كَانَ لَهُ
قَدْ اشْتَرَاهُ مِنْ سَهْمٍ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَمِنَ الْأَمْوَالِ الْمُرْصَدَةِ لِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَلَقَدْ شَكَتْ
إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ مِنَ الصَّائِقَةِ، فَأَعْطَاهَا ثَلَاثَةَ دَكَائِينَ فِي حِمَصٍ، كَانَتْ لَهُ يُحْصِلُ لَهُ مِنْهَا فِي
السَّنَةِ نَحْوَ الْعِشْرِينَ دِينَارًا.

فَلَمَّا اسْتَقَلَّتْهَا قَالَ: لَيْسَ لِي إِلَّا هَذَا، وَجَمِيعُ مَا بِيَدِي أَنَا فِيهِ خَازِنٌ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ،
وَلَا أَخْوَضُ نَارَ جَهَنَّمَ لِأَجْلِكَ.

وَكَانَ يُصَلِّي كَثِيرًا بِاللَّيْلِ، وَلَهُ أُورَادٌ حَسَنَةٌ، وَكَانَ كَمَا قِيلَ:

جَمَعَ الشُّجَاعَةَ وَالْحُشُوعَ لِرَبِّهِ ○●○ مَا أَحْسَنَ الْمِحْرَابَ فِي الْمِحْرَابِ

وَكَذَلِكَ كَانَتْ زَوْجَتُهُ عِصْمَتُ الدِّينِ خَاتُونٌ تُكْثِرُ الْقِيَامَ فِي اللَّيْلِ.

فَأَلْبَسَ اللَّهُ هَاتِيكَ الْعِظَامَ وَإِنْ ○●○ بَلَيْنَ تَحْتَ الثَّرَى عَفْوًا وَعُفْرَانَا

(1) «الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (12/299).

سَقَى ثَرَى أَوْ دَعُوهُ رَحْمَةً مَلَأَتْ ○ ○ مَثْوَى قُبُورِهِمْ رَوْحًا وَرَيْنَانًا⁽¹⁾

وقال الذَّهَبِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ: «كَانَ نَوْرُ الدِّينِ مَلِيحَ الحَطِّ، كَثِيرَ المَطَالَعَةِ، يُصَلِّي فِي جَمَاعَةٍ، وَيُصُومُ، وَيَتَلَوُّ، وَيُسَبِّحُ، وَيَتَحَرَّى فِي القُوْتِ، وَيَتَجَنَّبُ الكِبْرَ، وَيَتَشَبَّهُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْأَخْيَارِ، ذَكَرَ هَذَا وَنَحْوَهُ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ⁽²⁾».

وقال سِبْطُ ابْنِ الجَوْزِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ: «كَانَ لَهُ عَجَائِزٌ، فَكَانَ يَحِيْطُ الكَوَافِي، وَيَعْمَلُ السَّكَاكِرَ، فَيَبِعُهَا سِرًّا، وَيُفِطِرُ عَلَى ثَمَنِهَا⁽³⁾».

ومن تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نَوْرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - العَدْلُ. فَكَانَ مُتَحَرِّيًا للعَدْلِ فِي كَافَّةِ أُمُورِهِ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي العَدْلِ بَلْ إِنَّهُ كَانَ يُسَمَّى المَلِكَ العَادِلَ.

قال ابن الأثير رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَقَدْ طَبَقَ الأَرْضَ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ، وَعَدْلِهِ، وَقَدْ طَالَعَتْ سِيرَ المُلُوكِ المَتَقَدِّمِينَ فَلَمْ أَرْ بَعْدَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَعُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ أَحْسَنَ مِنْ سِيرَتِهِ، وَلَا أَكْثَرَ تَحَرُّيًا مِنْهُ للعَدْلِ⁽⁴⁾».

وقال الذَّهَبِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ: «صَاحِبُ الشَّامِ المَلِكُ العَادِلُ نَوْرُ الدِّينِ⁽⁵⁾».

وقال: «وَكَانَ نَوْرُ الدِّينِ حَامِلَ رَايَتِي العَدْلِ وَالجِهَادِ قَلَّ أَنْ تَرَى العُيُونَ مِثْلَهُ⁽¹⁾».

(1) انظر «الكامل» لابن الأثير (125/6)، و«البدایة والنہایة» لابن کثیر (300/12).

(2) «السیر» (533/20).

(3) «السیر» (537/20).

(4) «السیر» (538/20).

(5) «السیر» (531/20).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وكان يقوم بأحكامه بالمعدلة الحسنة، وأتباع الشرع المطهر، ويعقد مجالس العدل، ويتولأها بنفسه، ويجمع إليه في ذلك القاضي والفقهاء والمفتون من سائر المذاهب.

ويجلس يوم الثلاثاء في المسجد المعلق الذي بالكشك؛ ليصل إليه كل واحد من المسلمين وأهل الذمة حتى يساويهم»⁽¹⁾.

ومن تلك الصفات التي اتصف بها نور الدين محمود - أيها الناس - الغيرة الصادقة.

فقد كان ذا غيرة صادقة على دين الله وعلى محارم المسلمين، فلقد تفتحت عيناه على أحوال المسلمين المتردية، وعلى هزائمهم المتلاحقة، وكان ذلك يؤلمه أشد الألم فكان قليل الابتسام فلما وعظه إمامه أن الابتسام من وصايا النبوة قال له نور الدين: لا تؤاخذني - أيها الشيخ - كيف أبتسم وآلاف المسلمين سبوا عند كفار لا يتقون ولا يرحمون؟ وكيف أبتسم والمسجد الأقصى يدنسُهُ العدو؟⁽²⁾.

ومن تلك الصفات التي اتصف بها نور الدين محمود - أيها الناس - الهمة العالية.

فقد كان رَحِمَهُ اللهُ ذا همة عالية، ونفس كبيرة طمّاحة.

لَهُ هِمَمٌ لَا مُتْمَهَى لِكِبَارِهَا ○●○ وَهَمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ

فقد كانت كل أمنيته فتح بيت المقدس وتطهيرها من رجس الصليب.

ومما يدل على علو همته أنه كان في حلب وقت تسلط الصليبين وسيطرتهم على بيت المقدس أنه قام بعمل منبر عظيم وبالغ في تحسينه وإيقانه وقال: هذا عملنا؛ لينصب في بيت المقدس.

(1) «البدائية والنهاية» (12/299).

(2) انظر «أبطال ومواقف» (ص 434) بواسطة «الهمة العالية» (283).

وقد حَقَّقَ اللهُ لَهُ أُمْنِيَّتَهُ، فَفُتِحَتْ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ عَلَى يَدِ تَلْمِيذِهِ صَاحِبِ الدِّينِ
وُنُصِبَ فِيهَا الْمُنْبَرُ وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ نُورِ الدِّينِ رَحْمَةً اللهُ .

قال ابن الأثير رَحْمَةً اللهُ : «إِنَّ نُورَ الدِّينِ مَحْمُودًا كَانَ قَدْ عَمَلَ بِحَلَبَ مِنْبَرًا أَمَرَ
الصُّنَّاعَ بِالمَبَالِغَةِ فِي تَحْسِينِهِ وَإِتْقَانِهِ وَقَالَ: هَذَا عَمَلُنَا؛ لِيُنْصَبَ بِالبَيْتِ الْمُقَدَّسِ،
فَعَمَلُهُ النَّجَّارُونَ فِي عِدَّةِ سِنِينَ لَمْ يُعْمَلْ فِي الإِسْلَامِ مِثْلُهُ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ، فَحُمِلَ مِنْ
حَلَبَ، وَنُصِبَ بِالمُقَدَّسِ . وَكَانَ بَيْنَ عَمَلِ الْمُنْبَرِ وَحَمْلِهِ مَا يَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ
هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ نُورِ الدِّينِ وَحُسْنِ مَقَاصِدِهِ»⁽¹⁾.

ومن تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نُورُ الدِّينِ مَحْمُودٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - الشَّجَاعَةُ .
قال ابن الأثير رَحْمَةً اللهُ : «وَأَمَّا شَجَاعَتُهُ فإِلَيْهَا النِّهَائَةُ وَكَانَ فِي الْحَرْبِ يَأْخُذُ
قَوْسِينَ وَتُرْكُشِينَ (أَي: جَعْبَةَ السَّهَامِ) لِيُقَاتِلَ بِهَا .

فَقَالَ القُطْبُ النَّيْسَابُورِيُّ الفَقِيهُ: بِاللهِ عَلَيْكَ لَا تُخَاطِرْ بِنَفْسِكَ وَبِالإِسْلَامِ؛ فَإِنْ
أُصِيبْتَ فِي المَعْرَكَةِ لَا يَبْقَى مِنَ المُسْلِمِينَ أَحَدٌ إِلا أَخَذَهُ السَّيْفُ .

فَقَالَ لَهُ نُورُ الدِّينِ: وَمَنْ مَحْمُودٌ حَتَّى يُقَالَ هَذَا؟ مِنْ قَبْلِي حَفِظَ اللهُ البِلَادَ
وَالإِسْلَامَ ذَلِكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ»⁽²⁾.

وقال ابن قسيم يَصِفُ شَجَاعَتَهُ:

تَبْدُو الشَّجَاعَةَ فِي طَلَاقَةِ وَجْهِهِ ○●○ كَالرُّمْحِ دَلَّ عَلَى القَسَاوَةِ لِيُنْهَ
وَوَرَاءَ يُقْظَتُهُ أَنَاةٌ مُجْرِبٌ ○●○ اللهُ سَطْوَةٌ بِأَسِهِ وَسُكُونُهُ⁽³⁾

(1) «الكامل» لابن الأثير (9/184، 185).

(2) «الكامل» لابن الأثير (9/125).

(3) الرَّوَضَتَيْنِ (1/57)، وانظر «الأدب العربي» (ص70).

وقال الذهبي رحمه الله: «وكان بطلا شجاعا، وافر الهيبة، حسن الرمي، مليح الشكل، ذا تعبد وخوف وورع، وكان يتعرّض للشهادة سمعه كاتبه أبو اليسر يسأل الله أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير»⁽¹⁾.

وقال: «قال ابن واصل: كان من أقوى الناس قلبا وبدنا، ولم ير على ظهر فرس أحد أشد منه، كأنها خلق عليه ليتحرك»⁽²⁾.

وقال الذهبي رحمه الله: «وكان يقول: طالما تعرّضت للشهادة فلم أدركها. قلت - أي الذهبي - قد أدركها على فراشه، وعلى ألسنة الناس: نور الدين الشهيد»⁽³⁾.

ومن تلك الصفات التي اتصف بها نور الدين محمود - أيها الناس - الهيبة الوافرة والتواضع الجسم. فقد كان رحمه الله مهيبا وقورا، وفي الوقت نفسه كان جم التواضع لطيف المعشر، وتلك هي أخلاق العظماء.

قال ابن الأثير رحمه الله: «وكان وقورا مهيبا مع تواضعه وبالجملة فحسانته كثيرة، ومناقبه غزيرة لا يخلها هذا الكتاب»⁽⁴⁾.

وقال الذهبي رحمه الله عن ابن عساكر: «وكان من رآه شاهد من جلال السلطنة وهيئته ما يبهره فإذا فاضه رأى من لطافته ما يحير، حكى من صاحبه حضرا وسفرا أنه ما سمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في صجره»⁽⁵⁾.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد كان مهيبا وقورا شديدا هيبة في قلوب الأمراء لا يتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا بإذنه.

(1) «السيرة» (532/20).

(2) «السيرة» (537/20).

(3) «السيرة» (537/20).

(4) «الكامل» (126/9).

(5) «السيرة» (533/20).

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ يَجْلِسُ بِلا إِذْنِ سِوَى الْأَمِيرِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ، وَأَمَّ أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكَوهُ، وَمَجْدُ الدِّينِ بِنِ الدَّايَّةِ نَائِبُ حَلَبَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَكَابِرِ فَكَانُوا يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَمَعَ هَذَا كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ أَوْ الْفُقَرَاءِ قَامَ لَهُ، وَمَشَى حُطُوتًا، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَجَادَتِهِ فِي وَقَارٍ وَسُكُونٍ.

وَإِذَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا مُسْتَكْرَمًا يَقُولُ: هَوْلَاءِ جُنْدُ اللَّهِ، وَبِدْعَائِهِمْ نَصَرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَلَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَالِ حَقٌّ أَضْعَافُ مَا أُعْطِيَهُمْ، فَإِذَا رَضُوا بِيَعُضِ حَقِّهِمْ فَلَهُمُ الْمِنَّةُ عَلَيْنَا»⁽¹⁾.

وَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْحِرْصُ عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ. فَقَدْ كَانَ حَرِيصًا عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَنَشْرِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَظْهَرَ السُّنَّةَ وَأَمَاتَ الْبِدْعَةَ»⁽²⁾.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ سَمِعَ عَلَيْهِ جُزْءَ حَدِيثٍ فِيهِ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَلِّدًا السَّيْفَ، فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْ تَغْيِيرِ عَادَاتِ النَّاسِ لِمَا ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ وَكَيْفَ كَانَ يَرِبُطُ الْأَجْنَادُ وَالْأُمَرَاءُ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، وَلَا يَفْعَلُونَ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَمَرَ الْجُنْدَ بِأَنْ لَا يَحْمِلُوا السُّيُوفَ إِلَّا مُتَقَلِّدِيهَا ثُمَّ خَرَجَ هُوَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي إِلَى الْمَوْكِبِ، وَهُوَ مُتَقَلِّدُ السَّيْفِ، وَجَمِيعُ الْجَيْشِ كَذَلِكَ، يُرِيدُ بِذَلِكَ الْاِقْتِدَاءَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ»⁽³⁾.

وَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَحَبَّةُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ. فَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مُجِبًّا لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

(1) «البدائية والنهاية» (302/12).

(2) «البدائية والنهاية» (299/12).

(3) «البدائية والنهاية» (302/12 - 303).

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان يُكْرَمُ العلماءُ، وأهلُ الدينِ، ويُعَظَّمُهُمْ، وَيَقُومُ إليهِمْ، وَيَجْلِسُ مَعَهُمْ، وَيَنْبَسِطُ مَعَهُمْ، ولا يَرُدُّ لَهُمْ قَوْلًا، وَيُكَاتِبُهُمْ بِخَطِّ يَدِهِ»⁽¹⁾.

قال ابن عساكِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَوَى الْحَدِيثَ، وَأَسْمَعَهُ بِالْإِجَازَةِ»⁽²⁾.

وَأَمَّ جِهَادَهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَكَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ إِلَّا لِذَلِكَ.

قال المَوْفَّقُ عَبْدُ اللَّطِيفِ: «كَانَ نَوْرُ الدِّينِ لَمْ يَنْشَفْ لَهُ لَبْدٌ مِنَ الْجِهَادِ»⁽³⁾.

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكانَ قَدْ اتَّسَعَ مُلْكُهُ جِدًّا، وَخُطِبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَبِالْيَمَنِ»⁽⁴⁾.

وقال الحافظُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أقامَ الحُدُودَ، وَفَتَحَ الحُصُونِ، وَكَسَرَ الفِرْنَجَ مِرارًا عَدِيدَةً وَاسْتَنْقَذَ مِنْ أَيْدِيهِمْ مَعاقِلَ كَثِيرَةً»⁽⁵⁾.

وقال ابنُ الجُوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «جاهدَ وانتزَعَ مِنَ الكُفَّارِ نَيْقًا وَخَمْسِينَ مَدِينَةً وَحِصْنًا، وَبَنَى بِالمَوْصِلِ جَامِعًا غَرِمَ عَلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَتَرَكَ المَكُوسَ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَبَعَثَ جُنُودًا فَفَتَحُوا مِصرَ، وَكانَ يَمِيلُ إلى التَّواضُعِ وَحُبِّ العُلَماءِ وَالصُّلَحاءِ، وَكَاتَبَنِي مِرارًا، وَعَزَمَ عَلَيَّ فَتَحَ بَيْتِ المَقْدِسِ فَتُوفِيَ فِي شِوَالِ سَنَةِ تِسْعِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ»⁽⁶⁾.

قُلْتُ: قَدْ حَقَّقَ اللهُ لَهُ أَمْنِيَّتَهُ وَفُتِحَتْ بَيْتُ المَقْدِسِ عَلَيَّ يَدِ تَلْمِيذِهِ صِلاحِ الدِّينِ الأيُّوبِيِّ رَحِمَ اللهُ الجَمِيعَ.

وَاسْتَغْفِرُ اللهُ.

(1) «الكامِلُ» (125/9).

(2) «السِّيَرُ» (533/20).

(3) «السِّيَرُ» (534/20).

(4) «الكامِلُ» (125/9).

(5) «البدايَةُ وَالنِّهايَةُ» (299/12).

(6) «السِّيَرُ» (536 - 535/20).

الخطبة الثانية - ما أكرم الله به نور الدين محمود :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «سيرة نور الدين محمود رحمه الله» والآن حديثي معكم عن «بعض ما أكرمه الله به».

أيها الناس إن أعظم ما أكرم الله به نور الدين محمود تلك الرؤيا الظاهرة العظيمة إنه رأى في المنام رسول الله ﷺ في نومه وهو يُشير إلى رجلين أشقرين، ويقول: أنجذني أنقذني من هذين، فاستيقظ فرحاً وصلّى ونام فرأى المنام بعينه فاستيقظ وصلّى ونام فرأه - أيضاً - مرة ثالثة، فاستيقظ وقال: لم يبق نوم. وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلي فأرسل خلفه ليلاً وحكى له جميع ما اتفق له فقال له: وما قعودك اخرج الآن إلى المدينة النبوية واكتم ما رأيت. فتجهز في بقية ليلته وخرج على راحل خفيفة في عشرين نفراً وصحبته الوزير المذكور ومال كثيرة فقدم المدينة في ستة عشر يوماً فاعتسل خارجها ودخل فصلّى بالروضة وزار ثم جلس لا يدري ماذا يصنع. فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد: إن السلطان قد قصد زيارة النبي ﷺ وأحضر معه أموالاً للصدقة فاكتبوا من عندكم فكتبوا أهل المدينة كلهم وأمر السلطان بحضورهم، وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التي أراها النبي ﷺ فلا يجد تلك الصفة فيعطيه ويأمره بالانصراف إلى أن انفض الناس، فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ شيئاً من الصدقة، قالوا: لا، فقال: تفكروا وتأملوا، فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئاً وهما صالحان غنيان يُكثران الصدقة على المحاويج، فأنشراح صدره وقال: عليّ بهما. فأتي بهما فرأهما الرجلين اللذين أشار النبي ﷺ إليهما بقوله: «أنقذني من

هَذَيْنِ». فَقَالَ لَهُمَا: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ فَقَالَا: مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ جِئْنَا حَاجِّينَ فَاخْتَرْنَا
 الْمَجَاوِرَةَ فِي هَذَا الْعَامِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَصْدُقَانِي، فَصَمَّمَا عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ:
 أَيْنَ مَنْزِلُهُمَا؟ فَأُخْبِرَ بِأَنَّهُمَا فِي رِبَاطٍ بِقُرْبِ الْحُجْرَةِ فَأَمْسَكَهُمَا وَحَضَرَ إِلَى مَنْزِلِهِمَا فَرَأَى
 فِيهِ مَالًا كَثِيرًا وَخْتَمَتَيْنِ وَكُتِبَا فِي الرَّقَاتِ وَلَمْ يَرَ فِيهِ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ فَأَتَنَى عَلَيْهِمَا أَهْلُ
 الْمَدِينَةِ بِخَيْرٍ كَثِيرٍ وَقَالُوا: إِنَّهُمَا صَائِمَانِ الدَّهْرِ مُلَازِمَانِ لِلصَّلَاةِ فِي الرُّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ
 وَزِيَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَزِيَارَةِ الْبَيْعِ كُلِّ يَوْمٍ بُكْرَةً وَزِيَارَةَ قُبَاءَ كُلِّ يَوْمٍ سَبْتٍ وَلَا يَرُدَّانِ
 سَائِلًا قَطُّ بَحِيثٌ سَدًّا خَلَّةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَذَا الْعَامِ الْمُجْدَبِ، فَقَالَ السُّلْطَانُ: سُبْحَانَ
 اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهِرْ شَيْئًا مِمَّا رَأَاهُ. وَبَقِيَ السُّلْطَانُ يَطُوفُ فِي الْبَيْتِ بِنَفْسِهِ فَرَفَعَ حَصِيرًا فَرَأَى
 سِرْدَابًا مَحْفُورًا يَنْتَهِي إِلَى صَوْبِ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ.

فَازْتَاعَ النَّاسُ لَذَلِكَ وَقَالَ السُّلْطَانُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَصْدُقَانِي حَالِكُمَا، وَضَرَبَهُمَا
 ضَرْبًا شَدِيدًا فَاعْتَرَفَا بِأَنَّهُمَا نَضْرَانِيَانِ بَعَثَهُمَا النَّصَارَى فِي زِيِّ الْحُجَّاجِ الْمَغَارِبَةِ
 وَأَمُولُهُمَا بِأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ وَأَمْرُهُمَا بِالنَّحِيلِ عَلَى شَيْءٍ عَظِيمٍ خَيْلَتُهُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ
 وَتَوَهَّمُوا أَنْ يُمْكِنَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ وَهُوَ الْوُصُولُ إِلَى الْجَنَابِ الشَّرِيفِ وَيَفْعَلُوا بِهِ مَا زَيْنَهُ
 لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي النُّقْلِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ فَتَزَلَا فِي أَقْرَبِ رِبَاطٍ إِلَى الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ وَفَعَلَا
 مَا تَقَدَّمَ وَصَارَا يَخْفِرَانِ لَيْلًا وَلِكُلِّ مِنْهَا مِحْفَظَةٌ جَلِدَ عَلَى زِيِّ الْمَغَارِبَةِ، وَالَّذِي يَجْتَمِعُ
 مِنَ التُّرَابِ يَجْعَلُهُ كُلُّ مِنْهُمَا فِي مِحْفَظَتِهِ وَيَجْرُجَانِ لِإِظْهَارِ زِيَارَةِ الْبَيْعِ فَيُلْقِيَانِهِ بَيْنَ
 الْقُبُورِ وَأَقَامَا عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً فَلَمَّا قَرُبَا مِنَ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ أَرْعَدَتِ السَّمَاءُ وَأَبْرَقَتْ
 وَحَصَلَ رَجِيفٌ عَظِيمٌ بِحَيْثُ خُيِّلَ انْقِلَاعُ تِلْكَ الْجِبَالِ فَقَدِمَ السُّلْطَانُ صَبِيحَةَ تِلْكَ
 اللَّيْلَةِ وَاتَّفَقَ إِمْسَاكُهُمَا وَاعْتَرَفُوهَا فَلَمَّا اعْتَرَفَا وَظَهَرَ حَالُهُمَا عَلَى يَدَيْهِ وَرَأَى تَاهِيلَ
 اللَّهِ لَهُ لَذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا وَأَمَرَ بِضَرْبِ رِقَابِهِمَا فُقْتِلَا تَحْتَ الشُّبَّاكِ
 الَّذِي يَلِي الْحُجْرَةَ الشَّرِيفَةَ وَهُوَ مِمَّا يَلِي الْبَيْعِ ثُمَّ أَمَرَ بِاحْتِضَارِ رِصَاصٍ عَظِيمٍ وَحَفَرَ

خَنْدَقًا عَظِيمًا إِلَى الْمَاءِ حَوْلَ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ كُلِّهَا وَأَذِيبَ ذَلِكَ الرَّصَاصُ وَمَلَأَ بِهِ
الْحَنْدَقَ فَصَارَ حَوْلَ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ سُورًا رِصَاصًا إِلَى الْمَاءِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مُلْكِهِ وَأَمَرَ
بِإِضْعَافِ النَّصَارَى وَأَمَرَ أَنْ لَا يُسْتَعْمَلَ كَافِرٌ فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ وَأَمَرَ مَعَ ذَلِكَ
بِقَطْعِ الْمُكُوسِ جَمِيعًا⁽¹⁾.

والحمد لله أولاً وأخيراً وظاهراً وباطناً.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ نَوْرَ الدِّينِ مُحَمَّدَ وَاعْفِرْ لَهُ ذَنْبَهُ اللَّهُمَّ انصُرْ دِينَكَ وَأَعْلِ كَلِمَتَكَ
وَأَجْعَلْنَا مِنْ أَنْصَارِ دِينِكَ وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِلَى مَا فِيهِ رِضَاكَ اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ
وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.



(1) ذكرها المحدث حمود التُّونِجِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الرُّوَا» (ص 100-102).

وَذَكَرَ مَصَدَرَهَا هُنَاكَ عَنِ ابْنِ النَّجَّارِ فِي كِتَابِهِ «ذَيْلُ تَارِيخِ بَغْدَادَ» وَالْفَاسِي فِي كِتَابِهِ «الْعِقْدُ الثَّمِينُ فِي
تَارِيخِ الْبَلَدِ الْأَمِينِ» وَابْنُ الْجَزْرِيِّ فِي كِتَابِهِ «إِتْحَافُ الْوَرَى بِأَخْبَارِ أُمَّ الْقُرَى» وَالسَّمْهُودِيُّ فِي كِتَابِهِ
«وَفَاءُ الْوَفَاءِ بِأَخْبَارِ دَارِ الْمُصْطَفَى».

القرآن

الصفحة	الموضوع
5	المُقدِّمَةُ
	- العَقِيدَةُ
7	1- عِظْمَةُ اللَّهِ.
15	- ثَمَارُ تَعْظِيمِ اللَّهِ.
19	2- الخَوْفُ مِنَ اللَّهِ.
26	- أسبابُ الخَوْفِ مِنَ اللَّهِ.
31	3- الرجاءُ.
38	- وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ.
	- الرِّقَائِقُ
41	1- شَطْرُ الإِيَانِ.
47	- مَا يَنْقُضُ الطَّهُّورَ.
51	2- الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ.
58	- عِظْمَةُ الصَّلَاةِ.
60	3- الخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ.
64	- أسبابُ الخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ.
69	4- سُنَنُ قَلِّ العَمَلِ بِهَا.
78	- سُنَنُ مَنْسِيَةٍ.

الصفحة	الموضوع
80	5- القلبُ السَّليمُ.
87	- صورٌ مُشرِّفةٌ لأصحابِ القلبِ السَّليمِ.
90	6- الفرجُ بعدَ الشَّدَّةِ.
97	- أسبابُ الفرجِ بعدَ الشَّدَّةِ.
100	7- الاعتداءُ في الدُّعاءِ.
107	- تكلفُ السَّجْعِ في الدُّعاءِ.
109	8- الاستِقامَةُ.
114	- أسبابُ الاستِقامَةِ.
117	9- فضلُ لا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ.
124	- البُعدُ العَقْدِيُّ لهذهِ الكَلِمَةِ العَظِيمَةِ «لا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ».
126	10- السَّعَادَةُ.
133	- موانعُ السَّعَادَةِ.
137	11- فضائلُ اليَمَنِ في الكتابِ والسُّنَةِ.
143	- فضائلُ بعضِ القبائلِ اليَمَانِيَّةِ.
147	12- الثَّباتُ على دينِ اللهِ.
154	- من أسبابِ الثَّباتِ.
157	13- غزوةُ بَدْرٍ.
163	- فوائِدُ من غَزْوَةِ بَدْرٍ.

الصفحة	الموضوع
	- الأَدَبُ وَالْأَخْلَاقُ
165	1- عُلُوُّ الْهَمِّمَةِ.
171	- عُلُوُّ هَمِّمَةِ سَلْمَانَ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِّ.
175	2- أَهْمِيَّةُ النَّصِيحَةِ.
180	- آدَابُ النَّصِيحَةِ.
185	3- فَضْلُ صَلَاةِ الرَّحِمِ.
192	- عُقُوبَةُ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ.
195	4- آدَابُ الْجَوَارِ.
201	- تَحْرِيمُ أَدِيَّةِ الْجَارِ.
206	5- الْأَمَانَةُ.
213	- مِنْ صِفَاتِ الْمُوظَّفِ.
217	6- خَطَرُ الدُّيُونِ.
223	- فَضْلُ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ.
226	7- عِزَّةُ النَّفْسِ.
232	- الْاسْتِغْنَاءُ عَنِ النَّاسِ.
236	8- مِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ.
246	9- مِنْ آدَابِ النَّوْمِ.
254	- آدَابِ الْاسْتِيقَاطِ مِنَ النَّوْمِ.
256	10- الْأُخُوَّةُ فِي اللَّهِ.
263	- مُفْسِدَاتُ الْأُخُوَّةِ.

الصفحة	الموضوع
266	11- نعمة الجوال .
272	- آداب استعمال الجوال .
	- قصص وعبر
276	1- أم سليم رضي الله عنها .
281	- صلاة أم سليم في دينها .
285	2- سعيد بن المسيب .
290	- كيف زوج سعيد بن المسيب ابنته؟! .
293	3- نور الدين محمود .
301	- ما أكرم الله به نور الدين محمود .

